سلسلة التاريخ

رحلة اليوسي

(1101 - 1102 هـ/ 1690 - 1691 م)

لمَحمّد العيّاشي بن الحسن اليوسي

(المتوفّى سنة 1131 هـ/ 1719 م)

تحقيق

أحمد الباهي



المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون

«بيت الحكمة»

أحمد الباهي

رحلة اليوسي (1101 - 1102هـ/ 1690 - 1691 م)



رحلة اليوسي

(1101 – 1102 هـ/ 1690 – 1691 م)

رحلة اليوسي

(1101 - 1102 هـ/ 1690 - 1691 م)

لمَحمّد العيّاشي بن الحسن اليوسي

(المتوفّى سنة 1131 هـ/ 1719 م)



تحقيق

أحمد الباهي

المجمع التونسيّ للعلوم والآداب والفنون

«بيت الحكمة»

رحلة اليوسي لمحمّد العيّاشي بن الحسن اليوسي/ أحمد الباهي ـ تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة» 2018 (تونس: مطبعة سوجيم) 228 ص، 24 سم ـ مسفّر.

ر.د.م.ك.: 978-9973-49-182-4

سحب من هذا الكتاب 500 نسخة في طبعته الأولى

قرطـــاج، 2018

الإهـــداء

إلى أساتذتي الذين عَلَّمونا حُروفًا..

شكر

اعترافاً بالجميل وتقديراً لكل من ساعدنا في صياغة هذا الكتاب، أتوجّه بأجمل عبارات الشكر والامتنان إلى الدكتور المُحقّق مُحمّد الزّاهي الذي راجع هذا العمل برمّته قبل إيداعه للنشر، وإلى الدكتور العَروضي المهدي مَقْدود، الذي ساعدنا في تصحيح الشعر وضبط أوزانه، وإلى الأستاذة مريم بن فرج، التي ساعدتنا في الحصول على نسخة رقمية لإحدى مخطوطتيْ الرحلة، وإلى جمهرة من أساتذة كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط وطلبتها، على رأسهم الأستاذ الدكتور حسن حافظي علوي على مساعدتهم القيّمة في الحصول على المعلومة وفي بيان بعض ما كان مُبهمًا وخافيًا لفهم نص الرحلة، وإلى الأستاذ العزيز بكلية الآداب – عين الشق بالدار البيضاء ياسر الهلالي على ملاحظاته المهمّة، وإلى موظفي المكتبة الوطنية بالمملكة المغربية، على رحابة صدرهم وتجنّدهم لخدمة العلم وطلبة العلم.

قائمة الاختصارات

ت: توفّي

ج: جزء

د. ت.: دون تاريخ

ص: صفحة

ظ: ظهر

كم: كيلومتر

م: ميلادي

ن. م: نفس المصدر أو نفس المرجع

هـ: هجري

و: وجه

/ : الموافق لـ

مقدّمـــة التحقيــق

1 - لمـاذا هـذا التحقيـق

يُمثّل هذا الكتاب حلقة مُهمّة في سلسلة الرحلات الحجيّة والحجازية التي دوّنها المغاربة بمناسبة قيامهم بفريضة الحجّ أو طلبهم للعلم، وهي تُجسّد أحد أهم الفنون الأدبية التي طبعت بلاد المغرب منذ العصر الوسيط واستمرت خلال العصر الحديث. فقد تكاثرت رحلات الحج البريّة انطلاقاً من القرن 10 هـ/ 16 م، بسبب الاضطرابات التي عاشتها السواحل المغربية نتيجة الصراع العثماني الإسباني للسيطرة على مضيق صقلية وبدايات القرصنة، فتخلّى ركب الحج المغربي عن الطريق الساحلية، وأخذ في اِتّباع مسالك صحراوية، وتولّى بعض الأدباء والفقهاء تخليد حَجيّتهم بتدوينها. أثارت الوفرة النسبية لكتب الرحلات إعجاب الباحثين منذ فترة، فتناولوها بالإحصاء والتحقيق والدراسة، وبُدئ بنشرها طباعة على الحجر منذ نهاية القرن 19، ثم أصبحت هذه النصوص تُنشر مُحقّقة مع تباين واضح في جودة التحقيق.

وقد نشرت إلى حدّ الآن مجموعة مهمة من هذه الرحلات التي جرت خلال القرون 10 - 12 هـ/ 16 - 18 م، نذكر أهمّها:

فما سبق رحلة اليوسي، نشير إلى رحلة ابن عابد الفاسي سنة 991 هـ/ 1583 م[1]، ورحلة ابن أبي محلي الذي حج مرتين، أولهما بداية من سنة 1001 هـ/ 1592 م وثانيهما سنة 1012 هـ/ 1603 م، ونشر قسم

1 - ابن عابد، **رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضر موت**، تحقيق إبراهيم السامرائي وعبد الله محمّد الحبشي، بيروت، 1993.

فقط ممّا دوّنه في هذا الشأن[2]، ثم رحلة ابن مليح السراج بداية من سنة 1040 هـ/ 1630 م[3]، ورحلات أبي سالم العياشي الذي حج ثلاث مرّات (1059 هـ/ 1649 م، و1064 هـ/ 1653م و1072 هـ/ 1661 م) فكان كتابه **ماء الموائد** معتمدًا على رحلته الأخيرة[4]، كما حرّر سنة 1068هـ/ 1657 م رسالة صغيرة في تعداد محطات طريق الحج، نُشرت أولاً مترجمة إلى الفرنسية[5]، ثم نشر نصّها العربي منذ مدّة قصيرة[6]، ورحلة الهشتوكي سنة 1096 هـ/ 1684 م، التي نُشر الجزء الخاص بالأراضي الليبية منها[7]، ورحلة أبي العباس القادري سنة 1100 هـ/ 1688 م، التي نُشر قسمها اللّيبي أيضاً[8].

---

2 - ابن أبي محلي، **الإصليت الخريت بقطع بلعوم العفريت النفريت**، الباب الخامس، والمعروف بـ: **عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج إلى سادة مصر وقادة العصر**، حقّقه عبد المجيد القدوري ونشره في كتاب: ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريت، الرباط، 1991.

3 - ابن مليح السراج، **أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب**، تحقيق محمّد الفاسي، فاس، 1968.

4 - العياشي، **الرحلة العياشية: ماء الموائد** (جزآن)، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، أبو ظبي، 2006.

5 - راجع:

M. Lakhdar, « Les étapes du pèlerin de Sijilmassa à La Mecque et Médine », in *Quatrième congrès d la fédération des Sociétés savantes de l'Afrique du Nord. Rabat 18-20 Avril 1938*, Alger, 1939, II, pp. 671-688.

6 - العياشي، **رحلة العياشي الحجيّة الصغرى الموسومة بـ: تعداد المنازل الحجازية أو التعريف والإيجاز ببعض ما تدعو الضرورة إليه في طريق الحجاز**، تحقيق عبد الله حمادي الإدريسي، بيروت، 2013.

7 - الهشتوكي، **هداية الملك العلّام إلى بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام، وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام**، نشر محمّد الحراري عبدالسلام الجزء الخاص بليبيا في: **ليبيا لدى الرحالة المغاربة في القرنين السادس عشر والسابع عشر**، طرابلس، 1998. وللهشتوكي رحلة ثانية قام بها سنة 1121 هـ/ 1709 م، ما زالت مخطوطة.

8 - القادري، **نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس**، نشر محمّد الحراري عبدالسلام الجزء الخاص بليبيا في: ليبيا لدى الرحالة المغاربة في القرنين السادس عشر والسابع عشر، طرابلس، 1998. وقد شرعنا بعد في تحقيق هذه الرحلة اعتمادا على نسخها الثلاث المتوفرة.

أما ما تلى رحلة اليوسي إلى حد نهاية القرن 12 هـ/ 18م، فنذكر رحلات أحمد الناصري الدرعي الأربعة (1076 هـ/ 1665 م، 1096 هـ/ 1684 م، 1109 هـ/ 1697 م و1121 هـ/ 1709 م) التي دُوّن آخرها باسم **الرحلة الناصرية**[9]، و**الرحلة الحجازية** لمحمّد بن الطيب الشرقي الفاسي سنة 1139 هـ/ 1726 م[10]، ورحلة الإسحاقي الشرقي سنة 1143 هـ/ 1730 م، التي نُشر منها القسم الخاص بليبيا[11] وقسم من الرحلة بالحجاز[12]، ثم حُققت في إطار رسالة جامعية[13]، ورحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي سنة 1150 هـ/ 1737 م[14]، ورحلة الحضيكي سنة 1152 هـ/ 1739م[15]، ورحلة العامري المنظومة في السنة نفسها[16]،

---

9 - الناصري، **الرحلة الناصرية**، حقّقها عبد الحفيظ ملوكي المغربي، أبو ظبي، 2011.

10 - ابن الطيب الشرقي الفاسي، **الرحلة الحجازية**، تحقيق نور الدين شوبد، أبو ظبي - بيروت، 2013.

11 - الإسحاقي، **الرحلة الحجازية**، حقق عبد الهادي التازي القسم الخاص بليبيا ونشره في: **أمير مغربي في طرابلس 1143 هـ = 1731 م أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي**، الرباط، جامعة محمّد الخامس، د. ت.

12 - الإسحاقي، **الرحلة الحجازية**، حقق حمد الجاسر قسم مرور الكاتب بالحجاز ونشره بعنوان: «رحلة الوزير الشرقي الإسحاقي المغربي إلى الحج سنة 1143 هـ»، في **العرب**، السنة 19، 1985، العدد 11-12، ص 736-756؛ السنة 20، 1985، العدد 1-2، ص 108-119؛ العدد 3-4، ص 264-272؛ العدد 5-6، ص 387-402؛ العدد 7-8، ص 528-537؛ العدد 9-10، ص 647-649. وهي رحلة مهمّة تستوجب النشر وبها معطيات فريدة عن درب الحج.

13 - حقّقها محمّد البغيال بعنوان: **رحلة الوزير الإسحاقي الحجازية لأبي محمّد سيدي الشرقي بن محمّد الإسحاقي**، دكتوراه في التاريخ، جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب والعلوم الانسانية بتطوان، 2013.

14 - الهلالي السجلماسي، **التوجه لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، قطعة من رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي**، تحقيق محمّد بوزيان بنعلي، وجدة، 2012.

15 - الحُضَيْكي، **الرحلة الحجازية**، تحقيق عبد العالي لمدبر، الرباط، 2011.

16 - العامري، **الرحلة العامرية**، حقّقها محمّد المنوني ونشرها في كتاب: **من حديث الركب المغربي**، تطوان، 1953، ص 88-104.

ورحلة الزبادي سنة 1158 هـ/ 1745 م[17]، ورحلة الورثيلاني سنة 1179 هـ/ 1766 م[18]، ورحلة المصعبي سنة 1196 هـ/ 1782 م[19]، ورحلتيْ أبو عبد الله محمّد بن عبد السلام الناصري الدرعي، الكبرى سنة 1196 هـ/ 1787 م[20]، والصغرى سنة 1211 هـ/ 1797 م[21]، ورحلة أبي العباس الفاسي سنة 1211 هـ/ 1797 م[22].

ورغم الجهود الكبيرة المبذولة من طرف مُحقّقي نصوص الرحلات الحجازية لإخراجها إلى النور، بعد أن ظلّت طويلاً حبيسة رفوف المكتبات العامة والخاصة، فقد لاحظنا، بحكم تخصّصنا في الجغرافيا التاريخية، تهاونا في تحقيق أسماء الأماكن والأعلام وتعريفها، فأثبت الكثير منها محرّفًا ومُصحّفًا كما أوردته المخطوطات أو كما خُيّل رسمها للمُحقّقين، ممّا لا يساعد على وضع خرائط دقيقة لطرقات الحج، خاصة في جزئها المغربي، ولا يُمكّن أيضاً من دراسة هذه المسالك وفهم الأسباب التي جعلتها مناطق جاذبة للسكان والأنشطة الاقتصادية على حساب مسالك أخرى. وبالتالي نعتقد بضرورة إعادة نشر العديد من هذه النصوص بعد تصحيحها.

من الرحلات التي ما زالت مخطوطة[23] إلى حد الآن نجد الرحلة المنسوبة إلى عَلَم المغرب في عصره الحسن بن مسعود اليوسي، التي وثّقت لرحلة حجّه سنة 1101 هـ/ 1690 م، وهي رحلة لم يُنشئ لها

17 – الزبادي، **بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام**، تحقيق محمّد زينهم محمّد عزب، القاهرة، 2006.

18 – الورثيلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، تحقيق محمد بن أبي شنب، بيروت، 1974.

19 – المصعبي، **رحلة المصعبي**، تحقيق يحيى بن بهون حاج امحمد، غرداية، 2006.

20 – حقّقها المهدي الغالي بعنوان: **الرحلة الناصرية الكبرى لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري**، دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2010. ثم نُشرت بالرباط سنة 2013.

21 – حقّقها أخريف محسن بعنوان: **الرحلة الناصرية الصغرى**، دكتوراه في التاريخ، جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب والعلوم الانسانية بتطوان، 2015.

22 – الفاسي، **رحلة**، نشر علي فهمي خشيم الجزء الخاص بليبيا في: **الحاجية من ثلاث رحلات، الرحلة الناصرية، الرحلة المنالية، الرحلة الفاسية**، طرابلس، 1974.

23 – تجدر الإشارة إلى أهم الرحلات التي ما زالت مخطوطة والتي تستدعي التحقيق والنشر، مثل: رحلة الشاوي الغنامي سنة 1141 هـ/ 1728 م، ورحلة أبي مدين الدرعي سنة 1153

كاتبها عنواناً فعُرفت في فهارس المخطوطات برحلة اليوسي. ورغم القيمة العلمية والأدبية لمن نُسبت إليه الرحلة، فإن نص الرحلة لم يُحقّق ولم ينشر إلى حد الآن[24]. ولعل أحد أسباب هذا التأخر هي الحالة المزرية لمخطوط الخزانة الحَسَنِيَّة (الخزانة الملكية سابقاً) الذي تجعل قراءته صعبة جدّا في الكثير من المواضع، بل هي مستحيلة في مواضع أخرى بسبب ما أصابها من خروم وفعل الأرضة. ولعلّنا نضيف أسباباً أخرى، منها اعتقاد بعض الباحثين أن نص الرحلة لا يمثل سوى اختصاراً لرحلة العياشي، واعتقاد البعض الآخر أن الأسلوب البرقي لمدون الرحلة يجعلها ضعيفة الفائدة، بل إن منهم من رأى أن أسلوب الرحلة في إصدار الأحكام السلبية التي تصل إلى حد الشتيمة لسكان بعض البلدان ومن ضمنهم بعض سكان مكّة، يؤدى إلى صرف النظر عنها[25].

لقد سبق لبعض الكُتّاب الحديث عن هذه الرحلة وإيراد مقاطع منها، لكن تحقيقها لم يكن أمينًا في كثير من الحالات. فقد أورد السملالي في ترجمته لمحمد ابن الشيخ سيدي الحسن اليوسي ملخصًا للرحلة ذاكرًا أنه يمتلك نسخة منها، وأورد معطيات عن بداية الرحلة، وهي وصول محمّد ووالده

هـ/ 1740 م، والرحلات الأربعة للمولى عبد السلام ابن السلطان سيدي محمّد (1182 هـ/ 1768 م، 1185 هـ/ 1771 م، 1197 هـ/ 1782 م و1204 هـ/ 1789 م).

24 - في إصدار حديث نسبيا، حاول أحمد محمّد محمود جمع عدد كبير من رحلات الحج ونشرها أو إعادة نشرها في ثلاث مجلدات لكن رحلة اليوسي لم تكن من بينها. راجع: محمود (أحمد محمد)، **رحلات الحج**، الجزء 1 و2، جدّة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 2009. كما لم نجد أثرا لهذه الرحلة في كتاب: الرفاعي (عبد الجبار)، **معجم ما كتب في الحج والزيارة والمعالم المشرفة في الحجاز**، دار مشعر، 1427 هـ.

25 - نذكر على سبيل المثال ما دوّنه مصنفي فهارس الخزانة الحسنية عند تطرقهم لرحلة اليوسي: «لم يرد بها شيء من الأوصاف التي اعتاد رواد الحجاز تقييدها عن المشاهد المقدسة، ولم يذكر بها أحد ممن لقيهم اليوسي من العلماء والصلحاء، بالرغم من أنه أقام بمصر بضعة أشهر». وفي نص الرحلة ما يُخالف هذا الانطباع طبعا، والغريب أنهم يشيرون إلى أن الكتاب مطبوع. راجع: عنان (محمد عبد الله)، لمدبر (عبد العالي)، حنشي (محمد سعيد)، **فهارس الخزانة الحسنية. الجزء الأول: فهرس قسم التاريخ والرحلات والإجازات**، الرباط، 2000، ج 1، ص 569-570.

الحسن إلى مراكش أول ربيع الثاني سنة اثنتين وتسعين وألف، وسلوكهم طريق رباط سلا ثم رباط أزمور الذي بقوا به ثلاث سنوات[26].

وذكر عبد الحي الكتاني أنه يملك نسخة من الرحلة بخط أبي عبد الله محمّد بن الحسن اليوسي، ونقل منها إشارة اليوسي إلى وجود قرية منسوبة إلى عقبة بن نافع بوادي درعة[27]. كما أورد مقتطفات تخص موقف الحسن اليوسي من تدهور وضعية العلم بمصر وإجازته لمحمد بن أحمد المُكني ولإخوانه من أهل طرابلس[28].

وأشار عبد الهادي التازي عرضًا إلى بعض محطات الرحلة بليبيا[29]. كما أورد مقتطفات من الرحلة خاصة بوصف مكّة[30]. وأورد عبد الكبير العلوي المدغري مقتطفات تخص بداية الرحلة وإجازة اليوسي للمكني بطرابلس وموقف اليوسي من الحياة الفكرية بالقاهرة[31]. ونقل أبو القاسم محمّد كرو إجازة اليوسي للمكني انطلاقاً من مخطوط الرحلة ومخطوط آخر خاص[32]. وتبعه في ذلك جمعة محمود الزريقي[33].

26 - السملالي (العباس بن إبراهيم)، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، راجعه عبد الوهاب ابن منصور، الرباط، 1993، ج 6، ص 5-7.

27 - عبد الحي الكتاني، «أشرف بقعة وأقدس بناحية مراكش»، في **مجلة المغرب**، السنة 5، جوان-جويلية 1936، ص 19.

28 - عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، بيروت، 1986، ج 2، ص 1157-1158.

29 - التازي (عبد الهادي)، «ليبيا لدى الرحالة المغاربة»، في **مجلة المجمع العلمي العراقي**، المجلد 19، 1970، ص 135. وانظر: التازي (عبد الهادي)، **أمير مغربي في طرابلس 1143 هـ = 1731م أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي**، الرباط، جامعة محمّد الخامس، المعهد الجامعي للبحث العلمي، د. ت.، ص 37.

30 - التازي (عبد الهادي)، **رحلة الرحلات. مكّة في مائة رحلة مغربية ورحلة**، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 2005، ج 1، ص 237-243.

31 - المدغري (عبد الكبير العلوي)، **الفقيه أبو علي اليوسي نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية**، المحمدية، 1989، ص 68، 149-153، 340-341.

32 - كرّو (أبو القاسم محمد)، «المخطوطات الليبية في المكتبات التونسية» في **المورد**، المجلد 19، العدد 2، بغداد، 1990، ص 176-185. انظر ص 179-180.

33 - الزريقي (جمعة محمود)، «لقاء الفقيه اليوسي مع الفقيه محمد بن أحمد في طرابلس منذ ثلاثة قرون»، في **تراجم ليبية. دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء والأعلام من ليبيا قديماً وحديثاً**، بيروت، 2005، ص 107-108.

ونقل عبّاس الجراري مقتطفات من الرحلة في كتابه عبقرية اليوسي[34]. كما نقل أسعد محمّد علي النجار مقتطفات منها تهمّ طرابلس والقاهرة[35]. وأورد علي مفتاح إبراهيم منصور مقتطفات تخص شهادات لصاحب الرحلة عن مواضع مرّ بها بالتراب الليبي ذهاباً وإيابا[36]. وأوردت عواطف محمّد يوسف نواب في أطروحتها مقاطع قصيرة من الرحلة[37]. وأورد حميد حماني ملخصًا للرحلة في مقدمة تحقيقه لكتاب **القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلّم**، للحسن اليوسي[38].

لقد لفتت رحلة اليوسي انتباهنا منذ مدّة، بعد أن وقع تنزيل إحدى نسختيها على شبكة الأنترنت، لتضمّنها معطيات فريدة عن جنوب الإيالة التونسية خلال القرن 11 هـ/ 17م. ثم تبيّن لنا مدى أهميتها رغم صغر حجمها، وخطأ الرأي الدارج حولها، ويظهر ذلك في النقاط الآتية:

- إن الرحلة شهادة عيْنيّة عن وضعيّة طريق الحج ومحطاته ومناسكه زمن سلوكه، ولم تكن كما اعتقد البعض اقتباسًا من رحلات سابقة أو اختصارًا لها.
- يُعتبر هذا النص أحد مظاهر تطوّر الرحلة كفن أدبي حيث تجاوز مرحلة المجموع الأدبي والمذكرات الخاصة والتقارير السياسية إلى التقييد المفيد النافع الذي يُتوجه به لمريدي الحج. فقد حاول المؤلف أن يجعل من كتابه بمثابة دليل سياحي بالمفهوم المعاصر، وحرص على

34 – الجراري، **عبقرية اليوسي**، الدار البيضاء1981 ، ص 42–46، 74.

35 – النجار (أسعد محمّد علي)، «الحسن اليوسي: حياته وآثاره (1040–1102 هـ)»، في **مجلة العرب**، السنة 35، الرياض، 1999–2000، ص 132–139، 234–242.

36 – منصور (علي مفتاح إبراهيم منصور)، **الرحالة العرب ودورهم في كتابة تاريخ ليبيا السياسي والاقتصادي في القرنين السابع عشر والثامن عشر**، طرابلس، 2005، ص 85، 102، 105، 110، 113، 119، 192، 200، 343، 367، 374، 384، 420، 421، 423، 429، والخارطة ص 487.

37 – نواب (عواطف محمّد يوسف)، **كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين دراسة تحليلية نقدية مقارنة**، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 2008.

38 – اليوسي، **القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم**، تحقيق حميد حماني، الرباط، 1998، ص 39–40.

توفير جملة من المعطيات الموضوعية للمُقدم على الحج لترتيب رحلته وتيسير حجّه وأداء فرضه، إضافة إلى جملة من النصائح التي تعينه على مجابهة مصاعب الطريق ومخاطره.

- يورد مُدوّن الرحلة أبياتًا وقصائدا للحسن اليوسي، أغلبها مُثبت في ديوانه المنشور لكن بعضها جديد ولم تتناوله مصنفات الأدب والشعر المغربي. كما أورد معطيات عن سيرته الذاتية قبل حجّه لا نجدها في المصادر التي ترجمت له، إضافة إلى أن الرحلة توثّق لآخر مراحل حياته.

- إن هذه الرحلة هي الأثر الأدبي الوحيد الذي وصلنا عن محمّد بن الحسن اليوسي، والواضح أن أسلوب اليوسي الابن متوسط في الجملة ولا يرتقي إلى بلاغة أسلوب والده، إذ تعددت به الأخطاء النحوية، وكثر استعمال الألفاظ العامية، لكن هذا الأمر لم يكن غريبا عن نصوص ذلك العهد. أما الشعر الذي قرضه الابن، فيُعاني من اختلال في الوزن، ولا يمكن بأي حال من الأحوال مقارنته بنظم والده.

إذن، فالرحلة التي بين أيدينا وثيقة مهمة وشاهدة على طريق حج الركب المغربي في ذلك التاريخ، وعلى عصرها عموماً. لذا، سعينا إلى تحقيقها تحقيقا علميا ونشرها ليعمّ النفع بها.

2 - من دوّن هذه الرحلة؟

نسبت هذه الرحلة خطأ في بعض الدراسات إلى عالم المغرب في عصره، الأديب والفقيه أبي علي الحسن اليوسي، ت 1102 هـ/ 1691 م، والحال أن اليوسي كان مشاركا فيها. أما مُدونّها فهو ابنه محمّد بن الحسن، الذي لم يرتق إلى المرتبة العلمية لوالده.

أ - الحسن بن مسعود اليوسي

هو دون منازع أحد أهم العلماء والأدباء والمتصوّفين بالمغرب خلال القرن 11 هـ/ 17 م، كما نمتلك معرفة دقيقة بأطوار حياته وأفكاره ومؤلفاته، بسبب وفرة المصادر التي أشارت إليه أو ترجمت له. وتبقى مؤلفاته، التي

تعدّ بالعشرات، أهم مصدر لسيرته[39]، كما تُرجم له في العديد من المصادر التاريخية[40]، وألفت الكتب والدراسات عن حياته وعلمه[41]. ولن ننخرط

---

39 - من أهمّها: اليوسي، **ديوان اليوسي**، جمع وتحقيق عبد الجواد السقاط، الرباط، 2016؛ نفسه، **رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي**، تحقيق فاطمة خليل القبلي، الدار البيضاء، 1981؛ نفسه، **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، تحقيق محمّد حجي ومحمد الأخضر، الدار البيضاء، 1981؛ نفسه، **فهرسة اليوسي**، تحقيق حميد حماني اليوسي، الدار البيضاء، 2004؛ نفسه، **القانون**، ن. م نفسه، **المحاضرات في الأدب واللغة**، تحقيق محمّد حجّي وأحمد الشرقاوي إقبال، بيروت، 2006.

40 - ابن زاكور، **نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان**، تحقيق محمّد ضيف ومحفوظ بوكراع، الحراش-الجزائر، 2011، ص 105-107؛ الولالي، **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار**، تحقيق عبد العزيز بوعصّاب، الرباط، 1999، ص 151، 161-163، 233، 265، 284، 291، 301؛ الإفراني، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تحقيق عبد المجيد خيالي، الدار البيضاء، 2004، ص 202؛ نفسه، **روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل الشريف**، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، 1995، ص 22، 24، 42، 49، 60، 68؛ نفسه، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق عبد اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998، ص 405، 412-413؛ نفسه، **درر الحجال في مناقب سبعة رجال**، تحقيق حسن جلاب، مراكش، 2016، ص 90، 116؛ الدرعي، **الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة**، تحقيق محمّد الحبيب نوحي، الدار البيضاء، 2014، ج 1، ص 144-167؛ القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تحقيق محمّد حجي وأحمد التوفيق، الرباط، 1977-1986، ج 3، ص 25-49، 86؛ العميري، **فهرسة العميري**، حقّقها أحمد دجوغ في إطار رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب العربي كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، 1999، ص 21، 60، 80، الخ؛ الحُضَيْكي، **طبقات الحُضَيْكي**، تحقيق أحمد بومزكو، الدار البيضاء، 2006، ج 1، ص 206-212؛ الضعيف الرباطي، **تاريخ الدولة السعيدة**، تحقيق أحمد العماري، الرباط، 1986، ص 49-52، 56، 57، 86؛ الزياني، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برّا وبحرا**، تحقيق عبد الكريك الفيلالي، الرباط، 1991، ص 58، 386؛ الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، القاهرة، 1997، ج 1، ص 68؛ السلاوي، **كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق أحمد الناصري، الدار البيضاء، 2001، ج 4، ص 226، 386، ج 5، ص 153، 245 الخ؛ الأزهري، **اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة**، القاهرة، 2008، ص 100-102؛ مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، بيروت، د. ت.، ص 328.

41 - الفاسي (محمد علال)، «أبو علي اليوسي 1040-1102 شخصيته - حياته - دراسة موجزة لآثاره»، في **المغرب الجديد**، العدد 4، شتنبر 1935، ص 17-24؛ العدد5، ص 24-35؛ العدد7، ص 17-29؛ ابن زيدان (عبد الرحمان)، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، تحقيق علي عمر، القاهرة، 2008، في مواضع متعددة؛ السملالي (العباس بن إبراهيم)، **ن. م.**، ج 3، ص 154-163؛ عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، **ن. م.**، ج 2، ص 1154-1161؛ الزركلي (خير الدين)، **الأعلام**، بيروت، 1982، ج 2، ص 237؛ المنوني (محمد)، **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية**

هنا في عرض ترجمة مفصّلة للحسن اليوسي، حتى لا نعيد ما سُطّر قبل، لكن لا بدّ من التوقّف عند أبرز المحطات السياسيّة والفكرية في حياته حتى نضع الرحلة في سياقها التاريخي.

ولد أبو علي الحسن بن مسعود بن محمّد بن علي بن يوسف اليوسي حوالي سنة 1040 هـ/ 1631 م بالبادية في بلاد فازاز قرب وادي ملوية، وهو ينتسب لقبيلة أيت يوسي البربرية، إحدى القبائل الصنهاجية بالأطلس المتوسط، ومن المفيد الإشارة إلى أنه كان يتكلّم باللسان البربري ومدافعا عن أصوله البربرية. لُقِّن الحسن تعليما تقليديا منذ صغره مع نزعة إلى التصوّف. وبعد وفاة والدته، انتقل إلى حواضر جنوب المغرب الأقصى لتلقّي العلم؛ فارتحل إلى سوس ومراكش ودكالة ثم تمكروت بدرعة حيث تتلمذ على يد الشيخ محمّد بن ناصر الدرعي.

ثم انتقل إلى الزاوية الدلائية حيث استقر مدّة طويلة نسبيا تضاهي التسعة عشر سنة، فصاهر الدلائيين[42]، ودَرَس على شيوخهم، أهمهم أبو عبد الله

العصر الحديث، الرباط، 1983، ج 1، ص 188؛ حجي (محمّد)، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، الدار البيضاء، 1988، ص 104–115؛ الأمري (محمد)، «أبو علي الحسن اليوسي»، في **الثقافة المغربية**، العدد 8، 1973، ص 52–62؛ المدغري (عبد الكبير العلوي)، **ن. م.**؛ زيادة (نقولا)، **صفحات مغربية**، بيروت، 2002، ص 66–74؛ ليفي بروفنسال (إيفارست)، **مؤرخو الشرفاء**، تعريب عبد القادر الخلادي، الرباط، 1977، ص 189–191؛ الأخضر (محمد)، **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية**، الدار البيضاء، 1977، ص 122–135؛ حجي (محمد)، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، الرباط، 1978، ج 2، ص 503؛ الذهبي (نفيسة)، «اليوسي»، في **معلمة المغرب**، سلا، 1989–2005، ج 22، ص 7692–7695؛ كحالة (عمر رضا)، **معجم المؤلفين**، بيروت، 1993، ج 1، ص 593؛ جوهري (أحمد)، **في الأدب المغربي**، وجدة، 2009، ص 503؛ السكيوي (بوشتي)، **ظاهرة الشروح الأدبية بالمغرب في العصر العلوي الأول بين جهود الإحياء الثقافي والتأصيل المعرفي**، دون مكان، 2015، ص 225–259؛ الغاشي (مصطفى)، **الرحلة المغربية والشرق العثماني، محاولة في بناء الصورة**، بيروت، 2015، ص 180–184. وأفرد له عدداً خاصّاً من مجلة **المناهل** المغربية (السنة 6، العدد 15، الرباط، يوليو 1979، حيث احتوى العدد 13 بحثًا). وراجع أيضاً:

J. Berque, *Al-Youssi, problème de la culture marocaine au XVIIè siècle*, Paris, 1958 ; A. Kilito, « Al-Yûsî », in *EI²*, XI, Leiden, 2005, p. 382.

42 – يظهر من خلال وثائق عدلية خاصة بنزاع حول قسمة تركة الحسن اليوسي يؤرخ أقدمها بسنة 1113 هـ/ 1701 م اطلع عليها حميد حماني، وأمدّه بها حفدة اليوسي، وكذلك مخطوط مناقب اليوسي للعدلوني الذي سنشير إليه لاحقاً، أن الحسن بن مسعود كان له أربع زوجات:

محمّد بن محمّد المرابط الدلائي، إلى أن قضي مولاي الرشيد على هذه الزاوية سنة 1079 هـ/ 1668 م.

إثر ذلك، اصطحبه السلطان إلى فاس حيث دَرَّس بجامع القرويين، وتتلمذ الكثير على يديه. لكنه غادر فاس سنة 1084 هـ/ 1673 م بعد فشل الثورة على السلطان مولاي إسماعيل المُنصّب حديثا وبأمر منه، فاتّجه نحو الشمال بجهة تطوان وجبل بني زروال حيث اهتم بزيارة مقامات الصالحين، ثم أنشأ زاوية بخلفون على ضفة وادي أم الربيع.

لكن إقامته الجديدة لم تتجاوز السنة إلا بقليل حيث أمره مولاي إسماعيل بالانتقال إلى مراكش. وفي سنة 1090 هـ/ 1683 م، أذن له السلطان في العودة إلى خلفون ثم أمره بالانتقال إلى مكناس حيث أقام بها خمسة أشهر قبل أن يُؤمر سنة 1092 هـ/ 1685 م بالذهاب من جديد إلى مراكش. ويشير مُدوّن الرحلة، في بداية كتابه، إلى هذه المرحلة من حياة الحسن اليوسي حيث أكّد أن الانتقال من خلفون إلى مكناس كان بدفع من مولاي إسماعيل وأن اليوسي لم يَرد معارضة هذا الأمر، لكن اليوسي لم يستطب العيش في هذه المدينة، كما أنه ضاق ذرعا بالدسائس والوشايات التي كانت تُحاك ضدّه في مجالس السلطان والتي أدّت إلى إبعاده نحو مرّاكش[43].

أقام اليوسي ثلاث سنوات بمراكش، وقدّم صاحب الرحلة تفاصيل حول هذه المدّة التي كانت مُتقطّعة؛ فبعد خمسة أشهر من الإقامة بحمراء مراكش كما يُسمّيها، ارتحل اليوسي إلى سلا، ثم إلى أزمور لسبب نجهله، ثم عاد إلى مراكش حيث درّس بجامع الشرفاء بالمواسين، وعاش بقية إقامته في «رغد عيش وطيب حال» على حد تعبير ابنه[44].

عزيزة، وزي، الزهراء ولمو، وأن ولديه مُحمد الكبير ومَحمد العياشي هما ابنا زوجته الأولى عزيزة بنت سيدي حمدان التلمساني. أخت الفقيهين أحمد بن حمدان وعبد الرحمان بن حمدان راجع: اليوسي، **القانون**، ن. م.، ص 34–37؛ اليوسي، **فهرسة اليوسي**، ن. م.، ص 16.

43 – اليوسي، **رحلة**، مخطوط المكتبة الوطنية للمملكة المغربية رقم ك 1418، ورقة 68 و.

44 – اليوسي، **رحلة**، **ن. م.**، ورقة 68 و – 68 ظ.

لكن يظهر أن الوشايات قد لاحقت اليوسي من جديد، فارتحل منفياً إلى الزاوية الدلائية وهي خراب، وظل بها ثلاث سنوات في زمن كان مولاي إسماعيل يحارب فيه قبيلة أيت يوسي في الشمال. إلا أن العلاقات توتّرت بين أهالي المنطقة واليوسي الذي طلب من السلطان تغيير مكان سكنه أو نفيه[45].

في سنة 1098 هـ/ 1687 م، أمره السلطان من جديد بالقدوم إلى مكناس، ثم عاد ليرحل إلى شعاب حمود وصفرو والعرائش وزوايا الشمال. ويذكر مدوّن الرحلة أن اليوسي ظلّ سبعة أشهر بخلفون وستة عشر شهرًا بصفرو، وأن المقام بالقرية الأخيرة كان صعبًا لجهل سكّانها وانعدام وعيهم[46].

في سنة 1100 هـ/ 1689 م، انتقل إلى فاس التي بقي بها سبعة أشهر ونصف لكنه لم يستطب الإقامة بها فغادرها صحبة أسرته باتجاه قرية تمززيت[47]، وهناك ترك عياله ليعود إلى فاس بهدف الانضمام إلى ركب الحج الرسمي صحبة ابنه محمد[48]. وبعد رجوعه من الحج، استقرّ جوار أسرته بتمززيت، لكن المقام لم يطل به إذ توفي في 23 ذي الحجة 1102 هـ/ 16 سبتمبر 1691 م، فدفن هناك قبل أن ينقل رفاته ورفاة ابنه إلى ضريحه الحالي قرب مدينة صفرو. وقد أشار الكتاني إلى زيارته قبر الحسن اليوسي وابنه محمّد بعين تامزازيت، وأنه رأى قبرًا مُتّصلاً بقبر الوالد «من ناحية ظهره عليه دربوز يزار به»[49]. كما ذكر السملالي أنه زار قبري الحسن اليوسي وولده محمّد بتمزريت سنة 1358 هـ/ 1939م[50].

---

45 ـ اليوسي، **رحلة**، ن. م.، ورقة 69 و.

46 ـ اليوسي، **رحلة**، ن. م.، ورقة 69 ظ.

47 ـ اليوسي، **رحلة**، ن. م.، ورقة 69 ظ.

48 ـ اليوسي، **رحلة**، ن. م.، ورقة 69 ظ – 70 و.

49 ـ الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصالحين بفاس**، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمّد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، الدار البيضاء، 2004، ج 3، ص 101.

50 ـ السملالي، **ن. م.**، ج 6، ص 7.

ألّف الحسن اليوسي عددا هاما من المؤلفات في جل المعارف والفنون الأدبية[51]. وأنجب ثمانية أبناء[52]، ثلاث بنات: أم كلثوم، وعائشة وفاطمة البغدادية، وخمسة ذكور: مُحمد، مَحمد (بالفتح)، عبد الله، عبد الكريم والعربي، واشتهر منهم الأوّلان، إذ كانا معًا في مراكش حين كان والدهما هناك. ثم رافق أحدهما فقط والده في رحلة حجّه، إلا أن بعض النصوص والأبحاث قد خلطت بينهما.

ب - مُحمّد بن الحسن اليوسي ومَحمّد بن الحسن اليوسي

لا تختلف الدراسات في نسبة الرحلة إلى ابن للحسن اليوسي يُدعى محمّد بن الحسن، كان رافق والده في الحج. لكن كان للأب ابنان يدعيان محمّد، أحدهما بضم الميم والآخر بفتحها كما جرت العادة. فقد عُرف الابن البكر بمُحمد (بالضم) الكبير، وتوفي حوالي سنة 1107 هـ/ 1696 م، أما الابن الثاني فهو المعروف بمَحمد (بالفتح) العياشي[53]، وتوفي بعد سنة 1119 هـ/ 1708 م حسب جل الدارسين وبالضبط سنة 1131 هـ/ 1719 م حسب نص مخطوط سنشير إليه لاحقًا. وكان من الضروري التدقيق أيّهما الذي رافق والده في رحلة الحج وكان صاحب التأليف، خاصة أن كتب التراجم والطبقات المعروفة لم تفرد لهما ترجمة ضافية بل إنها خَلَطت بينهما في كثير من الأحيان بما في ذلك نسبة تأليف الرحلة، وكرّرت بعض الدراسات الحديثة هذا الخلط.

يظهر أن مُحمّد الكبير كان أكثر حظّا من شقيقه في كتب التراجم والطبقات، فقد ترجم له القادري في **نشر المثاني**، حيث حلّاه بالفقيه الوجيه أبو عبد الله محمّد بن الشيخ أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، وذكر أنه «كان من الفضلاء النبهاء، معدودًا في جملة الفقهاء، موصوفاً بالصلاح،

51 - انظر جردًا لهذه التآليف في: الجراي (عباس)، ن. م.، ص 105-126.

52 - المدغري (عبد الكبير العلوي)، ن. م.، ص 118، كما هو مثبت في وصية الحسن اليوسي التي اطلع عليها المؤلف.

53 - يبدو أن نعت مَحمد بالعياشي كان للعلاقة الحميمة التي جمعت الحسن اليوسي بأبي سالم العياشي الذي مدحه في قصيدة. انظر: **ديوان اليوسي**، ن. م.، ص 425.

مشهورًا بالخير والفلاح. أخذ عن والده واتبع بعده طارف مجده وتالده»، ثم أورد له بيتين من شعره[54]. كما أشار القادري نفسه في **التقاط الدرر** أن وفاة محمّد بن الحسن المشهور بالخير والصلاح كانت يوم 27 رجب 1107 هـ/ 1 مارس 1696 م[55].

كذلك ترجم له الكتاني في سلوة الأنفاس حيث حلّاه بقوله: «العلامة الصالح، ذو النهج القويم الواضح، أبو عبد الله سيدي محمّد ابن شيخ الإسلام، وعالم الأعلام، آخر علماء المغرب على الإطلاق، ومن وقع على علمه وصلاحه الإجماع والإطباق، أبي علي سيدي الحسن بن مسعود بن علي اليوسي». ونقل الكتاني تعريفا له عن «بعض من ألف في التعريف بوالده المذكور لما تعرّض لذكره ما نصه: كان أكبر أولاد الشيخ رضي الله عنه، ورث عن والده مجمع العلوم، وحاز قصب السبق في ميدان الفهوم، جلس في موضع والده الرفيع، وتكلم بلسانه البديع، وتزيّا بسَمْتِه، وتحلى بوصفه ونعته، فكان علّامة زمانه، ووحيد عصره وأوانه، ظهرت عليه مخايل الصلاح، وركب نهج الفلاح والنجاح. وكانت له اليد الطولى في تدريس الحديث والتفسير، والباع المديد فيما سواهما من الفنون، مع ما له في ذلك من حسن الإيضاح والتعبير، إلا أنه كانت في لسانه لكنة تعقل اللسان، عن استيفاء جميع ما حواه الجنان، لكن قلمه كان يترجم عن علمه، ويعبر عن أبلغ فهمه، ففيه ظهرت مخابئ صدره، وعنه برزت ربات خدره. فلم تطل مدّة حياته بعد والده إلى أن مرض مرضه الذي توفي منه بمدينة فاس، أدامها الله للإسلام، في شهر ربيع الأول عام ستة ومائة وألف. ودفن بالقرب من ضريح سيدي علي ابن حرزهم – نفعنا الله ببركاته – ثم أخرجه شقيقه سيدي

54 – القادري، **نشر المثاني**، ن. م.، ج 3، ص 74–75؛ الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ن. م.، ج 3، ص 100.

55 – القادري، كتاب **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر**، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، بيروت، 1983، ج 2، ص 269. وذكر القادري تاريخ الوفاة من دون تدقيق اليوم والشهر في: **الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج**، تحقيق مارية دادي، الرباط، 2009، ص 347.

محمّد العياشي ودفنه مع والده بتامزازيت. ثم لما نَقل والده، نقله معه إلى الضريح الذي أحدثه بعين تامزازيت، ودفنه خلف ظهر والده المذكور»[56].

في الحقيقة فإن من وسمه الكتاني بمن ألف في التعريف بوالده المذكور هو عبد السلام بن عبد الرحمان بن علي بن سعيد الصفراوي العدلوني، ت بعد 1152 هـ/ 1739 م[57]، الذي شغل خطة قاضي صفرو وصاحب مخطوط في **مناقب اليوسي**، اطلع عليه الأستاذ حميد حماني اليوسي ونقل منه فقرات مهمة في مقدمة تحقيقه لفهرسة اليوسي في تعريف أبناء الحسن اليوسي الذين عاصرهم، وكان قريباً منهم وناسخا لكتب والدهم. ومن هذه النقول الترجمة التي خصصها العدلوني لمحمد الكبير التي تُطابق حرفيا نص الكتاني مع إضافات حول ولد لمحمد الكبير اسمه الشاذلي، زوّجه سيدي أحمد بن ناصر من ابنة عمّه محمّد العياشي بفاس، فأنجبت ولدا قبل أن يتوفى الولد والوالد، فتزوجت أحد أشراف جبل زرهون وحجّت مرة أولى ثم مرة ثانية، ولم تعد بعد حين ألّف العدلوني كتابه[58].

عُرف محمّد الكبير أيضاً بتقريظه لكتاب **مطلع الإشراق في نسب الشرفاء الواردين من العراق**، لعبد السلام بن الطيب القادري، ت 1110 هـ/ 1698م، كما ذكر زيّان العراقي في فهرسته[59] والوليد العراقي في **الدرّ النفيس**، حيث حلّاه «بالسيد الفاضل العلامة المكين الحافل أبو عبد الله محمّد ابن الإمام الشهير أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي رضي الله عنهما»، وأشار إلى وفاته «في السابع والعشرين من رجب من عام ستة ومائة وألف»[60].

---

56 – الكتاني، **سلوة**، ن. م.، ج 3، ص 100–101.

57 – لأنه آخر تاريخ يثبت وجود العدلوني حيّا، وهو تاريخ نسخه لأحد المخطوطات، انظر: المنوني (محمد)، «الوراقة المغربية في العصر العلوي الأول»، في **دعوة الحق**، السنة 16، العدد 10، الرباط، مارس 1975، ص 84؛ نفسه، **تاريخ الوراقة المغربية. صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة**، الرباط، 1991، ص 120.

58 – اليوسي، فهرسة اليوسي، **ن. م.**، ص 16.

59 – زيان العراقي، **فهرس زيّان العراقي**، تحقيق أحمد العراقي، فاس، 2015، ص 78.

60 – الوليد العراقي، **الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس**، تحقيق أحمد العراقي، فاس، 2015، ص 203–204.

وقد عدّد الحضيكي محمّد بن الحسن اليوسي من بين شيوخ عبد الله بن أحمد السكتاني الووجدمتي نزيل مراكش، ت 1142 هـ/ 1729 م[61]، لكن لا يمكن أن نثبت أي المحمديْن يقصد. وأشارت بعض الدراسات إلى كتب مخطوطة من تأليف محمّد بن الحسن اليوسي، ولكن لا يمكن أن نثبت أي المحمدين هو المؤلف، ولعل الاطلاع عليها أو نشرها يحسم هذا الجدل، من ذلك: مخطوط **تنبيه الاخوان على ترك البدع والنسيان**، الموجود بزاوية تنغملت بإقليم بني ملال رقم 282، وبعض الأراجيز ذات المسحة الصوفية الموجودة بالمكتبة الوطنية المغربية بالرباط، رقم 612 ج[62]. كما أنه لا يمكن التعرف أي المحمدين نسخ كتاب **القانون** الذي ورد في حَرْد مَتْنِه: «بلغت المقابلة إملاء على الشيخ الوالد وسردا عليه رحمه الله حرفًا حرفًا... صبيحة يوم الأحد آخر شهر صفر عام أحد ومائة بعد ألف»[63]. (أوائل ديسمبر 1689 م) أي قبل انطلاق الرحلة.

وذهب بعض الباحثين إلى أن مُحمد الكبير هو مؤلف الرحلة دون التدليل على ذلك، ومنهم عبد السلام بن سودة الذي اعتبر أن رحلة الحسن اليوسي قد «جمعها له ولده أبو عبد الله محمّد المتوفى سنة 1107 هـ/ 1689 م»[64]، وكذلك السملالي الذي اعتبر أن مؤلف الرحلة قد توفي سنة 1107 هـ/ 1689 م وأن شقيقه هو باعث الرسالة إلى الناصري سنة 1109 هـ/ 1691 م وأنه كان حياً في تلك السنة[65]. واعتبر المدغري أن مدون الرحلة هو مُحمد الكبير، وأنه ألّف بالإضافة إلى الرحلة كتاب **تنبيه الإخوان على ترك البدع والعصيان**، الذي ما زال مخطوطًا[66]. وذهب محمّد حماني

61 - الحضيكي، **ن. م.**، ج 2، ص 528.

62 - اليوسي، **القانون**، ن. م.، ص 39-40.

63 - اليوسي، **القانون**، ن. م.، ص 45.

64 - بن سودة (عبد السلام)، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، بيروت، 1997، ص 234.

65 - السملالي، **ن. م.**، ج 6، ص 7.

66 - المدغري (عبد الكبير العلوي)، **ن. م.**، ص 119. ولمحمد بن علي بن إبراهيم أكبيل السوسي الهوزالي، ت 1162 هـ/ 1749 م، كتابًا بالاسم نفسه، انظر: الهوزالي، **تنبيه الاخوان على ترك البدع والعصيان**، تحقيق محمّد ستيتو، وجدة، 2001.

أن محمّد الكبير الذي تُرجم له في السلوة والأعلام هو من جمع ديوان والده ومن ألّف رحلته الحجازية[67]. وإلى هذا الرأي انتهت عواطف محمّد يوسف نواب[68].

في الحقيقة فإن الرجوع إلى ديوان الحسن اليوسي كاف لتبديد الالتباس الذي طغى على كتابات القدامى والمحدثين على حد السواء، وهو ما انتبه إليه محمّد المنوني منذ مدّة، حيث أكّد أن مؤلف الرحلة هو مَحمد (بالفتح) العياشي، الذي كان بقيد الحياة سنة 1119 هـ/ 1708م[69]. وأكد أن محمّد العياشي هو جامع ديوان والده وأثبت فيه ما وجده من أشعار بعد ما ضاع منها أكثرها ورتّبها على المعجمية المغربية[70] وكذلك أكّد عبد الهادي التازي[71]. فجامع الديوان هو بالتأكيد مرافق والده في حجّه، إذ أورد حادثة في الديوان جمعته بوالده بمورد الجميمة ببرقة[72]، كما ذكر في حرد متنه أن الانتهاء من جمع الديوان كان «بمصر لمّا حجّ سنة اثنتين ومائة وألف»، أي في رحلة العودة. ثم إن جامع الديوان يذكر أخاه الشقيق بصيغة «سيدي محمّد رحمه الله»[73]، ويدلّ الترحّم على أن الشقيق توفي قبل النسخ النهائي للديوان. ومن حسن الحظ، فإن هذا التاريخ معروف، إذ ذكر الجامع في حَرْدِ مَتْنِه دائمًا أن تمام النسخ كان «على يد عبيد الله محمّد بن الحسن بن مسعود اليوسي أواخر شوال في السنة التاسعة عشرة ومائة وألف»[74] (أواسط شهر جانفي 1708 م).

يؤكد ما نقله الأستاذ حميد حماني اليوسي عن مخطوط في **مناقب اليوسي** لعبد السلام بن عبد الرحمان العدلوني في ترجمة محمّد العياشي،

---

67 – اليوسي **القانون**، ن. م.، ص 37–42؛ نفسه، **فهرسة اليوسي**، ن. م.، ص 16، هامش 3.

68 – نواب (عواطف محمّد يوسف)، **ن. م.**، ص 71، 665.

69 – المنوني (محمد)، **المصادر العربية**، ن. م.، ج 1، ص 188.

70 – المنوني (محمد)، **المصادر العربية**، ن. م.، ج 1، ص 196.

71 – التازي (عبد الهادي)، **رحلة الرحلات**، ن. م.، ص 237.

72 – **ديوان اليوسي**، ن. م.، ص 412.

73 – **ديوان اليوسي**، ن. م.، ص 300.

74 – **ديوان اليوسي**، ن. م.، ص 38.

بصفة قطعية نسبة تأليف الرحلة، ويُفيد بتاريخ وفاة المؤلف. لذلك، نورد هذه الترجمة حرفيا لأهميتها، وفيها: «أما سيدي محمّد العياشي، فكانت همّة سامية، ونعوت عالية، وعطيات نامية، وعلوم هامية، وكرامات فاشية، ومآثر بعد موته باقية، وأذكار جارية، وآداب سالية، ذا (كذا) عفاف وصيانة، ومروءة وديانة، وعدالة وأمانة، جيد الفهم، مصيب السهم، له كرم وجود، شاع ذكره في الآفاق، وتحدثت بمآثره الرفاق، كان متولي القراءة بين يدي والده، وصحبه في مصادره وموارده، وذلك عام واحد ومائة وألف، ثم حجّ ثانية عام تسعة وعشرين ومائة وألف، ثم توفي في أواخر جمادى (...) عام واحد وثلاثين ومائة وألف. وترك أولادًا ذكورًا وإناثًا، فأكبر الذكور سيدي عبد الرحمان، وأمه آمنة بنت الحاج هباب السلوي، وليس لها غيره، وهي في قيد الحياة، قدمت معه لأرض الحجاز. وسيدي عبد المالك، وأمه بنت السيد محمّد ابن مالك اليوسي. وسيدي محمّد الحاج، وأمه ملك اليمين. والصبي سيدي محمد، وأمه ستي بنت أحمد بن بوه اليوسي. والصبي سيدي علي، وأمه بنت السلوي من مدينة فاس، مطلّقة في حياته، وله منها بنت في عصمة ولد عمها سيدي محمّد ابن سيدي عبد الكريم. ومات الصبي سيدي محمّد الحاج، وله أم ولد»[75].

وهكذا نخلص من أن مدوّن الرحلة هو مَحمّد العياشي الابن الثاني لليوسي وجامع ديوانه، المتوفى بعد قفوله من حجّته الثانية في جمادى 1131 هـ/ مارس - ماي 1622م. وللأسف لم نجد ترجمة وافية له فيما اطلعنا عليه من مصادر ووثائق أخرى، لكن الأكيد أنه كان مؤلِّفا وأنه خلّف العديد من الآثار، فقد نقل حميد حماني عن حفدة مَحمد العياشي اليوسي أن جدّهم ترك العديد من الكتب المخطوطة لكنها تلفت نتيجة العبث المتواصل بها[76]. أما الآن فلا يعرف لمَحمد من التأليف سوى الرحلة، إضافة لجمع ديوان والده الذي أتمّه في أواخر شوال 1119 هـ/ أواسط

75 - اليوسي، **فهرسة اليوسي**، ن. م.، ص 16-17.

76 - اليوسي، **القانون**، ن. م.، ص 43.

جانفي 1708 م[77]، ونسخه لبعض كتب والده مثل كتاب القانون[78]. وقد ذكرت له بعض المصادر أشعارا[79]، كما حفظ التستاوتي نصوص رسائل كان تبادلها مع محمّد بن الحسن اليوسي لكننا لا نعلم أيهما يقصد[80]. لكن إحداها على الأقل حبّرها مَحمد العياشي وبعثها إلى التستاوتي بعد خروجه من السجن ردا على الرسالة التي بعثها له لتعزيته في شقيقه محمّد الأكبر، وتحتوي هذه الرسالة شعرًا من إنشاء المؤلف[81].

3 – ظرفيّة الرحلة: مسارها ومضمونها[82]

أ – مسار الرحلة

تواصلت رحلة اليوسي سنة قمرية كاملة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما، إذ انطلق الركب من فاس يوم السبت 14 جمادى الثانية 1101 هـ/ 24 مارس 1690 م[83]، وكان الرجوع إلى تمززيت يوم الأحد 25 شوال 1102 هـ/ 21 جويلية 1691 م[84]، وقد ضمّ الركب الأمير المعتصم بالله ابن

---

77 – المنوني (محمد)، «الوراقة المغربية في العصر العلوي الأول»، **ن. م.**، ص 88.

78 – اليوسي، **القانون**، ن. م.، ص 94.

79 – اليوسي، **القانون**، ن. م.، ص 45، نقلاً عن **نزهة الناظر** للتستاوتي؛ الناصري، **ن. م.**، ص 706

80 – البدري (أحمد الطريق)، «حول رسائل اليوسي المجهولة في كتاب نزهة الناظر لأحمد بن عبد القادر التستاوتي»، في **التراث المغربي والأندلسي. التوثيق والقراءة**، تطوان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، جامعة عبد الملك السعدي، 1991، ص 302–303.

81 – اليوسي، **القانون**، ن. م.، ص 44، نقلا عن مخطوط نزهة الناظر للتستاوتي.

82 – لن نحيل في هذا الفصل على أرقام الورقات من المخطوط حتى لا نثقل النص، ومن أراد التثبّت فليعد إلى الفهارس التفصيلية.

83 – أشار القادري في نشر المثاني في أحداث سنة 1101 هـ أن ركب الحج خرج يوم 20 جمادى الثانية/ 30 مارس 1690 م، ومعه سيدي الحسن بن مسعود اليوسي بتوجيه من أمير المؤمنين. انظر: القادري، **نشر المثاني**، ن. م.، ج 3، ص 16.

84 – من الباحثين من اعتقد خطأ أن الحسن اليوسي حج مرّتين، وأن حجة سنة 1101 هـ هي حجته الثانية. انظر: ليفي بروفنسال (إيفارست)، ن. م.، ص 190–191؛ الأخضر (محمد)، ن. م.، ص 135؛ خليل (فاطمة)، **رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي**، ن. م.، ص 107.

المولى إسماعيل وأخته الأميرة ستّ الملك[85]، لكن الغريب عدم إشارة مُدوّن الرحلة إلى هذا الأمر.

تخلّلت الرحلة استراحات عديدة، تجاوز أحدها الأربعة أشهر، وكانت بالقاهرة في رحلة الرجوع. ويمكن تلخيص أهم محطات الرحلة في الجدول الآتي:

اسم المحطة	الوصول إليها	الانطلاق منها	مدّة الرحلة
فاس		السبت 14 جمادى الثاني 1101	5 أشهر و24 يوما
عين ماضي	الاربعاء 16 رجب	الخميس 17 رجب	
بسكرة	السبت 26 رجب	الاثنين 28 رجب	
توزر	الأحد 5 شعبان	الاثنين 6 شعبان	
طرابلس	السبت 18 شعبان	الاثنين 27 شعبان	
مسراتة	الجمعة 2 رمضان	الأحد 4 رمضان	
التميمي	السبت 23 رمضان	الاثنين 25 رمضان	
القاهرة	السبت 15 شوال	الخميس 27 شوال	
بندر العقبة	الأحد 7 ذي القعدة	الاثنين 8 ذي القعدة	
بندر المويلح	السبت 13 ذي القعدة	الثلاثاء 16 ذي القعدة	
الينبوع	الجمعة 26 ذي القعدة	السبت 27 ذي القعدة	
مرّ الظهران	السبت 5 ذي الحجة	الأحد 6 ذي الحجة	
مكّة المكرّمة	الأحد 6 ذي الحجة		
مكّة المكرّمة	الأحد 6 ذي الحجة	الاثنين 21 ذي الحجة	10 أيام
المدينة المنوّرة	الخميس 1 محرم 1102	السبت 3 محرم 1102	
المدينة المنوّرة		السبت 3 محرم 1102	10 أشهر و22 يوما
الينبوع	9 محرم	10 محرم	
بندر المويلح	الأحد 18 محرم	الثلاثاء 20 محرم	
بندر عقبة إيليا	السبت 24 محرّم	الاربعاء 28 محرم	
القاهرة	الخميس 6 صفر	الخميس 15 جمادى الثانية	
إمبابة	الخميس 15 جمادى الثانية	الجمعة 22 جمادى الثانية	
أجدابية	الأحد 30 رجب	الاثنين 1 شعبان	
مسراتة	الاثنين 15 شعبان	الاربعاء 17 شعبان	
طرابلس	الأحد 21 شعبان	الجمعة 26 شعبان	
توزر	الأحد 13 رمضان	الثلاثاء 15 رمضان	
عين ماضي	5 شوال		
تمزريت	الأحد 25 شوال 1102		

85 - القادري، **نسمة الآس في حجّة سيدنا أبي العباس**، مخطوط بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، رقم ك 1418، الجزء العاشر ضمن مجموع، ورقة 147 ظ. وراجع: التازي (عبد الهادي)، **أمير مغربي في طرابلس**، ن. م.، ص 37.

إلا أن ما ميّز هذه الرحلة عن غيرها، على حسب تعبير الكاتب، هو السرعة، إذ صرّح بقوله: «واعلم أنّ مسيرنا هذه السَّنة ما رأى الراؤون مثله، إذ ضاقت الوقت وخِفنا الفَوَات، فكنّا نَسير سيرًا مُجدًّا لا يُعَبَّرُ عنه». وكانت النتيجة الحتمية لهذه السرعة هو التعب الشديد الذي عبّر عنه الكاتب عند الوصول إلى بسكرة ذهابًا بالقول إنهم كانوا: «في غاية التّعب والنَّصَب»، كما عبّر عنه يوم الوصول إلى القاهرة ذهاباً بقوله: «ونحن في غاية الجَرْي والتّعب والهَمّ والكَدّ».

يظهر من خلال المعطيات التي عرضها اليوسي أن خط سير الركب كان مدروسا ومُتّفقا عليه من قبل خروج الركب، على الأقل فيما يهمّ محطاته الكبرى، بدليل أن الركب المُشرّق أو المتّبع لرحلة التشريق كما يُسمّيها الكاتب، كان يُحمّل برسائل إلى الركب المُغرّب. وقد تمّ اللقاء بين الركبين سنتا 1101 هـ/ 1690 م و1102 هـ/ 1691 م في مدينة طرابلس ذهاباً وإيّاباً[86].

86 - نقل القادري في **نسمة الآس** معطيات عن ركب اليوسي المُشرّق بطرابلس لم نجدها في الرحلة التي نحن بصدد تحقيقها، لذلك، وجدنا من المفيد عرض شهادته هنا: «وكان ممن أتى مع الركب قاصدًا للحج الشيخ سيدي الحسن اليوسي رضي الله عنه، وكان سيدنا لما قدم أطرابلس، مرّ على بعض الدور من دور المنشية، فقيل له هذه دار سيدي الحسن اليوسي، فترجّل عن دابته ودخل إليه إذ كان يأتي إليه قبل ذلك بمدينة فاس ويزوره [147 ظ] ويطلب منه الدعاء ويستشيره. فلما أشرف عليه، قام يتلقاه وفرح به غاية، وقال له الشيخ الحسن: يا سيدي أردت أن آتيك وقد بعثت بعض الطلبة يسألون عن منزلك فآتيك به. فدعا له سيدنا وانصرف. وكان ممن قدم مع الركب حاجا الشاب المحفوظ بالله مولانا المعتصم بالله ابن السلطان الأفخم والملك الأعظم والخليفة الإمام أمير المؤمنين مولانا إسماعيل بن الشريف الحسني السجلماسي، بعثه والده الخليفة المذكور لتلك الأماكن الشريفة والمآثر المنيفة يحصل ثواب ذلك إذ لا يمكنه القدوم هنالك نفعه الله بنيته، فبنفس ما نزل سيدنا بداره أتاه مؤدب ابن الخليفة المذكور، ففطن سيدنا لذلك وقام من فوره وقال له: سِرْ بنا إلى ابن الخليفة أميرنا نُسلّم عليه. فذهب معه حتى وصل منزله، فلما رآه القيم على أمره والواصي عليه وهو بعض قواد أبيه، قام مسرعا يتلقاه وأقام مولانا المعتصم وقبّله وأكبّ هو على يديه يقبّلها وجلس وتحدث معه ساعة، ثم قام وتبعه مولانا المعتصم ومن حضر هنالك معه يشيعونه وأكبوا عليه يطلبون منه الدعاء وتعلقوا به كل العلق فلم ينفصل عنهم إلا بكلفة، وقال لنا: لما خرجت من عنده وكنت أنا وسيدي عبد الرحمان الصومعي معه، ما أتيت إلا خشية أن يأتيني هو، ورأيت أنه شريف وصبيّ صغير وابن الأمير ولأجل أن يقال جاء فلان إلى فلان ولا حاجة لي بذلك لما فيه من الشهرة، وهو أبعد الناس من ذلك. والمعروف وقد كان أشع قبل من لقى والده السلطان وقد بعث إليه المرة بعد المرة فأشع من لقائه إشاعا كليا

حرص اليوسي على ضبط جلّ محطات الطريق بالاسم والوصف، وتحديد تواريخ الوصول إليها أو المرور عبرها أو الخروج منها باليوم والشهر، ودقّق في عديد الأحيان اليوم من أيّام الأسبوع، والوقت من النهار أو الليل (صباحًا، ضحى، وسط النّهار، ظهرًا، عشيّة، غروبًا، بعد الثّلْث الأوّل من اللّيل، نِصف اللّيل، غلسًا..)، وكان يضبط تاريخ دخول الشهر القمري عبر رؤية الهلال، ويُحدّد عدد الأيام التي مضت من الفصل أو بقيت منه. وأحيانا كان يضبط التواريخ بالتقويم العجمي مثل إشارته إلى أن المرور بالتميمي ذهاباً كان يوم العَنْصَرَة، أو أن الخروج من القاهرة إياباً كان يوم الخامس من مارس بعد مرور ثمانية عشر يوماً من فصل الرّبيع. كما أورد بعض التقويمات المحلية كحديثه عن خروج الركب من القاهرة في اتجاه الحجاز « ثاني أو ثالث يوم من السَّمَائِم».

نعتقد أن هذه التفاصيل الدقيقة دليل على أن مشروع تدوين الرحلة كان جاهزا في ذهن المؤلف قبل انطلاق ركب الحج، وأن هذا التدوين كان يتمّ أثناء الرحلة عبر تقييدات أو جذاذات، وأن التدوين النهائي للرحلة لم يكن إلا تجميعا لهذه التقييدات مع إضافة ما يقتضيه السياق من أشعار ونقول عن الكتب والرسائل والإجازات والذكريات.

اتبعت الرحلة طريقاً بريا حتى قابس، ثم طريقًا موازيًا للبحر إلى قريب من الإسكندرية. أما بعد الخروج من القاهرة، فيمكن الحديث عن تطابق بين دربي الحاج المغربي والمصري.

كان انطلاق الركب الفاسي من فاس طبعا إلا أنه بعد الوصول إلى الولجة البيضاء عاد اليوسي الابن إلى تمززيت لحمل ما تبقى من لوازم السفر، ثم التحق بوالده بموضع الغرفة عبر مسلك مخالف لمسلك الركب. وكان الركب يضم عند انطلاقه جمهور المودّعين الذين يرجعون إلى مواطنهم في

ولم يره إلى الآن. وقد لقي سيدنا يوم دخوله إلى طرابلس من وجوه الناس بشر كثير منهم شرفاء سجلماسة وأمراء الركب، وكان للركب أميران أحدهما مولاي عمر بن هاشم الحسني السجلماسي والآخر الحاج محمّد الحسيني كان الله لهما وأعانهما ولم يختلف عن سيدنا من أهل الركب إلا القليل، وكانوا يترددون إليه». راجع: القادري، **نسمة الآس**، ن. م.، **ورقة** 147 و – 147 ظ.

محطتين متقاربتين، أولاهما الفحّامة التي ينقطع خبر الغرب فيها وثانيهما بلزوز حيث لا يبقى من المودّعين أحد.

استمر الركب في سيره حتى محطة النخيل أين اجتمع بالركب السجلماسي، ثم واصل الركبان الرحلة معا بقيادة أميران: عمر بن هاشم الحسني للركب السجلماسي والحاج محمّد الحسيني للركب المغربي، والذي لم يذكره مُدوّن الرحلة[87]. تواصلت الرحلة إلى طرابلس حيث أقام بها الركبان تسعة أيام، والتقيا خلالها بالركب المُغرّب. ثم تواصلت الرحلة إلى مسراتة وهي: «آخر ما ترى من البنيان إلى مصر»، لتبدأ مراحل صعبة تنتهي في القاهرة أين أقام الركب 12 يوما. بعد ذلك، خرج الركبان المصري والمغربي معا بعد توقّف قصير بالبركة التي اعتبرها الكاتب: «آخر العمارة وأول المفازة»، وقد وصف اليوسي سير الركبين، فانطلاقاً من بندر النخيل في اتجاه مكّة يتقدّم الركب المصري عن المغربي الذي يلحقه في كل بندر. أما في رحلة العودة، فيكون الأمر معاكسا، فبدءً ببندر العقبة رجوعا، أصبح المصري يرحل عشية والليل كله ويكمن في النهار، والمغربي عكسه، لكن الحرّ الشديد والتعب المفرط جعل المغربي يعكس برنامجه فأصبح يسير «أوّل النهار وآخره والليل كله».

أقام الركب المغربي بمكة 15 يومًا، أدّى خلالها مناسك الحج ثم انطلق نحو المدينة للزيارة، وهنا تعذّر على المؤلف السير مع الركب المغربي فبات مع المصري. وبعد أيام ثلاث من الإقامة بالمدينة، خرج الركب فاتبع الطريق المعتادة لدى الحجّاج وذلك بالمرور على الجديدة حيث يترك الناس أثقالهم حتى يجدوها عند الرجوع، ثم اتباع ما سماه بالدورة أي ترك طريق بدر يمينا والذهاب شمالا باتجاه الينبوع التي مثّلت محطة اجتماع الركب المصري.

إثر الوصول إلى القاهرة، أقام الركب المغربي بها مدّة أربعة أشهر وتسعة أيام قبل أن يخرج منها للإقامة من جديد بإمبابة مدّة ثمانية أيام، ثم واصلوا الرحلة إلى قُبالة طرابلس حيث نزلوا على الركب المُشرّق. وقد تسارعت

87 ـ القادري، **نسمة الآس**، ن. م.، ورقة 147 ظ.

خطوات الركب في رحلة الإياب بسبب ما وُجد بجهات طرابلس وإفريقية من الوباء، وعلّق المؤلف على ذلك بقوله: إنّ الركب «قبل هذه السَّنة لا يَصِلون هذه البلاد إلاّ في أُخريات رَمَضان»، والمقصود بالبلاد هو غسران التي مرّ عليها يوم 19 رمضان. وخلال هذه المرحلة الأخيرة، اختصر الكاتب وصف المراحل اختصاراً شديدا وانتهت الرحلة بالوصول إلى تمززيت.

ب – مصاعب الرحلة

أطنب اليوسي في وصف مصاعب الرحلة ومخاطرها، وردّد في كثير من المرّات أن مكان غير القادر على تحمّل مشاقها هو المنزل وترك الحج لمن يتجشم عناء السفر، وقد نبّه المؤلّف إلى أن الحج يستوجب صحّتين: «الزوادة والبدن» لما فيه من مشقّة، وأن المراحل الصعبة هي التي تلي مصر، «فالحج كلّه من مصر» كما قال، وأكد على ضرورة تسلّح الحاج «بالصبر الكامل والحَزِم والعَزْم» حتى يستطيع اقتحام المَسالك، والتَجَلّد للمَهالك.

تتضمن الرحلة صورا مأساوية عن حالة الركب جرّاء هذه المصاعب، فقد وصف المشي ليلا من الينبوع إلى قاع البزوة بقوله: «مشينا ليلنا وقاسينا ويلنا»، ووصف وصول الحجّاج إلى خنق الملح، بعد خروجهم من النخيل، بأنهم «مشرفون على الهلاك». وذكر أن الوصول إلى مغارة شعيب لم يكن «إلاّ بعد الهلاك، ومات من النّاس ما لا يُعَدُّ ولا يُحْصَى عَطشًا وحرّاً وسَيْرًا قويّاً». وأشار إلى اقتران وصول الركب المصري إلى الينبوع بموت عدد كبير من الجنود.

أبدع المُدوّن في وصف مصاعب الطريق ومخاطره، طبيعية كانت أو بشرية، وانعكاساتها على وضعية الركب وصحّة الحجّاج ونفسيتهم، واستعمل لذلك عبارات قاسية قد تُنفّر الراغبين في الحج من أداء فريضتهم، ولعلها نرجسية المؤلف الذي أراد إبراز قدرته على تجشّم هذه الصعاب.

أعاقت تقلّبات الطقس والمناخ تقدّم الركب، منها درجات الحرارة القصوى والدنيا، فوصف الكاتب مرحلة عبور وادي التيه بقوله: «ما في الدّرب أقبح ولا أكثر منها رَمْلاً وعَطَشاً وحَرّا». وعند الوصول إلى بندر المويلح، صرّح المؤلّف بأنه لم ينس «حَرَّ ذلك اليوم، وما ظَنَنْتُ أن الإنسان

يُغْشى عليه إلى يومي ذلك، وقد غُشِيَ عَليَّ من حين بَلغنا». وفي توزر، أشار إلى معاناته من الحرّ الشديد، وأشار إلى وغرة شديدة أدركتهم بوادي البسباس. أما البرد، فمثّل بدوره عائقا في بعض المراحل؛ فعند الانطلاق من سيدي عبد الخالق، تحدّث المؤلف عن «يوم شاتٍ وبَرْد قَويّ، ما رأيتُ أشدّ من ذلك اليوم تعبا ولا أقوى منه نَصَبا». وفي محطة النخيل، ذكر أن البرد الذي لاقوه كان «ما لا يَصِف الواصِفون ولا يُكَيِّفه المُتكلّمون».

أما الرياح العاتية، فكانت أيضاً من معوقات الرحلة؛ ففي السطح قرب جبل عنتر، تحدّث اليوسي عن «رياح عاصفة شديدة قاصِفة، حتى غيّر الرِّحال ومثّل بالرِّجال». وعند عبور السبخة شرق توزر، أشار إلى «ريح صَدع الرؤوس وأتعب النّفوس، وما رأيتُ ريحًا أقوى منه، حتى إنّه يَقْلع الثوب عن صاحبه ويذهب به كرها، وكثير من النّاس بلغ الدّار عُريانا. وظلّ في هذه الرّيح من الحُجّاج خمسة وعشرون رجلا»، وأضاف أن الرياح هنالك تُحوّل الملح إلى ثلج، «فإذا أصاب عين الرّجل سقط على وجهه حتى يَحول الرّمل بينه وبين الرِّفْقَة، فلا يدرى أين يَذهب وتأكله الفَيْفاء». كما تحدث عن نفخ الرياح المُضرّة بمقطع الكبريت حيث «مات من الناس ومرض منهم الكثير». أما بالتميمي، فأشار إلى ريح تواصل يومين «أَحْرَق الفُؤاد ومَرَقَ الأكباد، وتَرَى الرّجل يشرب الماء كأنّه يَرْميه إلى خَلف». وفي بندر المويلح، تحدث عن ريح «تَخرج من البحر كريح الفُرْن». وفي وادي النار بعد النبط، أشار إلى «ريح كالنار فتَرَى الرّجل يَمشي ويَتَكَلّم ويَطلب الماء، فإذا عُنقه مُلتوية وليس ذلك من العَطَش ولا من الجوع». وفي رحلة العودة، أشار في بولاق إلى «البرد والرّياح المختلفة المترادفة إذ وافيناه في فصل الشّتاء»، وقد أصاب الركب بمقطع الكبريت «ريح شرقيّ يوماً أذهب الماء ونَشَفَ القِرَب». وفي مليتة، ذكر «ريح ما رُئِيَ مثله في وادي النَّار ولا في غيره. ومات من النّاس يومئذ كثير وكذلك الإبل... ما رأيت أضرّ منه قَطّ ولا أقوى».

عرقلت الأمطار أيضاً سير الركب؛ ففي سيدي بويدو، اضطر الركب للتوقّف أربعة أيام بسبب تهاطل الأمطار. وفي الطريق إلى مطمطة، تحدث عن «مَطر غَزير ووَحْل كثير». وفي الطريق من بسكرة إلى مقام سيدي عقبة،

أشار إلى «مطر حتى عَجِزت الإبل عن المسير لأنّ أرضَها سَبْخَة، فلمّا أصابها الماء صارَت كالغَاسُول فتَرَى الإبل يَتَساقط بعضها على بعض والنّاس كذلك». وفي النخيل بسيناء، اشتكى المؤلف من «رعود وبروق وبرد ومطر حتى أضرّ بالنّاس كثيراً».

إضافة إلى العوامل المناخية، مثّل فيضان الأودية ووعورة التضاريس عقبات رئيسة أمام تقدّم الركب في العديد من الأحيان؛ فقد منع فيضان وادي إياون من عبوره ممّا اضطر الركب للإقامة عليه يوماً «لِيَنْقُص ماؤه ويَقِلّ عَناؤه». وفي خنق الملح، لم يستطع الحجّاج بناء أخبيتهم «إلا بشقّ النّفس من شِدّته وقَسْوَته». كما صرّح بأن أقبح ما في المرحلة كان بين وادي عبد المجيد ووادي سيدي خالد بسب «الأرض الخَشِنَة الصَّلْبَة والعَطَش والخوف». ووصف مفازة مقطع الكبريت بأنها: «من أقبح مَفاوِز هذه الطّريق لخُشونة أرضها». ووصف مفازة التميمي بأنها: «ما في بَرْقَة مثلها، بل ولا في الدّرب. وأرضها ذات حِجارة».

لئن كان بالإمكان تجاوز العوائق الطبيعية بإحكام التدبير، فإن التهديدات البشرية تظل الأكثر شراسة وتخويفًا لدى المؤلّف لعدم توقّعها المسبق. ولعل أهم المخوّفات كانت إغارات القبائل أو من سمّاهم المؤلف بالأعراب التي شغلت الركب على امتداد الدرب؛ من ذلك، عزم أولاد يعقوب على نهب أمتعة الحجّاج، أو وصفه لبلاد برقة بأنها «بلاد الخَيْل ومَحَلّ الغارات، ومَن نُهِبَ مَتاعه لا يُمكن به اجتماعه أصلاً»، أو إشارته إلى قبائل الجبل الأخضر بقوله: «تَرَى الأعراب أطراف الرّكب كالذّئاب الضَّارية، مَن قَبَضوه جَرَّدوه»، وذكر أن أعراب أرياف مصر «يَأتون بالستّين والمائة فارس يَتَلَقّون الحَجيج مسيرة عشرة أيّام ويُراعون غِرَّتَه، فإن وَجدوها أغاروا عليه، وكنّا نَراهم إذا ضاق اللّيل يبرقون كالوحوش»، وتحدث في إمبابة عن أربع مائة فارس من الأعراب مخالفون للغزّ يثيرون الخوف والهلع لدى الحجّاج إذ أنهم يقتلون كل من لحقوه منهم. وفي الطريق من بندر عقبة إيليا إلى المويلح، تحدّث عن ألف وخمسمائة لصّ من عرب الشام والحجاز وأرياف مصر الذين كانوا يتربّصون بالحجّاج المغاربة. وعند الخروج من الدار الحمراء،

أشار إلى عمليات الإغارة والنهب التي كان يشنّها أعراب الأرياف من دون تدخّل حكام مصر من الغزّ.

نبّه المؤلّف على ما سمّاه بالمواضع المُخوّفة مثل الوجه وعش الغراب والأكره، وكان دائم التوصيف لحالات الخوف والذعر مثل ما كان الحال في وادي سيدي خالد وإمبابة، وعبّر عن ذلك في المرحلة الفاصلة بين سطح العقبة وبندر العقبة ذهاباً بقوله: «ما رأيتُ أَفْضَع منها ولا أقبح خَوْفًا وصعوبة». وأدّى هذا الهلع مثلاً إلى تأخّر الركب ثلاثة أيام في بندر العقبة عند الرجوع، وحتى بعد الخروج من البندر فقد تواصل الخوف إلى حين الوصول إلى السطح.

استدعت هذه التهديدات تكاثف كل الحجيج حتى يُصبح تكتلهم قوة رادعة. كما أكّد المؤلّف أن الركب كان مُسلّحًا، وأن الرصاص كان خير رادع للمهاجمين كما كان الحال في مواجهة قبائل النجم والهنادي بالصحراء الغربية المصرية أو بإمبابة. أما في الحجاز وسيناء، فقد دخل الركب المغربي تحت حماية الركب المصري الذي قادهُ الدويدر المسلّح بالبنادق والمدافع، كما نعتقد أن وجود أحد عمّال السلطان مولاي إسماعيل بعين ماضي كان أيضاً بهدف توفير الحماية لركب الحج في طريق العودة.

من مخاطر الطريق التي كانت تُهدّد الركب نذكر السرقات عند مروره بالتجمّعات السكنية. لذلك، ترى المؤلف يُحذّر من السرقة عند مرور الركب بتاجورا بالقول: «احذر على نَفسك من السّرقة في هذه الدّار، فإنّهم يَسْرقون هُدْب الأشفار». وفي جرجوب، نصح الحجّاج بقوله: «اِحْرس نَفسك ما استَطعت». كما اعتبر مكّة أكثر المواضع ملاءمة للسرقة بسبب الاكتظاظ والازدحام أيام الحج.

نبّه الكاتب على ضرورة الالتحام بالركب، وعدم الزيغ عنه وإلا آل الزائغ إلى الضياع، وشدّد على بعض المواضع في ذلك مثل غابة الجبل الأخضر بالقول: «إيّاك أن تَزيغ عن الرّكب فتذهب أَحْلاَسك». وأشار في هذا السياق إلى خمسة وعشرين حاجّا ظلوا طريقهم أثناء عبور السبخة شرق توزر بما في ذلك رجل من أهل توات تاه عنه جمله الحامل لبنته وماله.

كان الوباء أو الطاعون أحد الأخطار التي تواجه الحجيج أيضاً، ففي طريق العودة، وجد الركب الوباء متفشياً بجهات مسراتة وتاجورا وطرابلس وقابس. ورغم الاحتياطات التي اتخذها الركب بعدم الدخول إلى المدن المنكوبة، فقد أدّى الطاعون إلى موت أربعة حجّاج في ابن قردان في عشية واحدة.

ج - الماء هاجس أساسي للركب

مثّل حضور الماء وجودته هاجسًا رئيسًا لدى صاحب الرحلة، وهو أمر حتّمته طبيعة مسلك الحج الذي يخترق مجالات جافّة وصحراوية، فلا تكاد محطات الطريق تخلو من إشارات إلى هذا الأمر الحيوي. لذا، جاءت الرحلة بمثابة أطلس لنقاط الماء الصالحة للشراب على امتداد درب الحج. قام المؤلّف بتحديد المحطات التي يتوفر فيها الماء وتلك التي تفتقده، فكان يحدد مصدره (أودية، آبار، غدران، حُفر، مواجل، معاطن، أحساء)، ويُفسّر أحيانا طريقة الغَرْف تسهيلا للحاج، فقد يكون «بالحبال الطوال والدلاء» كما هو الحال ببلدراس أو بنزح المعاطن مقدار نصف قامة بمورد النعيم، أو استعمال أربع حبال فما فوق بالأبيار الطوال، وقد ينصح بالإسراع في الغرف خشية نفاذ كميات الماء المخزّنة أو تنازع الناس فيه، وأحيانا يدلّ على بعض نقاط الماء المخفية على الركب أو مواضع بيعه وثمنه. وكان حريصا على تحديد الكميات الواجب حملها تحسّبا لانقطاع الماء في المراحل الموالية. ومع ذلك، فقد أشار إلى أن الأمطار أو «الماء السماوي» كما يُسمّيه، قد يُنجد الركب في بعض حالات عطشه مثل المياه المطرية التي مُنّوا بها بوادي سيدي خالد، أو «الماء السماوي» الذي لاقوه بوادي الحمامة.

كان المؤلّف حريصا على تحديد جودة الماء، فعندما تكون جودته عالية يُعبّر عنها بقوله: حلو، عجيب، طيّب، عذب، بارد، فرات، صفو نقيّ، من أحسن ما رأيت، من أحسن المياه، من أطيب ما يُشرب وما يُعوّل عليه، يُساغ، طيّب مشابه لماء النيل. أما إذا كانت جودة الماء متدنية، فلا يمتنع المؤلّف من وصفه سلبيا كقوله: منتن، فيه نتنة قليلة، مالح، مالح جدا، قوي مالح، قبيح، كريه، من أقبح المياه، مرّ، مرورة مائهم شديدة، لا يكاد يُساغ، كماء البحر، أمرّ من الحنظل، لا يصلح إلا للدواب أو الوضوء، لا

مُعوّل عليه للشرب، لا فرق بين مائها وماء البحر، كالحليب لونا وطعما، لا خير فيه، «ماؤه هَمّ وغَمّ، لا يُساغ بوَجْه ولا بِحال». كما حذّر المؤلّف من مرض الحجّاج نتيجة شرب بعض أنواع المياه كقوله: «يُسْهِل البَطن ويُوَرِّث الكَسَل بإذن الله تعالى، ولا بدّ لمن شَرِبَه أن يَتَضَرَّر منه كما شاهدناه في كثير من النّاس»، أو «يُسْهِل البطن إسهالا مفرطا مُضرّا»، أو «يُورّث الحُمّى»، أو «من اتكل عليه مات عطشا»، أو «لا يكاد ينجو منه من شربه»، أو «ماؤها يَقتُل الإنسان قَتْلَ السمّ الناقِع ويخلفه لا ذاهب ولا راجع»، أو «ومن شَرِب منهما فلا بدّ من فساد مِزاجه وظهور أَوْداجِه». وحتى ماء زمزم كان يؤدي إلى بعض الضرر حسب المؤلّف، فهو: «يتركك خاوي الرُّكبتين والضُلْع، بادي الأنين والوجع، ضعيف الحَركات أصفر الوَجْنات».

د – الأسواق والتجارة والصيرفة

أظهر اليوسي اهتمامًا خاصّاً بالأسواق التي يمرّ عليها ركب الحج، ونوعيّة السلع المتداولة بها. كما نستشف من معطيات الرحلة أن الركب المغربي كان سوقا متنقلة في حد ذاته، فالحجّاج كانوا يحملون معهم سِلَعا لبيعها في الطريق أو لمقايضتها بسلع أخرى، فعند مرورهم بتراب قبيلة العمور، لخّص المؤلّف صورة المبادلات بينهم حيث كان الحجّاج يشترون الغنم والسمن واللبن ويبيعون الثياب والشَّرَك أو يُقايضون بها.

ويشير المؤلّف إلى صنفين من الأسواق: أسواق قارة تتركز بالمدن والقرى الكبرى ويتبضع منها الحجّاج حاجاتهم الأساسية مثل أسواق بسكرة، توزر، طرابلس، تاجورا، مسراتة، التميمي، القاهرة، مر الظهران، ومكّة. ثم نجد الأسواق الظرفية التي تنتصب بمناسبة مرور قافلة الحج في مواضع معلومة حيث تأتي الملاقاة من المدن القريبة خصّيصا للاتجار مع الحجيج، مثل ما تمّ في مواضع مثل سلوك، عجرود، بندر النخيل بسيناء، بندر عقبة إيليا، بندر المويلح. وأحيانا تقام الأسواق لتنظيم المبادلات مع قبائل المكان مثل ما حصل مع العمّور ومع أعراب مصر بكرداسة وكذلك بجرجوب وجردس.

في هذا الإطار، ساق المؤلف بعض المعلومات المفيدة والنصائح لقرائه الراغبين في الحج مثل تعريفهم بالنقود المتداولة ومقدار صرفها وأفضلها صيرفة، وتوجيهم إلى المُراطلة الشرعية التي يجهلها أهل الحجاز ومصر.

كما عرّف بأثمان بعض السلع الحيويّة كالماء، وأشار إلى بعض الحِيَل مثل اغتنام وجود الغنمي السمين لعمل القدّيد والخليع. وعرّف أيضاً بالسلع الرخيصة وذات الجودة المعتبرة مثل العنب والتفاح والدلاع والبطيخ ببندر العقبة، والدلاع بمر الظهران، وزبيب غزة الأحمر في بندر عقبة إيليا، ودلاع الشام الحلو والتفاح في محطة النخيل بسيناء، وتمر سيوه بجرجوب، والسمن والغنمي السمين بجردس، والثمار والزرع بتوزر.

هـ - وصف السكان والمعالم والأعلام

أبدى اليوسي اهتماما بوصف بعض المدن والقرى والمعالم، ووصف السكان الذين التقاهم بَدْوا كانوا أو حَضَرا. فمن الناس الذين أطنب في مدحهم أهل المدينة المنورة الذين «يَغلب عليهم التَرّحم وحُبّ الغَريب ومُساواتهم والإحسان إليهم»، وأولاد وافي بجهة الزعفران الذين وصفهم بأنهم «نِعْمَ النّاس دِينا وأمانا ومَحَبّة في جانب الله تعالى. ورأينا منهم الخير التّام والمَحَبّة الصّافية». ومن الناس الذين أطنب في ذمّهم وهجائهم أهل دمد الذين «يَسرقون النوم من الأجفان إن كان لهم به إمكان»، وأهل بوعكازة بغابة ابن علوش الذين استغرب المؤلف توليتهم إمرأة علي أنفسهم وقال عنهم: «ما رأيت أقلّ من هؤلاء النّاس عقلا ودينا وأمانة وتمييزا... ولا يَلقاكَ أحد منهم إلّا وتَرَى الخِيانة في عَيْنيه»، وأهل بسكرة الذين لم يجد اليوسي من بينهم «من يَقرأ ولا يُقرئ، ولا من يُضيف ولا يُقري»، وأهل توزر الذين قال عنهم «وأمّا النّاس فلا ناس»، وقد صرّح بأنه لم يَرَ من تازة إلى توزر «أهل العقل والصلاح والكرامة». وفي مصر، وصف الترك «بالتَجَبُّر والتَكَبُّر والعَجَب والقُوّة والرّضا عن النّفس وخُبث السَجِيّة»، وسخر منهم لاعتقادهم بأنهم «حُكّام الأرض».

في حالات أخرى، كانت مواقفه متحفّظة، فعاب على بعض أهل مكّة أذيّتهم للحجّاج في طوافهم وقد قاسى منهم في ذلك الشيء الكثير واستشهد بمظفر الأمشاطي لدعم رأيه، لكنه صرّح بأن لهم حرمة، ودعا إلى ضرورة محبّتهم وتعظيمهم. وكذلك أهل القاهرة الذين لم ير فيهم «كثرة العُلماء والمُتعلّمين وتَعاطي الفُنون ومُداولتها... وكذلك أيضاً أهل الصّلاح والوَلاية» كما كان يُشاع إلا في جامع الأزهر، وشهد بالمناسبة على ضعف القضاة

بمصر وعدم اعتماد البعض منهم على الشرع، مستشهدًا برأي أحمد الشرفي والمنوفي من كتابه لطائف أخبار الأول. وكذلك أهل عين ماضي، فمن ناحية أشار إلى أن أهلها «يَتَلَّقون الحَجيج فرحا وسرورًا، وأكثرهم طَلَبَة يَقرؤون القرآن، ويَرغبون في مُلاقاة أهل الصّلاح»، إلا أنه وصفهم من ناحية أخرى «بثِقَل مُفرط وجَفاء في طَبائعهم وبَلادَة وشُحّ وبُخل». وربما يضاف إلى هذه الطوائف أهل المشرية لعدم مبالاتهم بركب الحج حيث وصفهم اليوسي بأنهم: «أحياء كأموات، ما رَأَيْنا منهم خيرا ولا شرّا، ولا نَفعا ولا ضَرّا».

حظيت المعالم المُشيّدة بنصيب محترم من اهتمام المؤلف، حضرية كانت أو ريفية، وذلك من خلال تعليقات قصيرة على ما كان جديرا بالذكر في نظره. واحتلت معالم مكّة والمدينة قائمة اهتمامات المؤلّف، فأشار إلى جل المعالم المرتبطة بمناسك الحج والزيارة، وأكد على بعض التفاصيل كذكره بناء الإمام علي لمسجد نمرة، أو ذكر الحجر المعلّق بدار أبي بكر الصديق الذي يتمسّح به الحجّاج تبرّكًا. وكانت مقامات آل البيت والصحابة والتابعين والعلماء أيضاً موضع اهتمام من ذلك روضة أم المؤمنين خديجة بباب المعلى بمكّة، ودار أبي طالب المكي بمكة أيضاً، ومقامات السلف بالبقيع.

أما خارج الحرمين، فقد تعرض إلى شتى أصناف المعالم، فمن المعالم الدينية أشار إلى المساجد مثل المسجد الخالي ببسكرة والمساجد الثلاث بطرابس ومسجد عمرو بن العاص بالقاهرة الذي «أحكمه الخِرَب ولا عِمارة بإزائه» وجامع الأزهر بها أيضاً. أما الزوايا والمقامات، فأشار إلى مقام سيدي عقبة بالزاب ومقام أحمد زرّوق بمسراتة وسيدي بوتركية بها أيضاً وقبر إبراهيم اللقاني ببندر العقبة وقبر مرزوق الكفافي بأبيار السلطان بالحجاز وروضة سيدي سلام بقرية شمال عرّام. وكانت المقابر من صميم اهتمامات المؤلف الذي زار مقبرة البقيع بالمدينة والقرافتين بالقاهرة.

أما المعالم المدنية، فقد أشار المؤلف إلى الخراب المستولى على بسكرة وإلى القصر العظيم المسمى قصر افريقية بغسران، وأعجب ببنيان توزر، وأشار إلى أن المنشية واسعة الطرق والديار، وذكر وجود ثلاثمائة خمارة بطرابلس، وأشار إلى وجود آثار البنيان العتيق بالنكيزات، ووصف

قصور الرهبان بوادي النطرون، وأشار إلى كثرة ديار الخمر ودور البغاء بالقاهرة وإلى مقاييس النيل بها أيضاً، ووصف قرى الحجاز كلها بأن أغلبها «أخصاص وبنيان قليل».

كما خصص اليوسي حيّزا من تأليفه للحديث عن بعض الأعلام الذين التقاهم من أهل العلم والصلاح؛ ففي طرابلس، جالس محمّد بن أحمد المكني الذي طلب الإجازة من الحسن اليوسي له ولبعض أصحابه، فأجازهم بخطّه. وفي موضع الكيران قرب مسراتة، التقى بسيدي بوتركية البالغ من العمر 125 سنة آنذاك والذي سبق وأن التقى بأبي سالم العياشي ومحمد بن ناصر وابنه أحمد. وفي مصر، جالس الخرشي في رحلة الذهاب، وأجازه اليوسي بصحيح البخاري، أما في طريق العودة فكان اللقاء مع أحمد الشرفي التونسي خليفة الخرشي في التدريس بعد وفاة هذا الأخير. كما أشار إلى جماعة من أَوْلَاد وَافِي بالزعفران الذين أخذوا العلم عن والده.

و - طرائف الرحلة

على غرار رحلات الحج التي دُوّنت قبل اليوسي، أورد المؤلف في كتابه جملة من الطرائف والنكت والقصص والإفادات، سواء تلك التي عاينها بنفسه أو التي نقلها من مصادر سابقة له. ولم يكن الغرض من ذلك تحويل الكتاب إلى مجموع أدبي شيّق بقدر ما كان - في تقديري - محاولة ذكية للخروج من رتابة الرحلة وإبعاد المَمَل عن القارئ.

فمن الطرائف التي شاهدها المؤلف أو رُويت له، اِلتقاؤه بالرجل الهندي الأسمر اللون بشعبة بني مطهر ودعاؤه بالخير للمؤلف، والنوم على القِرَب بجبل عنتر، وذكر معنى لفظ شاوك التي سمعها من رجل من أولاد نايل، وانقياد سكان غابة ابن علوش إلى ملكة تدعى أم النون بنت بوعكازة، وسؤال قرية سيدي خالد عن خالد بن سنان هل هو نبي مرسل أو نبي فقط، ونسبة قرية أعقُبَتْ بخمس تِنْزُلِين بوادي درْعَة إلى عُقْبَة بن نَافِع، والحرارة المحرقة لعين حامة قابس التي وصفها بأنها «عين من أعجوبة الزمان»، وإمكانية وجود مدينة أهل الكهف بجهة النكيزات، وما يرويه سكان الساحل شرق مسراتة عن جبل مقطع الكبريت في البحر وغليان الماء حوله واضطرار البحارة لذبح شاة عند اقترابهم منه. وفي مصر، نقل المؤلف خبر محمّد

الشريبي الفاسي الذي غرق له ببحر سويس سبعين كيسا ريالا ولم يبال بها. وفي مصر أيضاً، أشاد بحمّاماتها وذمّ حمّامات المغرب حيث كشف العورات والمناكير المفضوحة. وفي مدين، تحدّث عن «الرطل يحمل نصف عُنقود واثنين من الإجّاص». وفي الحوراء، ذكر حشيشة سنا حرم التي جرّب خصالها ومضارها. وفي الينبوع، أشار إلى الطبيب التركي الذي اخترع دقيق الفول الملتون بالماء لمقاومة العطش. وفي الأكره، أشار إلى الرواية التي تدّعي أن سيل المدينة المنورة يصبّ في وادي أكره. وفي مكّة، تحدّث بإعجاب عن ميزاب الكعبة الذي صنع بأمر من السلطان العثماني أحمد الأول. وفي المدينة، نوّه بالكوكب الدريّ في الحجرة النبوية الذي اشتراه السلطان نفسه. وفي الوجه، أشار إلى قربة ماء بيعت بسبعة مثاقيل ذهبا وبأحمرين. وفي بندر عقبة إيليا، تحدث عن زبيب أحمرَ يأتي من غَزَّة ما رأى أعظم منه جرما. وفي النخيل بسيناء، أشار إلى دُلّاع من الشَّام ما رأي أحلى منه في غير إبّانِه، وكذلك تُفّاح عجيب. وفي جردس، وصف أغنامها التي ما رأى «أكثر شَحْما منها، حتى أن ذَنْب الشّاة يَزِن خمسة أرطال شَحْما». وفي عين ماضي، تحدّث عن حسن نساء البلدة وجمالهن وانتساب أهلها في الشرف.

أما القصص والروايات التي نقلها عن الكتب السابقة، ففيها المختصر وفيها المطوّل؛ فقد أشار إلى قصّتي العين الزرقاء وغزوة العشيرة عند مروره بالينبوع، وإلى قصة أم معبد مع الرسول في قديد، وإلى البئر التي تفل فيها الرسول بعسفان، وإلى قصة عمر بن الخطاب مع الحجر الأسود في مكّة، وإلى قصة مرزوق الكفافي بأبيار السلطان، وإلى قصة حج السلطان قابتباي وما واكبه من موت المصلين بالمسجد النبوي نتيجة الازدحام. وذكر عدة روايات عن النيل ومقاييسه وأهرام مصر. وفي عرّام، نقل عن التجاني قصة الشيخ سلّام.

لعل أهم ما يميّز هذه الرحلة هو إيراد الكاتب لعدد ضخم نسبيا من الأشعار والمقطوعات الشعرية، وهو ما كان مألوفا في أدبيات الرحلة آنذاك. وأكثر هذه الأشعار منقولة عن دواوين ومصنفات أدبية معروفة، لكن ما يُثير الانتباه هو إيراد المؤلف أشعار الحسن اليوسي وخاصة تلك التي لم ترد

في ديوانه المطبوع، وأورد كذلك أشعارًا له ولأخيه مُحمد، ممّا يؤكد القيمة التوثيقية للكتاب.

ز – الرحلة: كتاب في النصيحة

إن رغبة محمّد بن الحسن اليوسي في جعل تأليفه مرجعا للعازمين على الحجّ، سمح له بتقديم جملة من النصائح لهم حتى لا يضيع وقتهم أو مالهم ولا يجهدون أنفسهم ولا يضرّون بصحّتهم، ويتجنّبون البدع والشبهات، وذلك كامل طريق الحج وأثناء أداء مناسكه.

لقد حدد اليوسي المحطات التي يتوفر فيها الماء من عدمه وكيفية التحسّب لفقدانه كما ذكرنا سابقاً، كما قدّم لهم نصائح للأخذ بها في محطات مخصوصة من الطريق، من ذلك عدم ترك البهائم عند الفلاحين قرب القاهرة لأنهم لا يحسنون الاعتناء بها فنصحهم بتأمينها عند أصحاب الدين والأمانة من عرب البحيرة، ونصحهم بعدم شراء الخيل في مصر بإمبابة أو كرداسة بل بالبادية لأن خيل البادية أفضل من خيل البلد، كما أكّد أن بولاق هي أفضل ما يُسكن في مصر. ولتوقّي خطر الرياح والحرارة الشديدة بالحجاز، نصح المؤلف بلبْس الثّياب الغليظة الثّقيلة وتَغطية جميع الجسد. وفي عقبة إيليا، نصح بتجنب أكل لحوم الأرض أو الكمأة لما تمثله من تهديد لصحة الحاج، كما حذّر من أكل تمر الينبوع الذي يضر بالإنسان، وقد جرّب المؤلف ذلك بنفسه.

لم يكن وصف اليوسي لمناسك الحج مقتصرا على تعداد مراحله وقواعده وشروطه، بل كان يغتنم الفرصة لإسداء نصائح تُيسّر أداءه، واستغل الفرصة لتصحيح بعض ما شاع بين الناس من شعائر وممارسات لا صلة لها بالمناسك المتّفق عليها، فقد أوصى بشراء المحارم وهي الإزار والرداء من مصر، وذكّر بأن الميقات برابغ وليس بالجحفة التي لا توجد على ممرّ الحاج، وشرح كيفية الإحرام وشروطه وموانعه، ونقل فتوى والده بالسماح للمضطر لبس الكساء والبردة والمخيط، والسماح للخائف من النزلة في حالة كشف الرأس بستره مع الفدية. ثم أوصى بالدخول إلى مكّة من كدا الثنية، والدخول إلى المسجد الحرام من باب بني شيبة. ونصح الحجّاج المغاربة وغيرهم ممن «لم يُهَيّأ منزلا ومسكنا» بالنزول بموضع به أخصاص

بمكّة، وأشار إلى كل من لا يقدر على كراء الديار بمكّة لغلائها ببناء خيمة بباب الشبيكة. وقدّم المؤلف نصائح دقيقة حول مراحل طواف القدوم وكيفية التخلص من الزحام لتقبيل الحجر الأسود. كما أوصى بالإكثار من الطواف عند المقام بمكّة، والحفاظ على الصلوات مع الجماعة في أوقاتها بالحرم وعدّد المواضع التي يُستجاب فيها الدعاء. أما خارج المسجد الحرام، فقد نصح بحمل الماء من مكّة أو من المشعر الحرام لعدم وجوده في مِنى. وقد قدّم كذلك نصائح في آداب زيارة المسجد النبوي.

من ناحية أخرى، حذّر الكاتب الحجّاج من اتباع البدع التي شاهدها، مثل إشعال الشموع بدار الوقدة ببدر، وإدخال الأيدي في حلق الشاذروان أو في حلق باب الكعبة، واعتقاد العامة بأن من لا يخرج من عرفات بين العلمين فحجّه باطل.

من المعطيات التي عرضها اليوسي في رحلته والتي من شأنها أن تُساعد الحاج في طريقه هي المعطيات الطوبونومية التي تضمن عدم حياد الحاج عن طريقه وعدم التباس أسماء الأماكن عليه، من ذلك ضبط حدود المجالات الجغرافية كضبط الحد الغربي لبلاد الجريد في سيدي خالد وضبط حدود برقة البيضاء وتسمية المسافة الفاصلة بين المويلح والينبوع بالعشرية. كما أشار إلى بعض المرادفات الطوبونومية، من ذلك تسمية عين الكبش بعين الحجر وتسمية عين العمش بعين الحواجب وتسمية غابة الدغرا بغابة ابن علوش وتسمية منهل ابن كردان بابن قزان وتسمية الكريص بأبيار الصعاليك وتسمية وادي فاطمة بمر الظهران وتسمية باب بني شيبة بباب السلام وتسمية الدهناء بواصل.

4 – النسخ المعتمدة ومنهج التحقيق

لرحلة اليوسي نسختان معروفتان، الأولى بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط، والثانية بالخزانة الحسنية بالرباط. وقد أشارت بعض الدراسات إلى وجود نسخة ثالثة بالمكتبة الوطنية بالجزائر رقمها 1896

ومفهرسة بعنوان رحلة اليوسي[88]. لكن «أرنست فانيان»، مفهرس المكتبة، أكّد أنّ عنوان المخطوط لا يعكس مضمونه وأن هذا المخطوط عبارة عن نسخة من كتاب المحاضرات لليوسي، وأن المقصود بالرحلة هي جملة تنقلات الحسن اليوسي بالمغرب الأقصى في زمن يمتد من سنة 1060 هـ/ 1650 م إلى سنة 1077 هـ/ 1666 م[89]. وقد اطلع العلامة حمد الجاسر على هذه النسخة أثناء زيارته إلى الجزائر في نوفمبر 1972، بعد أن علم بوجودها من خلال اطلاعه على فهرس فانيان، وذكر أنه لم يجد فيها شيئاً يتعلّق بموضوع الحج[90].

كما أشار محمّد الحمد في كتابه موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة إلى وجود نسختين من رحلة اليوسي بمكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض[91] ذات أرقام الحفظ الآتية: ب 44573 و44576، لكن بعد مراسلتنا لمُحافظ مكتبة المركز لاستفساره في الموضوع، أفادنا مشكورا بتاريخ 19 جانفي 2017 أن الرقمين عبارة عن مخطوط واحد وهو نسخة مصورة لكتاب المحاضرات لليوسي، عن أصل بالمتحف البريطاني رقمه 1 / OR 12541 ووقعت فهرسته بعنوان: «المحاضرات رحلة اليوسي»[92].

88 ـ ناجي (هلال)، «مخطوطات الجزائر»، في **المورد**، المجلد 5، العدد 3، بغداد، 1976، ص 217؛ منصور (علي مفتاح إبراهيم)، ن. م.، ص 64؛ ماكمان (محمد)، **الرحلات المغربية (ق. 11-12 هـ/ 17-18 م)**، الرباط، 2014، ص 212.

89 ـ راجع:
E. Fagnan, *Catalogue général des manuscrits des bibliothèques publiques de France. Départements* – Tome XVIII, Alger, Paris, 1893, p. 542.

90 ـ الجاسر (حمد)، **رحلات حمد الجاسر**، الرياض، 1980، ص 19.

91 ـ الحمد (محمد بن سعود بن عبد الله)، **موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة معجم بيبليوجرافي**، القاهرة، 2007، ص 385-386.

92 ـ لا يُثبت فهرس المكتبة المنشور في ثمانية مجلدات إلا مخطوطا واحدا لليوسي وهو **نفائس الدرر في حواشي شرح المختصر** المعروف بـ:**حاشية اليوسي على شرح مختصر السنوسي** ورقم حفظها 1425. راجع: الزيد (زيد بن عبد المحسن)، **فهرس المخطوطات في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية**، الرياض، 1994، ج 5، ص 156.

أ – النسختـان المعتمدتـان

* مخطوك المكتبة الوطنية بالمملكة المغربية[93] رقم ك 1418 (أصله من الخزانة الكتانية).

- عنوان المخطوط: الرحلة الحجازية (وهو من وضع المفهرس).
- عدد الأوراق: 38 ورقة مرقمة، وهو ضمن مجموع (الجزء التاسع منه)، من الورقة 68 وجه إلى الورقة 105 وجه.
- المقاس: 21 * 15 صم
- المسطرة: 25.
- نوع الخط: مغربي.
- الحبر: أسود.
- التعقيبة: موجودة.
- الحاشية: بها إكمال سقط وتعاليق وتصحيحات.
- الناسخ: غير مذكور.
- تاريخ النسخ: غير مذكور.
- حالة المخطوط: جيدة رغم بعض الخروم البسيطة.

وأشرنا إليها بحرف أ.

* مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط[94] رقم 2343.

- العنوان: رحلة اليوسي (رحلة حجازية)، وهو من وضع المفهرس.
- عدد الأوراق: 26.
- المقاس: 18.5 * 14.5 صم
- المسطرة: 21.

---

93 – الخزانة العامّة بالرباط سابقاً.

94 – عنان (محمد عبد الله)، لمدبر (عبد العالي)، حنشي (محمد سعيد)، **ن. م.**، ج 1، ص 569؛ عمور (عمر)، **كشاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنية**، الرباط، 2007، ص 193.

- نوع الخط: مغربي مجوهر. مع تباين الخط ووضوحه بين أول المخطوط وآخره، ولعل ذلك بسبب تغيير الحبر أو اختلاف فترة كتابة الرحلة أو اختلاف الناسخين.
- الحبر: أسود.
- التعقيبة: موجودة.
- الحاشية: بها تعاليق قليلة.
- الناسخ: غير مذكور.
- تاريخ النسخ: غير مذكور.
- حالة المخطوط: نسخة مرمّمة الطرفين، بها نقص وخروم كثيرة بسبب الأرضة.

وأشرنا إليها بحرف ب.

ب - منهج التحقيق

اعتمدنا في هذا التحقيق على المنهج الآتي.

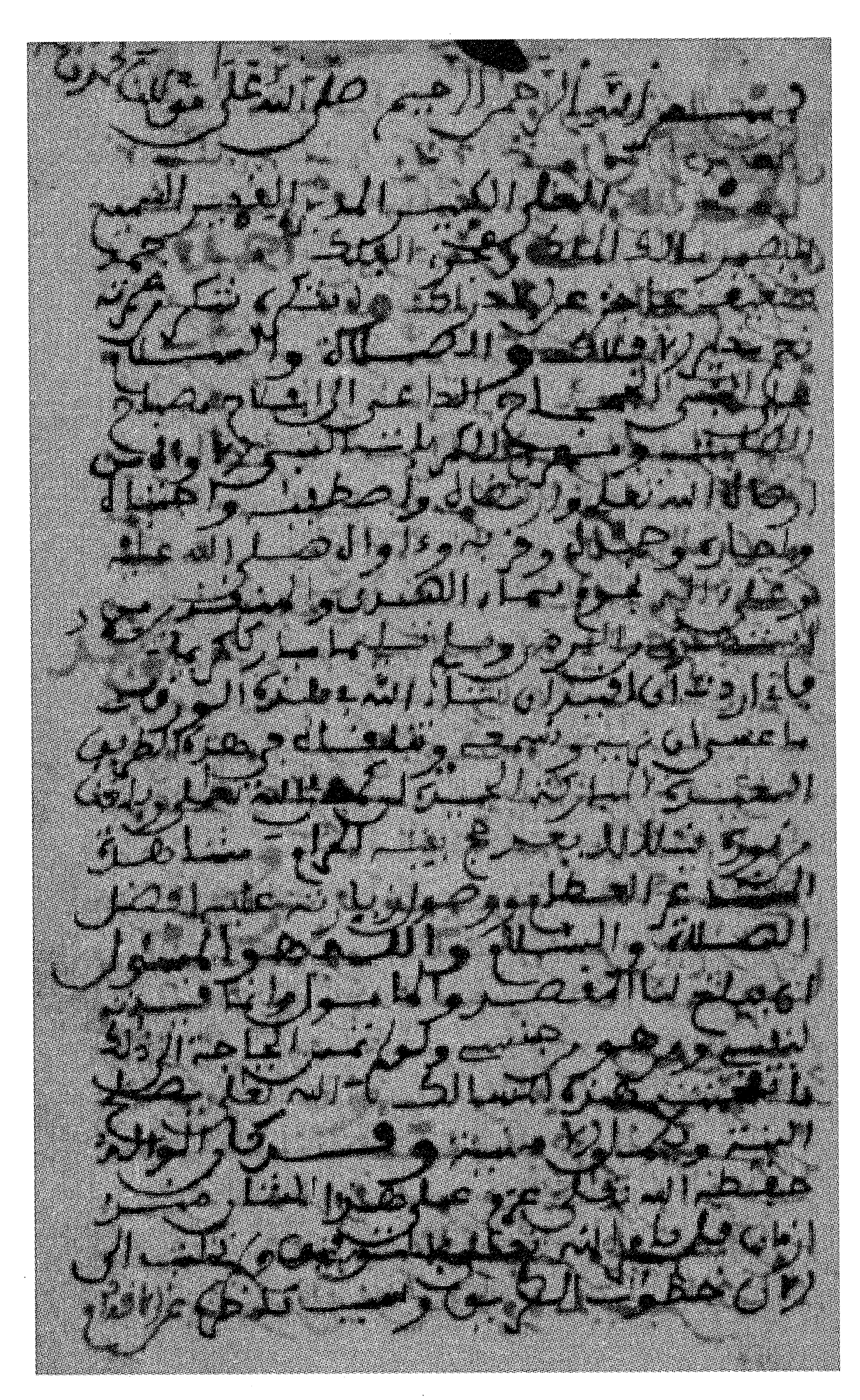
- اتخذنا النسخة أ كأصل لكونها نسخة كاملة، فأخطاؤها قليلة مقارنة مع النسخة ب التي تشكو من سقط يقدّر بورقتين في بداية المخطوط وورقتين في وسطه، إضافة إلى أخطاء النسخ العديدة وكثرة الخروم بها وتعدّد المساحات المطموسة.
- إخراج النص وفقا للقواعد الإملائية المعاصرة من حيث رسم الهمزة ووضع الفواصل والنقط والمطات وعلامات الاستفهام...، كما عوّضنا الاختصارات بما يوافقها.
- تقسيم النص إلى أربعة أقسام كبرى وهي: ما سبق الرحلة، طريق الذهاب، الحج والزيارة ثم طريق العودة، وتقسيم كل قسم إلى فقرات ووضع عناوين فرعية لها.
- اعتمد المؤلف على ألفاظ عاميّة عديدة أثبتناها كيفما وردت وفسرناها في الهوامش لأنها تُمثّل صورة حيّة عن الأدب المغربي زمن تأليف الرحلة، باستثناء البير بمعنى البئر وجمعها البيار بمعنى الأبيار أو الآبار حيث قوّمناها كلها دون الإحالة عليها في الهامش.

- التعريف بالأعلام والأماكن والقبائل والطوائف والكتب الواردة في نص المخطوط.
- كان حرصنا شديدًا على ضبط ما أمكن ضبطه من أسماء الأماكن والقبائل لأنّنا نعتقد أن هذه المسألة تمثّل نقطة الضعف فيما تم نشره من نصوص الرحلات الحجازية.
- أعددنا فهارس شاملة تهم:

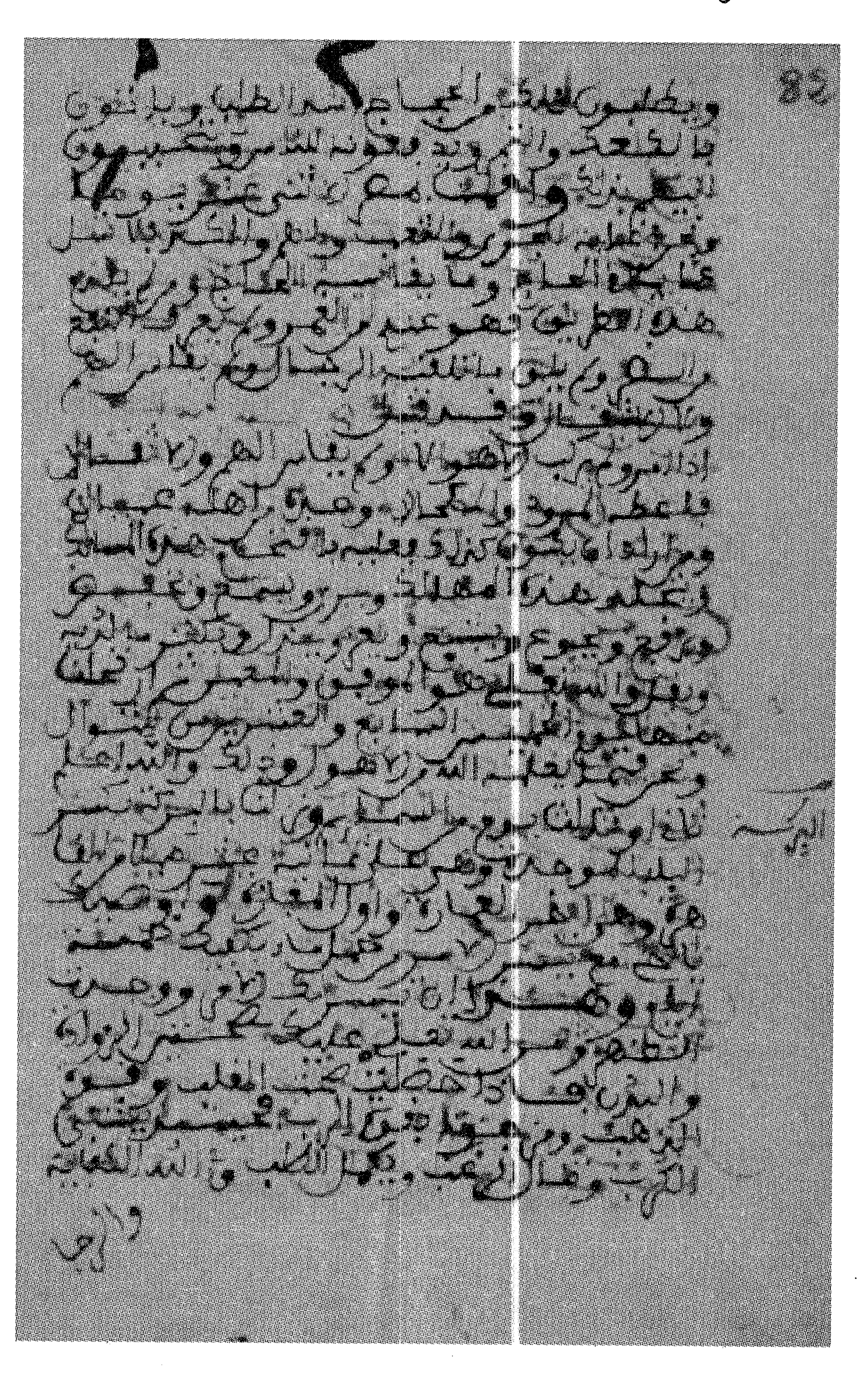
1 - الآيات القرآنية
2 - الأحاديث النبوية
3 - الأشعار
4 - الأعلام
5 - القبائل والفرق والطوائف والمجموعات البشرية
6 - الأماكن والمعالم
7 - الكتب
8 - المصطلحات الحضارية.

نمـــــاذج
مـن المخطوطـات

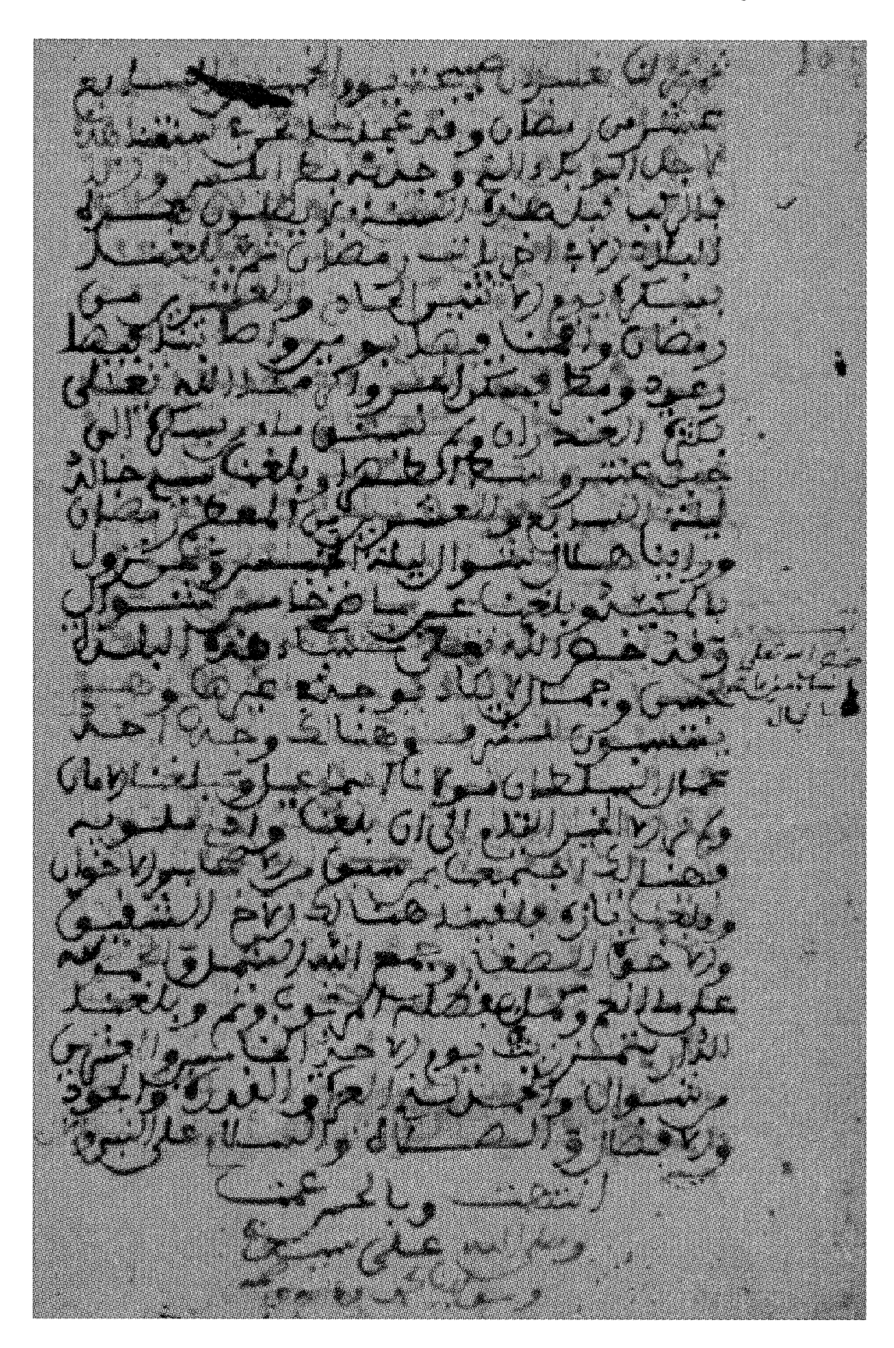
المخطوط 1418 ك، ورقة 68 و. (نُسخة أ)



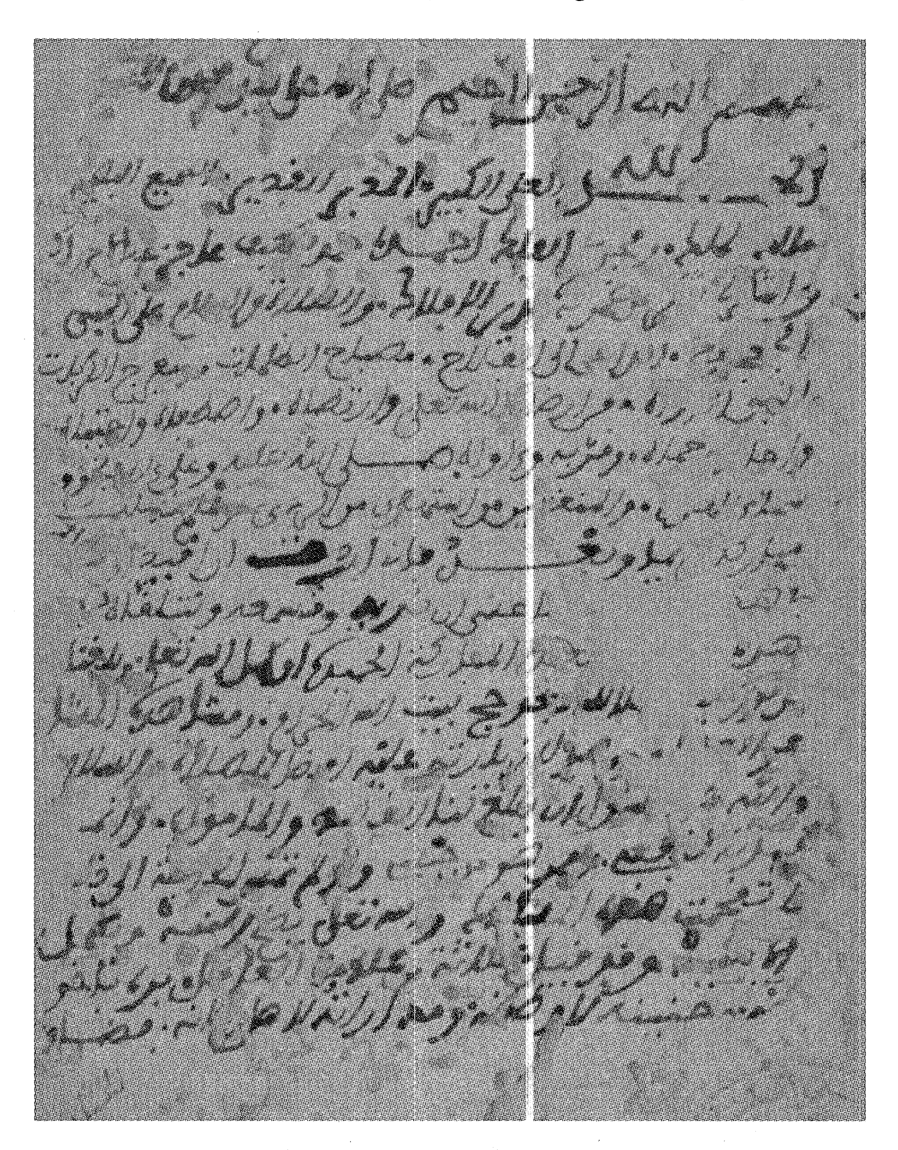
المخطوط 1418 ك، ورقة 82 و. (نُسخة أ)



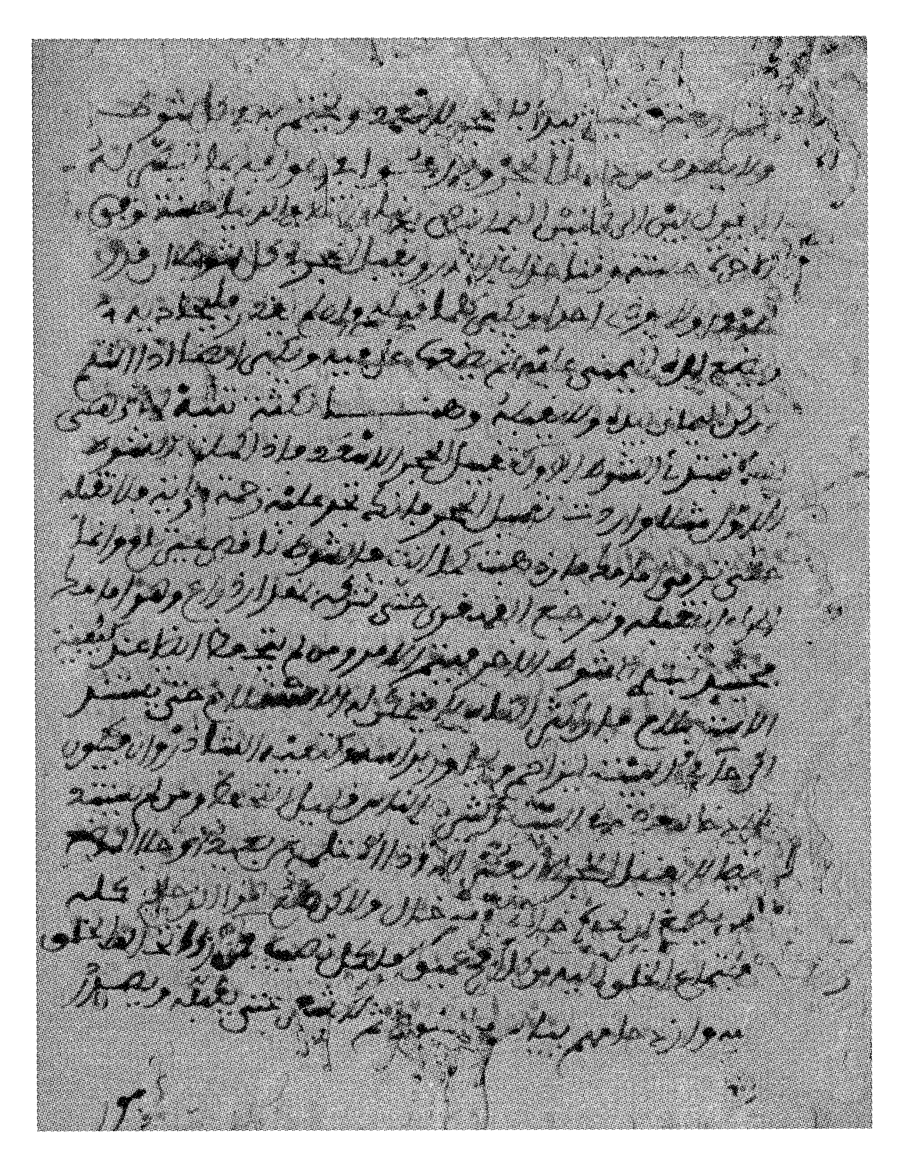
المخطوط 1418 ك، ورقة 105 و. (نُسخة أ)



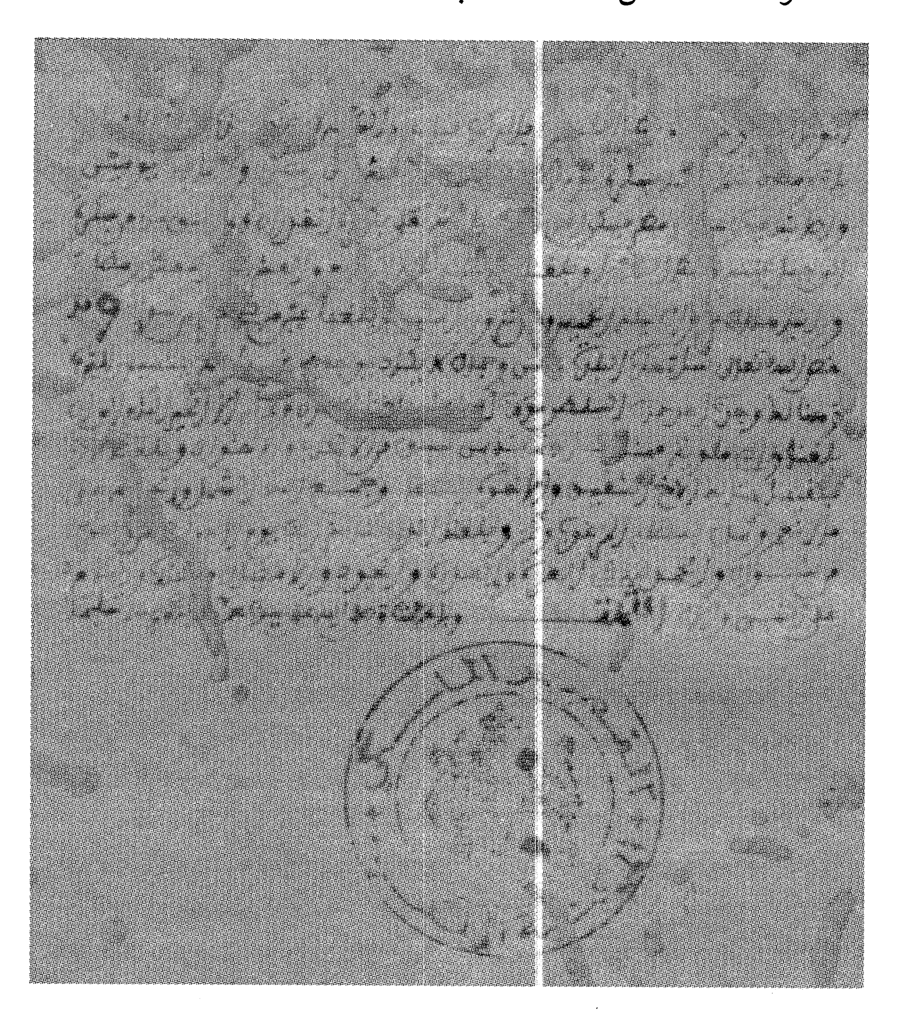
المخطوط 2343، ص 1. (نُسخة ب)



المخطوط 2343، ص 36. (نُسخة ب)



المخطوط 2343، ص 54. (نُسخة ب)



رحلة اليوسي

(1101 - 1102 هـ/ 1690 - 1691 م)

النـص المحقَّـق

القسم الأول

ما سبق الرحلة[95]

* مقدّمة المؤلف *

[67 ظ] بسم الله الرحمان الرحيم. صلّى الله على سيّدنا مُحمّد وآله.

الحمد لله العليّ الكبير، المُدبّر القَدير، السَّميع البصير، مالِك المُلك، ومُجري الفُلك. أَحْمَدُهُ حَمْدَ ضَعيفٍ عاجز عن الإدراك، وأشكرهُ شُكر من غَمرتُه نِعَم مُدير الأفلاك، والصّلاة والسّلام على النبيّ الجَحْجَاح[96]، الدّاعي إلى الفَلاح، مِصباح الظُّلمات، ومُفَرِّج الكُرُبَات، النبيّ الأَوّاه[97]، من أَرضاه الله تعالى وارتَضاه، واصطَفاه واجْتَباه، وأَجارهُ وحَماه، وقَرَّبَهُ وآواه، صلّى الله عليه وعلى آله، نُجوم سَماء الهُدى، والمُنقذين من اِستهدى من الرَّدى، وسلّم تسليمًا مُباركًا كَريمًا.

* دوافع تأليف الكتاب *

وبعد، فإنّي أردتُ أن أُقيّد - إن شاء الله - في هذه الوَرقات ما عَسى أن نَراهُ ونَسمعهُ ونَتلقّاهُ في هذه الطّريق السَّعيدة المُباركة الحَميدة، إن كَمَّل الله تعالى، وبَلَغْنا من نوره يَتَلألأُ بعد حَجّ بَيْتِهِ[98] الحَرام ومُشاهدة المَشاعِر العِظام، ووُصول زِيارته عليه أفضل الصّلاة والسّلام، والله هو المسؤول أن

95 - العناوين الفرعية من وضعنا.

96 - الجَحْجاح : السيِّد السمح الكريم، راجع: ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت، 1994، ج 2، ص 420.

97 - الأَوَّاهُ: الرحيم الرقيق، راجع: ابن منظور، **ن. م.**، ج 13، ص 473.

98 - في ب: بيت الله.

يُبَلِّغَ لنا القَصْد والمأمول. وإنما قَيّدتُه لنفسي ومَن هو مِن جِنسي، ولو لَمْ تمسّ الحاجة إلى ذلك ما تَقَحَّمْتُ هذه المسالك، والله تعالى يُصلح النيّة ويُكْمِل الأُمنية[99].

رغبة الحسن اليوسي في الحجّ

وقد كان الوالد -حفِظه الله تعالى - عَزَم على هذا الشّأن منذ أزمان، فلم يأمر الله تعالى بالتّوفيق ولا تَجَلَّتْ إلى الآن خُطُوات الطّريق، وسبب تأخرّه عن الإقدام [68 و] على قَضاء وَطره، مع قدر المولى وإرادته تعالى، عدم الاِسْتَكَان[100] في المنزل وكثرة التحوّل لما أراد به تعالى من أمطار عِهَادِهِ[101]، فيما أَمَر من بلاده، كان يُحَيِي بغَوَادِيه[102] ويمدّ من زاخر واديه الأمطار القصوى، إلى أن كبر وأروى.

الانتقال من خلفون إلى مكناس

فقد نَقَلَهُ على يد خَليفته في أرضه وأمير الغَرْب بِطوله وعَرضه، السُّلطان الأعظم الشّريف المُؤيّد الأفخم، فَرع الدّوحة الشَّمَّاء، وذُروة المَجد الأَسمى، المنصور الجليل أبي النَّصْر مولانا إسْمَاعِيل[103] ابن مولانا الشَّرِيف الأطهر المُنيف، من مَقَرِّهِ الأوّلُ بخَلْفُون[104]، وكان من الذين يُوفون ولا يَخلفون،

99 - من هنا يبدأ السقوط في النسخة ب.

100 - الاستكان هو الخضوع. راجع: ابن منظور، **ن. م.**، ج 13، ص 371.

101 - العِهَادُ جمع العَهد: مطر أَوَّل السنة، راجع: ابن منظور، **ن. م.**، ج 3، ص 314.

102 - الغَادِيَةُ: السَّحابةُ تنشأ فتمطر غُدوةً، راجع: ابن منظور، **ن. م.**، ج 4، ص 415.

103 - رابع سلاطين الدولة العلوية (1082-1139 هـ/ 1672-1727 م). انظر: السلاوي، **الاستقصا**، ن. م.، ج 6، ص 67-124.

104 - موضع قرب خنيفرة على وادي أم الربيع، أسس بها الحسن اليوسي زاوية وانتصب للتدريس بها، وقد ذكرها في كتابه: **المحاضرات**، ن. م.، ص 337-338. وسمّاه في إحدى رسائله بالدار الخلفونية، انظر: **رسائل اليوسي**، ن. م.، ج 1، ص 377؛ وذكرت أيضاً في **ديوان اليوسي**، ن. م.، ص 258، 337.

إلى مَقَام الخِلافَة[105]، وكان يَكره خلافه، غير أنّه –رحمه الله – في أُخريات عُمُرِه، يَسْتَوْخِمُ[106] الحَضَر لما به من الضَّرَر.

* الانتقال إلى مرّاكش *

وكان السُّلطان المذكور – نَصرهُ الله وأيّد أَمْرَه – يُمحّصه ويَبتليه، لما يَشِي به عنده بعض أهل مَجلسه الذي يليه، ثمّ أمر به عند إناء غَادِيَته المُباركة، وتلافاه الله وتَداركه إلى حَمْراء مُرَّاكُش[107]، وكانت إقامته بمدينة المُلْكِ خَمسة أشهر.

ورَحلنا منها يوم الثّلاثاء أوائل ربيع الأول[108]، وسَلكنا طريق رِبَاط سَلا[109]، ثمّ رِبَاط أَزْمُور[110]، ثمّ جِئنا مُرَّاكُش أوّل ربيع الثّاني[111]، وما رأينا والحمد لله في الطّريق إلّا جميع الخيرات والنِّعم المُسرّات. وعند بلوغنا تَلَقَّانا أهلها بالفرح والسُّرور، ومهّدت لنا دِيار وقُصور، فنزلنا بدَرْب الشُّرَفَاء بالمُوَاسِين[112]، ومكثنا في رغد عيش وطِيب حال، ولم نَرَ فيه ما يُشَوِّش البال

---

105 – أي مدينة مكناس التي اتخذها مولاي إسماعيل عاصمة الدولة العلوية آنذاك.

106 – اسْتَوْخَمَ المكانَ: استثقله ولم يوافقْهُ سَكَنُه، راجع: ابن منظور، **ن. م.**، ج 12، ص 631.

107 – عُرفت مرّاكش باسم مراكش الحمراء لأن هذا اللون يميز واجهات مساكنها وأسوارها، وهو المستمد من لون الحجر الرملي المحلي. وقد سماها ابن مليح، **ن. م.**، ص 129: الحاضرة الحمراء، وسميت أيضاً مراكش الحمراء في: السلاوي، **ن. م.**، ج 8، ص 173، 191.

108 – أوائل ربيع الأول 1092 هـ/ أواخر مارس 1681 م.

109 – مدينة بحرية على الضفة الشمالية لنهر **أبي رقراق**، قريبة من **الرباط**: ياقوت، **معجم البلدان**، بيروت، 1979–1986، ج 3، ص 231. وقد دعيت في الكثير من المؤلفات المغربية برباط سلا، راجع: السلاوي، **ن. م.**، ج 3، ص 94 مثلاً.

110 – مدينة بحرية على الضفة اليسرى لنهر أم الربيع بجهة دكالة، مثلت منذ العهد المرابطي إحدى عواصم التصوف المغربي فاستحقت صفة الرباط. انظر: **معلمة المغرب**، ن. م.، ج 1، ص 349.

111 – يوم 1 ربيع الثاني 1092 هـ/ 19 أفريل 1681 م.

112 – ما زال المواسين اسما لحومة بمراكش، وقد ظهرت هذه التسمية في القرن 10 هـ/ 16 م لتعويض اسمها القديم وهو حارة أبي عبيدان المشهورة بسكن اليهود قبل نقلهم إلى

الخاطر، ولا ما يُشين الظّاهر ولا الباطن، [68 ظ] ونِعْمَ البلاد ونِعْمَ سُكّانها، ولله دَرُّ القَاصِي[113]:

[من الطويل]
بِـأَنّـِي فِـي أَهْـلِـي وَبَـيْـنَ أَقَـارِبِ

في الحنين إلى الوطن والأهل

ومع ذلك لم يزل القلب مُتعلّقًا بالأوطان ومُنَغّصًا من مُفارقة الأحباب والاخوان:

[من الطويل]
وَحَـبَّـبَ أَوْطَـانَ الـرِّجَـالِ إِلَـيْـهُـمُ
مَـآرِبُ قَضَّاهَا الـشَّـبَـابُ هُنَالِكَ[114]

[من الطويل]
بِـلَادٌ بِـهَـا عَـقَّ الـشَّـبَـابُ تَـمَـائِـمِـي
وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَـسَّ جِـلْـدِي تُرَابُهَا[115]

وقد قِيل: عَمَّر الله البُلدان بحُبِّ الأوطان. وقيل: مِنْ كَرَم الإنسان حَنينه إلى وَطنه ولا عَيْب في ذلك ولا عار، لا يَقدح ذلك فيمن تَحلّى بحِلْيَة الأبرار

موقع الملاح بمراكش. واشتهرت هذه الحومة بمسجدها المعروف بمسجد المواسين أو الأشراف. راجع: ابن المؤقت، **السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية**، تحقيق حسن جلاب وأحمد متفكر، مراكش، 2015، ج 1، ص 51، ج 2، ص 297. وقد أشار اليوسي إلى جامع المواسين في: **المحاضرات**، ن. م.، ص 184.

113 – القَاصِي من الناس: المُتَنَحّي البعيد، راجع: ابن منظور، **ن. م.**، ج 7، ص 84.

114 – البيت لابن الرومي ضمن قصيدة في مدح سليمان بن عبد الله. راجع: **ديوان ابن الرومي**، تحقيق حسين نصّار، القاهرة، 2003، ج 5، ص 1825.

115 – بيت شعر متداول في كتب التراث العربي. انظر مثلاً: ابن عبد البر، **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس**، تحقيق محمّد مرسي الخولي، بيروت، 1982، ج 2، ص 804.

وتَعَفَّر عن دَناءة الدّنيا، وتَوَجَّه للواحد القهّار. وحتى أن الوالد - حفظه الله - تَصدُرُ عنه تارة أبياتا في هذا المعنى، منها القصيدة التي أوّلها:

[من الطويل]

فَـأَسْـأَلُـهُ أَنْ يَجْمَعَ الشَّمْلَ وَالمُنَى
هُنَاكَ بِمَنْ أَهْـوَى سَرِيعًا كَمَا أَهْـوَى

فَـقَـدْ طَـالَ مَـا بَيْنِي وَبَـيْـنَ مَعَاهِدِي
وَمَـا أَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَنْهَا وَمَـا أَقْـوَى

إلى آخر الأبيات[116].

ومن قوله أيضاً في ذلك من قَصيدة أخرى:

[من الطويل]

أَلاَ لَـيْـتَ شِـعْـرِي هَـلْ أَبِـيتَـنَّ لَيْلَةً
بِسَهْبِ الشَّنِينِ أَوْ بِسَهْبِ بَنِي وَرَا[117]

وَهَـلْ أَرِدَنْ عَسْلُوجَ[118] يَوْمًا فَأَشْرَبَنْ
مِـيَـاهًـا بِـهَـا تَحْكِي رَحِـيـقًـا وَكَـوْثَـرَا

إلى آخرها أيضاً[119].

---

116 - القصيدة في سبعة أبيات، ودوّنها جامع الديوان بقوله: «وقال أيضاً أيام مقامه بمراكش، يحنّ إلى وطنه، وذلك سنة أربع وتسعين وألف» (1094 هـ/ 1683 م). **ديوان اليوسي**، ن. م.، ص 483.

117 - سَهْب الشَّنِين وسَهْب بَنِي وَرَا: يظهر أنها مواضع يتشوّق إليها الناظم في بلاد ملوية. والسهب في المصادر المغربية مرادف للجنة أو البستان. وبني ورا قبيلة، وهي فخذ من الشاوية، انظر: ابن عيشون، **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، تحقيق زهراء النظّام، الرباط، 1997، ص 247.

118 - موضع ببلاد ملوية يقع بين قريتي انجيل والغشوة، تسكنه قبيلة آيت همي إحدى عشائر آيت يوسي. وبها قبر مسعود والد الحسن اليوسي، وهو معروف إلى الآن. انظر: المدغري، **ن. م.**، ص 110، 113.

119 - القصيدة في ستة أبيات، وقد أنشدها «بمراكش أعوام التسعين وألف». انظر: **ديوان اليوسي**، ن. م.، ص 276. وقد ذكرها اليوسي في **المحاضرات**، ن. م.، ص 339-340.

والشّطر الأوّل قالهُ سيّدنا بِلَال[120] لمّا وَعِك بالمَدِينَة، (وهما قوله):[121]

[من الطويل]

أَلاَ لَـيْـتَ شِـعْـرِي هَـلْ أَبِـيـتَـنَّ لَيْلَةً
بِــــوَادٍ وَحَـــوْلِـــي إِذْخِـــــرٌ وَجَـلِـيـلُ

وَهَـــلْ أَرِدَنْ يَـوْمًـــا مِـــيَـــاهَ مَـجَـنَّـةٍ
وَهَـلْ تَبْدُوَنْ[122] لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ[123]

وقد قيل: ثلاثة من علامات[124] العاقل، بِرُّهُ بإخوانه وحَنِينهُ لأوطانه ومُداراتهُ لأهل زَمانه[125].

فضاق الخِناق من ذلك ولم يَسَلْ ما هنالك، فكَثُر التضرّعُ إلى الله تعالى وزيارة الصّالحين والتوسّل إلى المولى الكريم أن يَرُدَّ كلّ غريب إلى وَطنه والنازح إلى مَسكنه.

[69 و] فبعد ثلاث سنين، منّ الله تعالى ببُلوغ المُراد والرّجوع إلى البلاد.

120 – أي الصحابي بلال الحبشي.

121 – ما بين القوسين مطموس في أ، وما أثبتناه فهو من **المحاضرات**، ن. م.، ص 338، التي نقل منها المؤلف هذه الفقرة. كما أورد الحسن اليوسي هذه الأبيات في إحدى رسائله: **رسائل اليوسي**، ن. م.، ج 1، ص 165. والأبيات في سيرة ابن هشام، راجع: ابن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقّا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، بيروت، د. ت.، ج 1، ص 589.

122 – في أ: يبدون، وهو تصحيف. انظر: **صحيح البخاري**، كتاب الْأَشْرِبَةِ – باب من دعا بِرَفْعِ الوَبَاءِ وَالحُمَّى، حديث رقم 5353.

123 – نهاية السقوط من النسخة أ.

124 – في أ وب: علامة، وأُصلحت في هامش أ: علامات.

125 – ترددت هذه المقولة في كتب التراث، انظر مثلاً: أبو حيّان التوحيدي، **الصداقة والصديق**، تحقيق إبراهيم الكيلاني، بيروت – دمشق، 1998، ص 260.

* من مراكش إلى الزاوية البكرية *

فرَحَلنا منها يوم الاثنين لثلاث بقين من صَفَر[126] مأمورين بالنّزول بقرية الزَّاوِيَة البَكْرِيَّة[127]، ومدّة مَقامنا بمُرَّاكُش ثلاث سنين. وبَلغنا الزَّاوِيَة يوم الجمعة السّادسة عشر من ربيع الأوّل عام خمسة وتسعين وألف[128]، فوَجَدْناها خَرِبَة مَهدومة وعَفَاء البُومَة.

ومَكثنا فيها أوّل نُزولنا في عافية وراحة، غير أنّا لم نَتوَصَّل إلى الغرض، لكن رأينا أن بعض الشرّ أَهْوَنُ من بعض.

ثمّ بعد ذلك في أُخريات الأَمر وجدنا جيرانها أخبث النّاس قَلْبًا وقالبًا، ودينًا وأدبًا.

وَ:

[من الطويل]

بِجِيرَانِهَا تَغْلُوا الدِّيَارُ وتَرْخُصُ

[وَ]مِنْهُم يَكْثُرُ البَلاَءُ أَوْ يَنْقُصُ[129]

---

126 - يوم 27 صفر 1095 هـ/ 13 فيفري 1684 م.

127 - المعروفة أيضاً باسم الزاوية الدلائية. تقع على ربوة في سفح جبل بوثور بناحية خنيفرة غرب الأطلس المتوسط. وهي منسوبة إلى مؤسسها أبي بكر الدلائي الذي وضع أسسها حوالي سنة 974 هـ/ 1566م. راجع: حجي (محمد)، **الزاوية الدلائية**، ن.م ولما خربت الزاوية، ألف الحسن اليوسي سنة 1078 هـ/ 1667 م القصيدة الرائية في رثائها.

128 - يوم 2 مارس 1684 م.

129 - صدر البيت في أصله عجز بيت معروف في حسن الجوار وهو:

فَقُلْتُ لَهُم كُفُّوا المَلامَ فإنّما
بجيرانها تَغْلو الدِّيار وتَرْخُصَ

راجع مثلاً: ابن عبد البر، **ن. م.**، ج 1، ص 291. أما العجز فهو مضطرب الوزن.

وقد وصفهم الوليّ سيدي مَحَمَّد بن أَبِي بَكْر الدِّلَائِي[130] حيث قال: لا يَرْقُبُونَ في مُؤمِن إلّا أعْقَبَهُم الله ذُلاّ[131]، أو كما قال - رضي الله عنه -.

وقد قال الوالد - حفظه الله - فيهم أبياتا أوّلها:

[من الوافر]

بَـنُـو إِسْـحَـاقَ[132] كُـلُّـهُـمُ عـِرَاقِـيّ

إلى آخره[133].

من الزاوية البكرية إلى صنهاجة صَفْرُ

فطَلبنا الخروج منها في الحين، ولو بِخفّي حُنَيْن، فكَمّل الله تعالى المَرغوب وَوَفّى المَطلوب. ورَحلنا منها بحمد الله يوم الاثنين أوائل رَجَب عام ثمانية وتسعين[134]، ومدّة مَقامنا بها أيضاً ثلاث سنين، ونَزلنا شِعَاب حَمُّود[135]، راجين منه أن يُخيّر لنا ويَختار، ومَكثنا بها سبعة أشهر.

---

130 - مُحمد بن أبي بكر بن محمد بن سعيد المجاطي البندري اللمتوني الصنهاجي الدلائي، ت 1046 هـ/ 1636م. أحد أبرز علماء الزاوية الدلائية، راجع: الإفراني، **ن. م.**، ص 396. وقد يكون المقصود ابنه أبو عبد الله مَحمد بن مُحمد بن أبي بكر الدلائي المعروف بالمرابط، ت 1089 هـ/ 1678م. أحد شيوخ الزاوية الدلائية أيضاً، ذكره اليوسي في فهرسته وأورد إجازته له. انظر: اليوسي، **فهرسة**، ن. م.، ص 63-66؛ الإفراني، ن. م.، ص 396؛ القادري، **نشر المثاني**، ن. م.، ج 4، ص 1604-1608.

131 - تضمين من الآية العاشرة من سورة التوبة: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾.

132 - يشير الكاتب إلى قبيلة آيت إسحاق التي أنشأت بأراضيها الزاوية الدلائية الحديثة. راجع: حجي (محمد)، **ن. م.**، ص 142، 166.

133 - بقية القصيدة، وهي في ثلاث أبيات، في **ديوان اليوسي**، ن. م.، ص 374. وبقية البيت الأول: يُدَلِّي الحَبْلَ لَيْسَ لَهُ عَرَاقِي

134 - أواسط ماي 1687 م.

135 - تتعدّد المواضع التي يتضمن اسمها حمّود في مجالات فاس ومكناس وتطوان (عين حمّود، مولاي حمّود، دوّار حمّود، دوّار مرج حمّود إلخ) ولا نعلم أيهم قصد الكاتب بشعاب حمّود.

ورَحلنا[136] منها يوم السّبت أوّل صَفَر عام[137] تسعة وتسعين وألف[138]، عامدين إلى قرية صَنْهَاجَة [69 ظ] صَفْرُ[139] بعد طَلَبِهم ذلك منّا. ونَزلناها يوم الأحد التّاسع من الشهر، ولم نَلْقَ دارًا ولا جارًا، ولا منزلًا ولا قَرارًا، فَبِئْسَ القرية.

[من الطويل]

فَلَوْ أَبْصَرَ الشَّيْطَانُ صُورَةَ وَجْهِهَا
تَعَوَّذَ مِنْهَا حِينَ يُمْسِي وَيُصْبِحُ[140]

وأمّا ناسها فكَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ وعُمُد[141] مُمدّدة[142]، لا يَسمعون ولا يوعون، ولا يَفهمون ولا يَعْقِلون، فمكثنا فيها في أسوء حال ستّة عشر شهرًا.

136 – في أ: ورحلوا، وهي مطموسة في ب.

137 – سقطت في أ.

138 – يوم 6 ديسمبر 1687 م.

139 – ما زالت قرية صنهاجة صفرو تُعرف بالاسم نفسه على بعد 28 كم عن فاس، وهي منسوبة إلى مدينة أو إقليم صفرو أو صفروى كما ترسمها أغلب المصادر: الإفراني، **ن. م.**، ص 415. وترد في مصادر أخرى برسم صفرُ: الفاسي، **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**، تحقيق محمّد حمزة بن علي الكتاني، الدار البيضاء-بيروت، 2008، ص 300، 432.

140 – هذا البيت مُستوحى من بيت معروف في الشعر العربي:

إِذَا عَايَنَ الشَّيْطَانُ صُورَةَ وَجْهِهَا
تَعَوَّذَ مِنْهَا حِينَ يُمْسِي وَيُصْبِحُ.

راجع: ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1996، ج 4، ص 34.

141 – في ب: أو عمد.

142 – في أ: ممدة، وهو تحريف.

* النزول بفاس *

ثمّ رَحلنا منها يوم الأربعاء أواسط جُمادى الثّاني عام مائة وألف[143]. ونَزلنا فَاس يوم الخميس من غَدِهِ، فنزلنا بدَار عَلِيّ رَحْمُون[144] بدَرْب العُلُوج[145] بالطَّالِعَة[146]، ولها باب يَنْفَذ لدَرْبِ السَرَّاج[147]، فلم تَسْتَقم أيضاً لنا فيه السُّكنى وتَعَسَّرت المُنَى.

وأقمنا فيه سبعة أشهر ونصف، وخرجنا منه يوم الأحد لثمان بَقين من المُحرّم لتَمام المائة[148].

* النزول بتمززيت *

ونزلنا بقرية تَمْزَزيت[149] بلاد أَوْلَاد عَبَّاد[150]، وهي بَلدة قليلة الأُنْس، خالية من شَياطين الإنْس، وأهلها هَمَج مُسلمون، لا يَنفعون ولا يَضرّون. وهنالك خَلَّفْنا العيال وذهبنا طالبين من الله الكَمال، وتَسديد الأفعال والأقوال. ومنها ابتدأت الرِّحْلَة وانبعثت الرَّاحِلَة.

---

143 – أوائل أفريل 1689 م.

144 – لم نجد ذكرا لعلي بن رحمون ولا لداره فيما اطلعنا عليه من مصادر.

145 – ما زال هذا الدرب معروفا بالاسم ذاته بمدينة فاس.

146 – اسم لحومة بمدينة فاس. انظر: ابن الأحمر، **بيوتات فاس الكبرى**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1972، ص 14، 52، 64؛ ابن عيشون، **ن. م.**، ص 86، 232، 259–261، 281، 350، 362.

147 – ما زال هذا الدرب معروفا بالاسم ذاته بفاس قرب المدرسة البوعنانية.

148 – يوم 4 نوفمبر 1689 م.

149 – موضع يبعد مسافة 22 كم عن مدينة صفرو، وهو الذي دُفن به الحسن اليوسي إثر وفاته، راجع: الحضيكي، **طبقات**، **ن. م.**، ج 1، ص 212.

150 – أشير إلى وجودهم بمجال صفرو، انظر: ابن عيشون، **ن. م.**، ص 258.

القسم الثاني

طريق الذّهاب

* من تمززيت إلى فاس *

فخَرج سيدي الوالد - ردّه الله سالمًا - من الدّار يوم الخميس الثّاني عشر من جمادى الأولى عام واحد ومائة بعد الألف[151]، وتوَّجَه نحو فَاس، فأقام فيه شهراً ويومين، ولَمَّا يَخْرُج الرّكب، فخَلَّفَ الأَطلال خالية والمَعالم بالية. [70 و]:

[من الطويل]

وَلَــوْ أَنَّـنِـي أُعْـطِـيـتُ سُـؤْلِـيَ وَالمُنى
وَمَـا كُـلُّ مَـنْ يُعْطَى المُنَى بِمُسَدِّدِ

لَـقُـلْـتُ لِأَيَّـــامٍ مَـضَـيْـنَ أَلاَ ارْجِـعِـي
وَقُـلْـتُ لأَيَّـــامٍ أَتَـيْـنَ أَلاَ ابْـعِـدِي[152]

[من السريع]

قِـفْ بِـي وَنَـــادِ بَـيْـنَ تِـلْـكَ الـطُّـلُـولْ
أَيْــنَ الأُلَــى كَــانُـوا عَـلَـيْـهَـا نُــزُولْ

151 - يوم 20 فيفري 1690 م.

152 - البيتان لأبي العالية الحسن بن مالك الشامي، مُؤدّب العباس بن المأمون. تصرّف فيها مُدوّن الرحلة بتغيير بعض الألفاظ دون المساس بالوزن. راجع: ياقوت، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1993، ج 3، ص 975.

أَيْـــنَ لَـيَـالِـيـنَـا بِـهِـمْ وَالـمُـنَـى
نَـجْـنِـيـهِ غَـضًّـا بِـالـرِّضَـا والـقَـبُـولْ
لاَ حُـمِّـلُـوا بَـعْـضَ الّـــذِي حُـمِّـلُـوا
يَـــوْمَ تَـــوَلَّــتْ بِـالـقِـبَـابِ الـحُـمُـولْ
إِنْ غِـبْـتُـمُ يَـا أَهْـــلَ نَـجْـدٍ فَـفِـي
قَـلْـبِـيَ أَنْـتُـمْ وضُـلُـوعِـي حُـلُـولْ[153]

* من فاس إلى الغرفة *

ثُمّ لمّا أن قَضَى وَطَرَهُ وتَمّ أمرهُ، رَحل منه يوم السّبت الرّابع عشر من جُمادى الثّاني[154]، وهو أوّل من خَرج من القاصدين لهذا الشّأن في سَنَتِنا[155] هذه. وبِتْنا معه[156] عند أولاد الحَاجّ[157] بالخَلِيج المُسمّى بمَطِيرَة العَجُوز بوِلْجَة المَطَامِير[158] على حاشِيَة وادي سَبُوا[159].

---

153 - في أ وب: نزول، وهو تحريف، والأبيات لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن شلبطور الهاشمي: ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمّد عبد الله عنان، القاهرة، 1973-1977**، ج 2، ص 362.

154 - يوم 24 مارس 1690 م.

155 - في أ: مسئلتنا، وهو تحريف. وما أثبتناه من ب.

156 - سقطت في أ.

157 - من قبائل حوز فاس شرقًا، وقد أشار الحسن اليوسي في **المحاضرات**، ن. م.، ص 278، إلى «قرية أولاد الحاج من بلاد مضغرة». انظر: مزّين (محمد)، **فاس وباديتها، مساهمة في تاريخ المغرب السعدي 1549 م-1637** م، الرباط، 1986، ج 1، ص 92، 113؛ المودن (عبد الرحمان)، **البوادي المغربية قبل الاستعمار. قبائل إيناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر**، الرباط، 1995، ص 30، 222.

158 - موضع المطامر حالياً مسافة 25 كم شرق فاس، أما الخليج الموصوف فيعرف الآن بعنق الجمل. أما الخليج والمطيرة والولجة فهي مصطلحات نهرية دارجة بالمغرب الأقصى.

159 - في ب: اسبوا. ياقوت، **معجم البلدان**، ن. م.، ج 3، ص 186؛ ينبع هذا الوادي من جبال الأطلس المتوسط ويجري قرب فاس من شرقها ليصب في المحيط الأطلسي.

وصبيحة الأحد، ذَهَب مِن عندهم فبات بالحَجَرِ المَثْقُوب بالكُور[160].

ثمّ بات من غَدِهِ بعَيْن تُودَة[161]، ثمّ بسيدي بُوِيدُو[162] ببِلَاد التُّسُول[163]، وأقام هنالك أربعة أيّام لماء نزل مَنَعَهُ من المسير.

واليوم الخامس رَحَلَ من عندهم، وبات عند أهل الوَاد بموضع يُقال له الغُرْفَة[164].

رجوع المؤلف إلى الدار ثم لقاؤه بوالده عند أهل الواد

وقد كُنت أنا رَجَعْتُ للدّار يوم بِتْنا عند أَوْلَاد الحَاجّ لأخذِ ما بَقي بها (من أُهْبَة الطّريق)[165]، فخرجتُ منها يوم الجمعة لعَشرة بَقِيَت من جُمادى الثّانية[166]، وبِتْنا عند مُحبّنا في الله تعالى سيدي عَبْد الخَالِق بن الوَليّ الصَّالح[167] سيدي أبُو طَيِّب[168] بن عِيسَى[169].

وغدا رَحلنا من عِنده في يوم شاتٍ وبَرْد قَوِيّ، ما رأيتُ أشدّ من ذلك اليوم تعباً ولا أقوى منه نَصَبا. وعَبرنا وادي سَبُوا من تحت قَصَبَة لُوَّاتَة[170].

---

160 – رسمت في أ وب بثلاث نقاط تحت الكاف. وقد ذكرها ابن عبدالسلام الدرعي في الرحلة الصغرى، انظر: المودن، ن. م.، ص 124. ووردت الغور في: الشرقي، ن. م.، ص 203، 583.

161 – ما زالت تعرف بالاسم نفسه مسافة 2 كم جنوب محطة القطار وادي إيناون.

162 – دوار سيدي بويدو حالياً قرب تازة.

163 – التسول هو اسم لقبيلة ببلاد الريف واسم لمجال شمال غرب تازة حيث توطّنت هذه القبيلة. **معلمة المغرب**، ن. م.، ج 7، ص 2371.

164 – لم نهتد إلى موضعها.

165 – ما بين قوسين ساقط من أ.

166 – أي 20 جمادى الثانية 1101 هـ/ 30 مارس 1690 م.

167 – سقطت في أ.

168 – في ب: بوطيب.

169 – لم نهتد إلى ترجمته.

170 – هي وريثة مدينة لواتة التي خرّبها أبو بكر بن عمر مؤسس الدولة المرابطية سنة 452 هـ/ 1060 م، وتوجد مسافة يوم شرق فاس وتعرف اليوم بزاوية لواتة وقصبة لواتة، انظر:

[70 ظ] وسِرنا اليوم كلّه في مَطر غَزير ووَحْل كثير، وبِتْنا بمَطْمَطَة[171].

وغدا كذلك أيضاً أو أَشَدّ. وبِتْنا بعَيْن تُودَة عند بَنِي خَلِيفَة[172]، ووَجدنا إِنَاوَن[173] يمنعُ من العُبور. وأقمنا عليه يوماً لِيَنْقُص ماؤه ويَقِلّ عَناؤه.

ثمّ جِئناه صَبيحة الثّلاثاء ويَمَّمْنا مَشْرَع الثلاثاء[174]، وقَطعناه بعد الإِيَاسِ واصفرار وُجوه النّاس، واجتمعنا مع الوالِد عند أهل الوَاد.

* من مكناسة إلى الفحّامة *

ويوم الأربعاء، بات عِند مِكْنَاسَة[175] بوادي قَنْصَرَة[176].

ورُحت أنا لمدينة تَازَة[177]، ولم أكن رأيتُها قبل ذلك، فرأيتُ مَنظرًا رائقًا وحُسناً فائقاً، تُريقُكَ أنهارها وتُعجِبُكَ أزهارها، إذ كنّا وافيناها في فصل الرّبيع فوجدنا ما يُعجب الفَطيم والرّضيع. غير أنّا لم نَمكث فيها حتى نَعرف الظّاهر والباطن، إذ كنّا على جَناح طائر. وأقمنا فيها الخميس والجمعة.

البكري، **المسالك والممالك**، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس، 1992، ج 2، ص 835؛ السلاوي، **ن. م.**، ج 2، ص 183. وراجع: مزّين (محمد)، **ن. م.**، ج 1، ص 55-56.

171 - كذا في أ وب. وهي قرية مطماطة حالياً التي تبعد مسافة 63 كم شرق فاس على طريق وجدة. انظر: مزّين (محمد)، **ن. م.**، ج 1، ص 103.

172 - أحد فروع قبيلة الحياينة المتوطنة بمجال إيناون غرب تازة. انظر: المودن، **ن. م.**، ص 185-186.

173 - ويرسم أيضاً: ايناون. أحد روافد وادي سبوا وهو قريب من تازة.

174 - المشرع في لسان المغاربة هو مجرى الماء الذي يُمكّن من قطعه على القدمين: دوزي (رينهارت)، **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة محمّد سليم النعيمي، بغداد، 1980، ج 6، ص 394، وجمعها مشارع (راجع الاستقصاء للسلاوي مثلا). ويعرف مشرع الثلاثاء حالياً بمشرع التلات شرق تازة.

175 - تتوطن هذه القبيلة شمال تازة شرق بلاد التسول.

176 - ما زال هذا الوادي محافظا على الاسم نفسه.

177 - من أهم مدن شرق المغرب الأقصى، اتخذها مولاي الرشيد عاصمة له قبل استيلائه على فاس. الشرقي، **ن. م.**، ص 206؛ العامري، **ن. م.**، ص 93؛ الزبادي، **ن. م.**، ص 333؛ السلاوي، **ن. م.**، ج 6، ص 46.

ورَحلنا يوم السّبت، وبِتْنا بالفَحَّامَة[178] في وادي بُلَجْرَاف[179] بالوِلْجَة البَيْضَاء[180] عِند أَوْلَاد عَامِر بن طَلْحَة[181]، فَخْذٌ من قبيلة مِكْنَاسَة، فهناك صاح غُراب البَيْن[182] وقاسَيْنا الآبين[183]، ووَدّعنا الأحباب والاخوان، وتَوجّهنا لأداء فَريضة الرّحمان، وانصدع القلب وانقطع عنّا خَبَر الغَرْب.

من وادي أملل إلى شعبة بني مطهر

ورُحنا لوادي أَمَلِّل[184]، ثمّ بعَيْن الفَريطْسَة[185] بملْوِيَّة[186]، وهنالك رأينا هِلال رَجَب ليلة الثّلاثاء[187].

ثمّ بفُم وادي دَبْدُوا[188]، وأقمنا [71 و] به يوماً كاملا في خِصب وسِعة وراحة ودِعة. وماؤه حُلو عجيب.

---

178 - الفحّامة حالياً 20 كم جنوب شرق تازة.

179 - وادي بولجراف حالياً وهو أحد روافد وادي لربعاء، أحد أهم روافد وادي إيناون. وقد سماه السلاوي، **ن. م.**، ج 4، ص 157: وادي أبي الأجراف.

180 - ما زال هذا الموضع معروفا بالاسم نفسه بالفحّامة.

181 - يوجد إلى حد الآن موضع يدعى عامر بن طلحة مسافة 6 كم جنوب شرق تازة.

182 - غراب البين: نَذِيرُ الفُرْقَةِ، راجع: ابن منظور، **ن. م.**، ج 12، ص 114.

183 - هكذا قرأناها في أ وب. والآبينُ هو العرف أو العادة، راجع: ابن منظور، **ن. م.**، ج 14، ص 5.

184 - ويرسم أيضاً وادي أمليل، وهو أحد روافد وادي ملوية.

185 - ما زالت محافظة على الاسم نفسه.

186 - أي منطقة ملوية وليس الوادي. الشرقي، **ن. م.**، ص 208؛ الزبادي، **ن. م.**، ص 333.

187 - يوم 1 رجب 1101 هـ/ 9 أفريل 1690م.

188 - هو الوادي الذي تقع مدينة دبدو على ضفته اليمنى. أسّست دبدو في العهد المريني وأعيد تحصينها في العهد الوطاسي. وقد مرّ الشرقي في رحلة ذهابه بوادي دبدوا، وفي إيابه بفم وادي دبدوا. انظر: الشرقي، **ن. م.**، ص 208، 582؛ وراجع: **معلمة المغرب**، ن. م.، ج 12، ص 3967.

ثمّ رُحنا بَلْزُوز[189] قريباً من سيدي عَلِيّ بِن سَامِح[190]، وماؤه عجيب أيضاً، ومن ثمّ رجع بقيّة المُوّدعين، جَمعنا الله معهم آمين.

وغدًا بلغنا ماء غَدير وادي الرَّتَم[191]، وحَملنا منه الماء وهو أول ماء حُمِل. وبِتْنا على رأس شعبة بني مَطْهَر[192]، واسْتَقَيْنا وشربنا وذلك ضُحى. ولَقِيتُ هنالك رجلا صالحا عليه سِمَة الخير، وسألته عن نسبه فزعم أنه هِندي وهو أسود اللون، وقلتُ لهُ: ما اسمك، فقال: أبا الخَيْر[193] بن مَسْعُود[194]. وطلبتُ منه الدُّعاء وقال لِي: جَعَلَكَ الله كالرُّمَّانَة وكلّ جهة مَلآنَة، ورَدّكَ الله سالما إلى وَطنك ومَهّد لك في مَسْكَنِكَ، إلى آخر ما ذَكَر.

وحَملنا الماء، وهذا أوّل الظّهْرَا[195]، فيا لها من خالية قَفرا، كثيرةُ الوُحوش قَليلة الأنيس، حتى كنّا نتمنّى[196] أن نَرى آدميّا فلا نَراه.

---

189 – بزوز حالياً وهو اسم لجبل على طريق دبدو المريجة. وقد مرّ الشرقي بفم بلزوز: الشرقي، ن. م.، ص 209، 582؛ الزبادي، **ن. م.**، ص 333: البزبوز.

190 – في ب: مسامح، والرسمان واردان. وأشار الشرقي، **ن. م.**، ص 209، 581، إلى ضريح أبي الحسن الأرضي علي بن مسامح، ومرّ الحضيكي في رحلته (**ن. م.**، ص 75) بزاوية سيدي علي بن سامح وذكر أن موضعها «فوق جبل درنة»؛ الزبادي، **ن. م.**، ص 333؛ العامري، **ن. م.**، ص 93. ومازالت زاوية سيدي علي بن سامح موجودة بسفج جبل المقام بقرية سيدي لحسان. ويبدو من خلال الروايات المحلية أن الولي قد عاش في القرن 9 هـ/ 15 م.

191 – يبدو أنها تسمية أخرى لوادي الرّبط الذي تحاذيه منطقة تدعى الرتيمية مسافة 12 كم شرق عين بني مطهر.

192 – وهي حالياً عين بني مطهر الواقعة بالتراب المغربي مسافة 80 كم جنوب وجدة على الطريق الذي يربطها بفجيج. راجع: الشرقي، **ن. م.**، ص 210، 581: وادي بني مطهر؛ وانظر: **معلمة المغرب**، ن. م.، ج 5، ص 1567.

193 – في أ: أبا لخير، وما أثبتناه فهو من ب.

194 – لم نجد له ذكرا فيما بين أيدينا من مصادر.

195 – الشرقي، **ن. م.**، ص 209، 579؛ الزبادي، **ن. م.**، ص 332–333. ويذكر الحضيكي، **ن. م.**، ص 75، أنها تمتد على مسافة ثمان مراحل أو تسع. وهي منطقة جبلية تمتد بين غرب المغرب وشرق الجزائر بين سلسلة جبال جرادة وجهة تلمسان شمالا وسلسلة جبال الأطلس الكبير الشرقي والأطلس الصحراوي جنوبا؛ وانظر: **معلمة المغرب**، ن. م.، ج 17، ص 5820.

196 – في أ وب: نتمنوا.

من أبيار مولاي الرشيد إلى جبل عنتر

وبِتْنا بلا ماء. وغدًا بلغنا أبيار مَوْلَاي الرَّشِيد[197] وَقْتَ الظُّهر، وحملنا منها الماء، قَبيح مُرّ، وبِتْنا عليه. وهناك بئر يُقال لها العَكِيلَة الحَمْرَاء[198]، لا يُعَوّل على مائها أيضاً، مُنْتِن مالح، وهي أرض سِباخ.

وغدًا بِتْنا بماء يُقال لهُ بُلدْرَاس[199]، مُنتن أشدّ من الأوّل وأقبح، ومع هذا، فلا تَنال منها الماء - أعني الأبيار المُتقدّمة - إلّا بالحِبال الطِّوال والدِّلاء.

وغدًا سِرنا بموضع يقال له السَّطْح[200]، وأدركَتْنا فيه رياح عاصفة شديدة قاصِفة، حتى غيّر الرِّحال ومثّل بالرِّجال.

وبِتْنا عند أشجار قُبالَة جبل [71 ظ] عَنْتَر[201]، وبِتْنا على القِرَب، ومن لا قِرْبَة له لم يَشرب، إلّا إذا أَكْرَى وتَطفّل وبَكى وعَوّل.

وغدًا بلغنا عيْنا خارجة من وسط جبل عَنْتَر مُستقبلة، ووجدنا ماءً طيّبا أفضل ممّا قَبْلَه وذلك ظُهرا. ومِنْ بني مَطْهَر لا تَجِد ماءً طيّبا إلى هنا أربع مراحل، وحَملنا الماء وذهبنا إلى اليل[202] وبِتْنا به.

---

197 - يسميها الشرقي، ن. م.، ص 210، 579، والعامري، ن. م.، ص 93: «بيار السلطان». واشتهر مولاي الرشيد بكثيرة انجازاته المعمارية منها بناؤه لقنطرة وادي سبوا وحفره لهذه الآبار «بالشط من بلاد الظهراء» لسقاية ركب الحجيج في ذهابه وإيابه والتي كانت تُعرف بآبار السلطان. راجع: السلاوي، ن. م.، ج 6، ص 62.

198 - العكيلة تصغير للعُقلة وهو مصطلح دارج للدلالة على التجمع السطحي للماء بعد نزول المطر. وسمّيت العقلة الحمراء في: الشرقي، ن. م.، ص 581.

199 - يسميها العامري، ن. م.، ص 93: «أبو الدروس».

200 - لم نهتد إلى موضعه.

201 - هو الجبل المشرف على مشرية. انظر: العياشي، ن. م.، ج 2، ص 551 الشرقي، ن. م.، ص 580؛ العامري، ن. م.، ص 93.

202 - كذا في أ وب، والواضح أنه اسم مكان.

* من المشرية الخالية إلى المشرية *

وغدًا بلغنا المَشْرِيَّة الخَالِيَة[203]، ويُسمّونه اليوم عَيْن الحَمِير لكثرة الحُمُر الوحشيّة بها، وماؤها يُساغ. وحملنا ماءها، وبِتْنا بالكَارَة[204] ولا ماء.

وغدًا بلغنا عين الكَبْش ضُحى، ويُقال لها عين الحَجَر[205]. ثمّ بلغنا المَشْرِيَّة[206] ظُهرا، وشَربوا وسَقوا من احتاج، وهي آخر أرض الظَّهْرَا، وهم أحياء كأموات، ما رَأيْنا منهم خيرًا ولا شرّا، ولا نَفعًا ولا ضَرّا، وهي أوّل عِمارة تلقاك.

وحَملنا منها الماء الطيّب العجيب، وبِتْنا بين الجبلين المُشرفين على وادي الغَاسُّول[207]، وفيه عين في موضع ماء عجيب لمن يَعرفه، وليس بمعروف عند جميع النّاس. ورُحنا للنَّخِيل[208]، وفيها عين من عُيُون فَزَاز[209] تحت القَصَبَة الحاليّة[210] إلى ناحية المشرق.

وبها اجتمعنا إلى الرّكب السِجِلْمَاسي، ووجدناهم نازلين بها، وكَبيرُهم مَوْلَاي عُمَر بن هَاشِم[211]، ونِعْمَ الرّجل. وأصابنا بها ريح وأهوال وبَرْد ما

---

203 – المشرية حالياً جنوب شرق جبل عنتر، وهي غير الموضع اللاحق ذي الاسم ذاته.

204 – لم نهتد إلى موضعها.

205 – الشرقي، **ن. م.**، ص 211، 579، ولم نهتد إلى موضعها.

206 – المشرية هي مركز ولاية النعامة بالغرب الجزائري حاليا. انظر: الشرقي، **ن. م.**، ص 212، 579؛ الزبادي، **ن. م.**، ص 332.

207 – مازال هذا الوادي معروفاً بالاسم نفسه مسافة 40 كم جنوب مدينة البيض وهو يبعد مسافة 140 كم شرق المشرية. العياشي، **ن. م.**، ج 2، ص 548؛ الناصري، **ن. م.**، ص 722؛ الحضيكي، **ن. م.**، ص 83.

208 – الشرقي، **ن. م.**، ص 212: النخيلي، وفي ص 579: النخيل؛ في الحضيكي، **ن. م.**، ص 83: النخيلة.

209 – لم نهتد إلى موضعها، إلا أن يكون المؤلف قد قصد بلاد فازاز بالمغرب الأقصى حيث نشأ الحسن اليوسي.

210 – لم نهتد إلى موضعها.

211 – عمر بن هاشم العلوي الحسني السجلماسي، هو أمير الركب السجلماسي، وقد التقاه القادري بطرابلس في طريق عودته من الحج، انظر: القادري، **نسمة الآس**، ن. م.، ورقة 147 ظ. كما ذكره السلطان مولاي إسماعيل في رسالة بعثها إلى شريف مكّة سعد بن زيد حيث دعاه «ابن عمنا مولاي عمر هاشم»، وأشار إلى تآلفه مع الشريف أحمد بن غالب الذي يسّر

لا يَصِف الواصِفون ولا يُكَيِّفه المُتكلّمون، ما رأيت مثله في جبل جيّان في فصل حيّان[212].

ورحلنا في ذلك اليوم[213] ونحن مُشرفون على الهلاك[214].

من خنق الملح إلى الطريفيّة

ورُحنا لخَنْق المِلْح[215]، وماؤه [72 و] مالح، وما بَنَيْنا الأخبية إلّا بشقّ النّفس من شِدّته وقَسْوَته. ووجدنا به حيّا يُقال لهم العَمُّور[216]، ونَزلنا بينهم، وأكثروا[217] الغَنَم والسَّمْن واللّبن، وأكثر ما يَطلبونه الثّياب والشّرَك[218].

وغدًا، قَطَعَ الله عنّا الرّيح، ودَخلنا الخَنْق، وتَلَقَّيْنا[219] ناسًا وحَيّا[220] يُقال لهم أولاد يَعْقُوب[221]، وعَزموا على النّهب، فلمّا تَلاحق الرّكب ورأوا ما لا طاقة لهم به ذهبوا مَحرومين.

مأمورية الحجّاج المغاربة وحمّل عمر رسائل إلى مولاي إسماعيل، انظر: ابن زيدان، **العز والصولة في معالم نظم الدولة**، الرباط، 1961، ص 284، وانظر: المنوني (محمد)، **من حديث الركب**، ن. م.، ص 34. وقد أسس عمر بن هاشم زاوية بالرتب مسافة 56 كم شمال سجلماسة تعرف إلى الآن بزاوية أوفوس أو زاوية مولاي عمر بن هاشم.

212 - كذا في أ وب، ولعله مثل مغربي محلي.

213 - سقطت من أ.

214 - في ب: المهالك.

215 - الخنق حاليا.

216 - العمور قبيلة هلالية الأصل كانت تنتجع بين جبل أوراس شرقاً إلى جبل العمور المنسوب إليهم غربًا. انظر: ابن خلدون، **العبر**، تحقيق خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار، بيروت، 1996، ج 6، ص 34، ج 7، ص 64؛ العياشي، **ن. م.**، ج 2، ص 548.

217 - في أ: وكثروا، وما أثبتناه فهو من ب.

218 - كلمة عامية في بلاد المغرب، وهي جمع شركة بمعنى القلادة. راجع: دوزي (رينهارت)، **ن. م.**، ج 6، ص 300.

219 - كذا في أ وب.

220 - في أ وب: ناس وحي.

221 - أشير إليهم في الكثير من الوثائق باسم أولاد يعقوب وبني يعقوب. انظر: السلاوي، **ن. م.**، ج 6، ص 32، في وثيقة مؤرخة بعام 1064 هـ/ 1654 م.

ورُحنا للطَّرِيفيَّة[222] ولا ماء.

* من عين ماضي إلى لغواط *

ثمّ صَبّحنا قرية عَيْن مَاضِي[223] يوم الأربعاء السّادس عشر من رَجَب[224]. وأهلها يَتَلَقّون الحَجيج فرحًا وسرورًا، وأكثرهم طَلَبَة يَقرؤون القرآن، ويَرغبون في مُلاقاة أهل الصّلاح، ويسألون عن آيات في القرآن والتّجويد والتّفخيم والتّرقيق وكيفيّة ذلك، مع ثِقَل مُفرط وجَفاء في طَبائعهم وبَلادَة وشُحّ وبُخل، وماؤها حُلو عجيب.

وصبيحة الخميس رَحلنا، وبِتْنا تحت قرية تَجْمُتْ[225] بوادي إِمْزِي[226]، وماؤه قويّ مالح.

وغدًا بلغنا قرية لَغْوَاطْ[227] ضُحى، ونَزلنا بها، وماؤها[228] عجيب.

---

222 - ما زالت تُسمى بنفس الاسم إلى الآن، وهي تقع مسافة 15 كم جنوب غرب عين ماضي.

223 - قرية بالغرب الجزائري تقع مسافة 75 كم شمال غرب الأغواط. انظر: العياشي، **ن. م.**، ج 2، ص 546؛ الناصري، **ن. م.**، ص 719: «عين الماضي»؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 214، 578؛ الحضيكي، **ن. م.**، ص 85؛ العامري، **ن. م.**، ص 94؛ الأغواطي، **رحلة الأغواطي**، ترجمة وتحقيق أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2011، ص 89.

224 - يوم 24 أفريل 1690 م.

225 - وترسم أيضاً تاجموت، قرية بالغرب الجزائري تقع مسافة 48 كم شمال غرب الأغواط. انظر: الناصري، **ن. م.**، ص 132: الشرقي، **ن. م.**، ص 215، 578؛ ورسمها الأغواطي، **ن. م.**، ص 88: تجمعوت.

226 - ما زال يُعرف باسم وادي مزي. وهو ينبع من جبال العمور ويشق مدينة الأغواط، وهو مشهور بالبساتين المحدثة على ضفافه. انظر: الشرقي، **ن. م.**، ص 578؛ الأغواطي، **ن. م.**، ص 87.

227 - الأغواط حالياً. انظر: العياشي، **ن. م.**، ج 2، ص 546؛ الناصري، **ن. م.**، ص 718؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 215، 577؛ الحضيكي، **ن. م.**، ص 85؛ العامري، **ن. م.**، ص 94؛ الأغواطي، **ن. م.**، ص 87.

228 - سقطت من أ.

من لغواط إلى وادي سيدي خالد

وغدًا رحلنا، ومررنا بماء وقت الضحى يُقال له العَسَّفِيَّة[229]، ماء حُلو طيّب، فبِتْنا بوادي القَصَب[230] وماؤه حُلو أيضاً.

وغدًا بلغنا موضعا يُقال له المَكَيَّد[231] ضُحى، ووجدنا قبيلة بها يُقال لهم أَوْلَاد نَايِل[232]. ولَقِيَنِي رجل منهم وقال لي[233]: أهذا[234] شاوك، (ولم أفهم قَوله. ثمّ قال لي إنسان: إنّه سَألكَ هل لكَ حَجّة قبل هذه أم هذا شاوك الأوّل)[235] قلتُ لهُ: نعم هذا شاوي.

وبلغنا قرية عند الظُّهر يقال لها دَمَّدْ[236]، وأهلها [72 ظ] يَسرقون النوم من الأجفان إن كان لهم به إمكان. ولم نَبِت بها بل تَعَدّيْناها.

ونَزلنا بعين يُقال لها عين العَمَش[237]، ويُسمّونها[238] أهل البلد عين الحَوَاجِب.

---

229 – العَسَّافِيَّة حالياً مسافة 14 كم شرق الأغواط على ضفة وادي مزي.

230 – لم نهتد إليه ويبدو أنه أحد الأودية الكثيرة التي توجد بين العسّافية والمقيّد.

231 – رُسم الاسم في أ وب بثلاث نقاط أسفل الكاف. بئر المقيّد الآن على الطريق الرابط بين العسافية ودمّد.

232 – من أهم قبائل ولاية الجلفة إلى الآن، وهم ينتسبون في الشرف، سماهم الناصري، ن. م.، ص 715: «نائلة».

233 – في ب: لهم.

234 – في ب: هذا.

235 – ما بين قوسين ساقط من ب.

236 – يحتل موضع دمّد حالياً الضواحي الشرقية لمدينة مسعد على ضفاف وادي مسعد. وورد دماك عند العياشي، ن. م.، ج 2، ص 546؛ ودمت عند الناصري، ن. م.، 133، 716؛ دمت ودمد عند الشرقي، ن. م.، ص 220، 577؛ ودادمد عند: العامري، ن. م.، ص 94.

237 – لم نهتد إلى موضعها.

238 – كذا في أ وب.

وغدًا بَلغنا وادي عَبْد المَجِيد[239] قبل العصر، وماؤه عجيب، وحَملنا منه ماء يومين، ودخلنا وادي سيدي خَالِد[240].

وهاتان المرحلتان[241] من أقبح ما في هذه الطّريق، الأرض الخَشِنَة الصَّلْبَة، والعَطَش والخوف، فمَنّ الله تعالى علينا فيه بكثرة المياه المَطَريّة حتى وجدناها في كلّ شِعَب ووادي، فأغنانا الله تعالى عن الماء المحمول، وما رأينا إلّا جميع الخيرات والنّعيم والمَسرّات، كما عوّدنا المَلك الجليل الرؤوف الكَفيل.

* الوصول إلى وادي البسباس *

وبِتْنا بوادي البِسْبَاس[242] قُبالَة التَّوْأَمِيات[243].

وغدا رحلنا، وأدركتنا وَغْرَة[244] شديدة، فقال الشّيخ - حفِظه الله - هذين البيتين[245] ارتجالا[246]:

[من الخفيف]

وَعَسَى أَنْ يَكُونَ لُطْفٌ مِنَ اللّـ ـهِ وَلُطْفُ الإِلَهِ أَمْرٌ خَفِيُّ

---

239 - أحد روافد وادي جدّي. انظر: العياشي، ن. م.، ج 2، ص 545؛ الناصري، ن. م.، ص 715؛ الشرقي، ن. م.، ص 221، 576؛ الحضيكي، ن. م.، ص 85؛ الزبادي، ن. م.، ص 332.

240 - الشرقي، ن. م.، ص 222، 575؛ الحضيكي، ن. م.، ص 85؛ العامري، ن. م.، ص 94.

241 - في أ: وهذه المرحلتين، وفي ب: وهذه المرحلتان، وقد أُصلحت في هامش أ.

242 - ما زال محافظا على الاسم ذاته جنوب قرية سيدي خالد.

243 - وترسم أيضاً التوميات، انظر: الناصري، ن. م.، ص 715؛ الشرقي، ن. م.، ص 222، 575؛ العامري، ن. م.، ص 94.

244 - الوغرة شِدَّةُ توقُّد الحرّ. راجع: ابن منظور، ن. م.، ج 5، ص 286.

245 - في أ وب: هاذان البيتان، وقد أُصلحت في هامش أ.

246 - **ديوان اليوسي**، ن. م.، ص 492.

لَـوْ تَـضِـيـقُ الأُمُــورُ لِـلْـعَـبْـدِ فَاللّـ
ـــهُ لَـطِـيــفٌ بِــعَــبْــدِهِ وَحَــفِــيُّ

ودَفَعها إليّ - أعزّهُ الله - وأمرني أن أزيدَ عليها، واستعظمتُ ذلك لإعجازي عن إدراكه، ثمّ مَنّ الله عَليَّ بعد ذلك، غير أن القافية تَعسّرت عَليَّ، فقلتُ[247]:

[من الخفيف]

رَبَّــنَــا إِنَّــنَــا جَــزِعْــنَــا وعُــذْنَــا
لِـحِـمَـاكَ فَـامْـنُـنْ عَـلَـيْـنَـا بِـلُـطْـفِ

لاَ تُــؤَاخِــذْ مَــوْلاَيَ عَـبْـدًا بِـنُـكْـرٍ
إِنْ عَـصَـاكَ وَحَــادَ عَــنْ كُـلِّ عُـرْفِ

إِنَّــكَ المُحْسِنُ الــرَّؤُوفُ الـجَـوَادُ الْـ
ـمُنْعِمُ المِفْضَلُ الرَّحِيمُ بِضُعْفِي[248]

أَسْـبِـلْ السِّتْرَ يَـا كَـرِيـمُ[249] عَلَى مَنْ
رَاحَ فِـي رُمَّــةٍ وطَـيْـشٍ وَخَــوْفِ

وَبِـــجُـــودِكَ يَــا إِلاَهِـــي فَـيَـسِّـرْ
مَــا بَـقَـى كَـالَّـذِي تَـعَـدَّيْـتَ خَـلْـفِ

[73 و] وَبُـلُـوغ النَبيِّ أَقْـصَـى مُـرَادِي
فَـاجْـمَـعْ الـشَّـمْـلَ قَـبْـلَ إِتْـيَـانِ حَتْفِ

فلَمْ نَرَ - والحمد لله - إلّا جميع الخيرات والنِّعم والمَسرّات، كمّل الله تعالى لنا ذلك ووَقانا من جميع المَهالك، بالنبيّ وآله.

---

247 - نلاحظ عدم استقامة وزن الأبيات 1 و2 و5.

248 - في أ: بضعف، وهو ما لا يقتضيه السياق.

249 - في ب: رحيم.

* الوصول إلى قرية سيدي خالد *

ثمّ رُحنا لقرية سيدي خَالِد[250]، وسألونا[251] عنهُ النازلين عِنده، وألَحّوا في ذلك، هل هو نبيٌّ مُرسل أو نبيٌّ فقط، فقال لهم سيدي الوالد: لا عِلْمَ لنا به. ثمّ رأيتهُ بعد ذلك في تأليف بمِصْر قال: خَالِد بن سِنَان[252] – عليه السّلام – كان في الفترة، وقد نَسَبَ إليه ذاكِره في هذه البيتين[253]:

[من المتقارب]

شَـــهِـــدْتُ[254] عَـلَـى أَحْـمَـدٍ أنَّـــهُ
رَسُـــولٌ مِـــنَ اللهِ بَـــارِي الـنَّـسَـمْ

فَـلَـوْ مُـدَّ عُـمْـرِي إلَـى عُـمْـرِهِ
لـكُـنْـتُ وَزِيـــرًا لَـــهُ وَابْـــنَ عَـمْ

وذَكر أيضاً أنّه بإفْرِيقِيَّة، فلذلك ظَنَنْتُ أنّه هو، والله أعلم بحَقيقة أمرِه.

وبلاده هذه هي أوّل بلاد الجَرِيد[255].

250 – سيدي خالد حالياً مسافة 85 كم جنوب غرب بسكرة. انظر: الناصري، ن. م.، ص 712؛ الشرقي، ن. م.، ص 222، 575؛ الحضيكي، ن. م.، ص 85؛ العامري، ن. م.، ص 94؛ الزبادي، ن. م.، ص 16؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 5، 87.

251 – كذا في أ وب، والملاحظ أن تركيب هذه الجملة ركيك.

252 – تواترت روايات بإفريقية منذ نهاية العصر الوسيط مفادها أن نبيا دُفن بجهة بسكرة يدعى خالد بن سنان العبسي، وهو المذكور في بعض كتب السنن، انظر: ابن عابد، ن. م.، ص 88؛ العياشي، ن. م.، ج 2، ص 542–544؛ الشرقي، ن. م.، ص 222–226؛ الزبادي، ن. م.، ص 16.

253 – الأبيات منسوبة إلى أبي كُرَيْب أسعد بن مَلْكيكرب اليماني المعروف بتُبّع الأوسط. راجع مثلاً: ابن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، 2003، ج 3، ص 122.

254 – في أ وب: شهيدٌ، والمعنى لا يستقيم.

255 – ياقوت، ن. م.، ج 2، ص 57، 306، التجاني، **رحلة التجاني**، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس، 1981، ص 105، 119، 128، 134؛ الناصري، ن. م.، ص 160، 701؛ الزبادي، ن. م.، 332؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 122.

* من غابة الدغرا إلى غابة ابن علوش *

وغدا بلغنا غابة يُقال لها الدغرا[256] ضُحى، ونزلنا بموضع منها يُسمّونها غابة ابن عَلُّوش[257]. وسَبَب نُزولنا أن امرأة يُقال لها أمّ النُّون بنت بُوعُكَّازَة، ولها وَلَد يُقال له الكدوم[258]، وأبوها كان مَلِكًا في قومه، ثمّ مات وتَوَلّى المُلك بعده ابنها، وهو الموجود الآن، وهي أيضاً مَلِكَةٌ، فأرادت أن تَحُجَّ معنا، فحَصَرَت[259] الرّكب فأقام عليها، فجاءت عشيّة النّهار بالطُّبُول والمَزَاهِر[260] وخَيْلها ورُماتها، فَضُربت لها قُبّة من حرير ونَزَلت.

وما رأيت أقلّ من هؤلاء النّاس عقلًا ودينًا وأمانة وتمييزًا[261]، ويَدُلُّ على ذلك تَمَلُّك المرأة عليهم وانقيادهم [73 ظ] لطاعتها حتى أنها تَفعل فيهم ما أرادت. وقد قال سيدي عليه السّلام: لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ إِمْرَأَةً[262]. ولا يَلقاكَ أحد منهم إلّا وتَرَى الخِيانة في عَيْنيه. وإيّاك أن تَغْتَرَّ بنفسك في هذه البلاد كما كنتَ في بِلادك تَعتاد، فلا تَظنّ فيهم إلّا شُرورا، ولا تَزداد منهم إلّا نفورًا.

---

256 - لم نهتد إلى موضعها.

257 - لم نهتد إلى موضعها.

258 - لم نجد ذكرا لهذه الملكة ولا لابنها في ما بين أيدينا من المصادر. وقد أشار العياشي في رحلة عودته من الحج ببسكرة إلى خوف الركب من غارات «عرب أولاد نصر ابن بوعكاز»، انظر: العياشي، ن. م.، ج 2، ص 539.

259 - كذا في أ وب، ولعلها فحضرت.

260 - جمع مِزهر، وهو العود الذي يُضرب به. انظر: ابن منظور، ن. م.، ج 4، ص 333.

261 - في ب: وتمييزًا وأمانة.

262 - رواه البخاري، كتاب الفتن، حديث عدد 4425.

* الوصول إلى بسكرة *

وغدا رحلنا، ورُحنا لإقليم الزَّاب[263]، وبِتْنا بقرية أَمْلِيلِيَة[264] على وادي أَجْدِي[265]، وماؤه مالح جدًّا.

وغدًا صبّحنا عِمَارَة بِسْكِرَة[266]، وهو يوم السّبت السّادس والعشرين من رَجَب[267]، ونحن في غايَة التّعب والنَّصَب[268]، ونَزلنا عليها، وهي بَلدة كثيرة النّخيل إلّا أن ماءها مالح أيضاً.

ثمّ ارتجل سيدي الوالد يومئذ هذه الأبيات لما خطر بباله، فكَتَبْتُها عنه، وهي قوله[269]:

[من الكامل]

يَسْخُو البَخِيلُ بِنَفْسِهِ[270] فَيُزِيلُهَا
فِـي مِـهْـنَـةٍ[271] لِـلـنَّـاسِ لاَ بِـالـمَـالِ

إِنَّ الـبَـخِـيـلَ حَـيَـاتُـهُ بِـالـمَـالِ لاَ
فِي المَجْـدِ[272] أَوْ إِيتَـاءِ[273] ذِي الآمَالِ

---

263 – ياقوت، ن. م.، ج 3، ص 124؛ العياشي، ن. م.، ج 2، ص 542؛ الحضيكي، ن. م.، ص 85؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 88.

264 – مليلي حالياً مسافة 25 كم جنوب غرب بسكرة. ووردت عند العياشي: أمليلي، ن. م.، ج 2، ص 542، ومليلية عند الناصري، ن. م.، ص 711.

265 – وادي الجدي عند الناصري، ن. م.، ص 711. وهو الوادي الذي يُحاذي الطريق الرابط بين قرية سيدي خالد وبسكرة.

266 – ياقوت، ن. م.، ج 1، ص 422؛ العياشي، ن. م.، ج 2، ص 539؛ الناصري، ن. م.، ص 139، 711؛ الشرقي، ن. م.، ص 227، 573؛ الحضيكي، ن. م.، ص 86؛ العامري، ن. م.، ص 94؛ الزبادي، ن. م.، ص 25؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 86.

267 – يوم 4 ماي 1690 م.

268 – النصّب بمعنى الإعياء من العناء، انظر: ابن منظور، ن. م.، ج 1، ص 758.

269 – لم ترد هذه الأبيات في الديوان المطبوع.

270 – في ب: كتب فوق الكلمة « بذاته».

271 – في ب: كتب فوق الكلمة « خدمة».

272 – في ب: بالمجد.

273 – في ب: إتيان.

لَـكِـنْ كَـرِيـمَ الـنَّـفْـسِ مَـنْ يَـرْبُـو بِهَا
عَـنْ كُـلِّ مَـا ذُلٍّ وَعَـن إِذْلَالِ

وَلَـقَـى بِـدُنْـيَـاهُ الـدَّنَـاءَةَ نَفْسَهُ[274]
وَيُـشِـيـدُ مَـجْـدَ الـجُـودِ وَالأَفْـضَـالِ

وهي قرية أحكمها الخِرَب واستولى عليها الدُّثُور، وهي من عَمَالَةِ تُونِس، وبينهما مسيرة أربعة أيّام. وما رأينا بها من يَقرأ ولا يُقرئ، ولا من يُضيف ولا يُقري، تَسْمَعُ بِالمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ[275]. وفيها مسجد عظيم إلّا أنه خالٍ، وسوق يوجد فيه غالب ما يُحتاج (إليه)[276]، وكلّ ذلك [74 و] من الحُجّاج. وماؤها لا يَكاد يُساغ.

* من بسكرة إلى مقام عقبة بن نافع *

وأقمنا بها يوماً، ورحلنا منها يوم الاثنين الثّامن والعشرين من رَجَب[277]. وأصابنا يَوم رَحيلنا مطر حتى عَجِزت الإبل عن المسير لأنّ أرضَها سَبْخَة، فلمّا أصابها الماء صارَت كالغَاسُول[278]، فترَى الإبل يَتَساقط بعضها على بعض والنّاس كذلك، وأَخْفَاف الإبل لا تَثْبِت إلّا على الرّمل، ولا حَظَّ لها في الوَحْل.

وسِرنا إلى قُرب الظُّهر، ونَزلنا على وادي قرية أُمّ الهَنا[279]، إذ لا طاقة لنا على المَشي.

---

274 – في ب: كتب فوق الكلمة « عرضه».

275 – مثل عربي مشهور. انظر: النيسابوري، **مجمع الأمثال**، تحقيق محمّد محيى الدين عبد الحميد، بيروت، 1992، ج 1، ص 129.

276 – إضافة في ب.

277 – يوم 6 ماي 1690 م.

278 – الغاسول : الصَّابُونُ وَمَا يُغْسَلُ بِهِ. راجع: ابن منظور، **ن. م.**، ج 11، ص 496.

279 – لا وجود الآن لوادي بهذا الاسم بين بسكرة وسيدي عقبة.

وغدًا رَحلنا، ومَررنا ضُحىٰ بمَقام سيدنا عُقْبَة[280]، وسَألتُ سيدي الوالد عنه فقال لي: هو عُقْبَة بن نَافِع الفِهْرِي[281]، رأى النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - وهو صغير. ورأيتُ أيضاً الدَميري[282] ذكرهُ، قال: عُقْبَة بن نَافِع بن عَبْد قَيْس، وهو ابن خالة عَمْرُو بن العَاص[283]، وهو الذي افتَتَح إفْرِيقِيَّة وبَنَى القَيْرَوَان[284]. ويُقال أيضاً أنّه بَلَغ إلى أقصى الغرب وبلغ وادي دَرْعَة[285]، وإليه تُنسب القرية المَدعُوّة بأعقُبَتْ بخُمُس تِنْزُلِين[286].

من مقام عقبة بن نافع إلى غسران

وبِتْنا بموضع يُقال لهُ الحَكَف[287]، ولا ماء. وهنالك رأينا هِلال شَعبان، ولا ماء بذلك المكان، وذلك ليلة الأربعاء[288].

---

280 - يقع مسافة 16 كم جنوب شرق بسكرة. انظر: العياشي، **ن. م.**، ج 2، ص 539؛ الناصري، **ن. م.**، ص 146، 1?7؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 230، 576؛ الحضيكي، **ن. م.**، ص 86؛ العامري، **ن. م.**، ص 94؛ الزبادي، **ن. م.**، ص 21؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 94.

281 - عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري، ت 63 هـ/ 683م. أحد قواد فتح المغرب ومؤسس القيروان. انظر: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 4، ص 241.

282 - أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدميري القاهري، ت 808 هـ/ 1405م. انظر: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 7، ص 118.

283 - عمرو بن العاص بن وائل السهمي، ت 43 هـ/ 664م. صحابي وفاتح مصر. انظر: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 5، ص 79.

284 - راجع: الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، تحقيق إبراهيم صالح، دمشق، 2005، ج 2، ص 187.

285 - أطول أنهار المغرب، ينبع من الأطلس الكبير ليصب في المحيط الأطلسي قرب طان طان. انظر: **معلمة المغرب**، ن. م.، ج 12، ص 3992.

286 - في ب: تزلين، وقرأها عبد الحي الكتاني: أعقبت بخميس تنزلين، انظر: الكتاني، «أشرف بقعة وأقدس بناحية مراكش»، **ن. م.**، ص 19. وتينزولين الآن هي إحدى الواحات الست الكبرى على وادي درعة، أما الخمس فهي إحدى التقسيمات القبلية الخمسة لوادي درعة. انظر: **معلمة المغرب**، ن. م.، ج 12، ص 3993.

287 - رُسم الاسم في أ وب بثلاث نقاط أسفل الكاف. ترسم أيضاً: الحقف، ويقطع وادي الحقف حالياً الطريق الرابطة بين سيدي عقبة وزريبة الوادي مسافة 7 كم غرب الزريبة. انظر: الناصري، **ن. م.**، ص 159، 1?0.

288 - يوم 1 شعبان 1101 هـ/ 9 ماي 1690 م.

وغدًا بَلغنا عِمارات يُقال لها الزَرَايِب[289]، واسْتَقَيْنا مِن زَرِيبَة الوادي[290]. وبِتْنا بزَرِيبَة حَامِد[291]، وذلك عَصْرا، وماؤها طيّب وحَمَلنا منه الماء.

وبِتْنا بشعبة يُقال لها جَارَش[292]، بلا ماء.

وغدًا بلغنا قرية يُقال لها غِسْرَان[293][74 ظ]، وذلك أوّل الظُّهر، ويُسمّونها اليوم بَاب إِفْرِيقِيَّة، وهنالك قَصْر عظيم خَرِب اسمه إِفْرِيقِيَّة[294]، وما زال إلى الآن معالم البُنيان، وماؤه قبيح، يُسْهِل البَطن ويُوَرِّث الكَسَل بإذن الله تعالى، ولا بدّ لمن شَرِبَه أن يَتَضَرَّر منه كما شاهدناه في كثير من النّاس. ثمّ تَعَدَّيْناه بعد ما حَملنا ماؤه، وبِتْنا على غير ماء.

* من الشبيكة إلى سيدي أبي هلال *

وغدًا بلغنا قرية يُقال لها الشَّبِيكَة[295]، وذلك ظُهرا أيضاً، وحملنا ماءها وهو أفضل من الذي قَبله. وبِتْنا بوادي يُقال له أُمّ العَفَاج[296] ولا ماء فيه.

289 – الناصري، ن. م.، ص 159؛ الشرقي، ن. م.، ص 234؛ العامري، ن. م.، ص 94؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 105.

290 – ما زالت تعرف بالاسم ذاته. العياشي، ن. م.، ج 2، ص 538؛ الناصري، ن. م.، ص 159، 709؛ الشرقي، ن. م.، ص 571.

291 – ما زالت تعرف بالاسم ذاته. العياشي، ن. م.، ج 2، ص 537؛ الناصري، ن. م.، ص 707؛ الشرقي، ن. م.، ص 234، 571.

292 – وادي جارش الآن الواقع مسافة 15 كم غرب نقرين.

293 – يمر وادي غيسران حالياً مسافة 6 كم جنوب مدينة نقرين. انظر: الناصري، ن. م.، ص 159، 707؛ الشرقي، ن. م.، ص 234، 570؛ الحضيكي، ن. م.، ص 86؛ العامري، ن. م.، ص 94؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 107.

294 – كذا في أ وب. اندثر هذا الاسم الآن، ويظهر أن المقصود به هو الحصن العسكري لمدينة بسرياني القديمة الواقع مسافة 5 كم جنوب نقرين.

295 – ما زالت تعرف بالاسم نفسه، وهي واحة جبلية تقع مسافة 50 كم شمال غرب توزر. انظر: الناصري، ن. م.، ص 160، 706؛ الشرقي، ن. م.، ص 214، 570؛ العامري، ن. م.، ص 94.

296 – يعرف حالياً بوادي ساقية أم لعفاش ويقع في منتصف المسافة بين الشبيكة وحامة توزر. ويبدو أن هذا الاسم قد ورد محرفا عند الشرقي، ن. م.، ص 235: أم الأحوى.

وغدًا بَلغنا حَامَّة تُوزر[297] ضُحى، ثمّ بَلغنا تُوزر[298] عند الظُّهر، ونَزلنا في رِمال خارجها، وذلك يوم الأحد الخامس من شَعبان[299]. وهي بَلدة كثيرة النّخيل والمياه[300]، إلّا أنّ ماءها قَبيح مالح وبُنيانها عَجيب. وأمّا النّاس فلا ناس[301].

واعلم أنّكَ ما تَرى أهل العقل والصلاح والكرامة منذ تُجاوز تَازَة مع الفَحَّامَة[302]، فسُبحان من أبعدهم عن الطِبَاع الحنان، وخَصَّهم بالجَفَاء والرِعَان، ووالله وعياذا بالله من الرّضا عن النّفس والدعوى، ما أَظُنُّهم والبَهائم إلّا سوى، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾[303]. والله أرجو وأستعين، الربّ الكريم، الرّحمان الرّحيم، النافع الضارّ، خالق الجنّة والنّار، مُسَيِّر كلّ أحد إلى ما خلق له إلهامًا وتيسيرًا، وخَلَق كلّ شيء فقَدَّره تقديرًا، فواجب علينا أن نَحمد الله تعالى إناء اللّيل وأطراف [75 و] النّهار، ونَشكره شُكرًا لا حدّ له ولا مقدار، فإنه قيل: النّعمة إذا شَكَرْتَ قَرَّت وإذا كَفَرْتَ فَرَّت. كَمَّلَ الله تعالى علينا النِّعَم والخيرات كما عوّدنا، وجعلنا من الحامدين الشّاكرين كما أمرنا، إنّه ذو الجود الأعمّ والطول الأتمّ.

297 - إحدى أهم واحات بلاد الجريد، وتقع مسافة 10 كم شمال توزر. ياقوت، ن. م.، ج 2، ص 306؛ التجاني، ن. م.، ص 134؛ العياشي، ن. م.، ج 2، ص 537؛ الناصري، ن. م.، ص 160، 705؛ الشرقي، ن. م.، ص 235، 569؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 122.

298 - عاصمة بلاد الجريد وأكبر واحاتها على الإطلاق. انظر: ياقوت، ن. م.، ج 2، ص 57-58؛ التجاني، ن. م.، ص 157-164؛ العياشي، ن. م.، ج 2، ص 535-537؛ الناصري، ن. م.، ص 160، 701؛ الشرقي، ن. م.، ص 235، 568؛ الحضيكي، ن. م.، ص 86؛ العامري، ن. م.، ص 94؛ الزبادي، ن. م.، ص 18، 20؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 122؛ الهلالي، ن. م.، ص 226.

299 - يوم 13 ماي 1690 م.

300 - في ب: المياه والنخيل.

301 - يُراد به الفُضلاء دون غيرهم.

302 - أي بلد أَوْلَاد عَامِر بن طَلْحَة شرق تازة، سبق الإشارة إليه.

303 - سورة الروم، الآية 22.

[من مجزوء الرجز]

شُــكْــرُ الإلَــــهِ نِــعْــمَــةٌ
مُـــوجِـــبَـــةٌ لِـــشُـــكْـــرِهِ

فَــكَــيْــفَ شُــكْــرِي بِــرَّهُ
وَشُــكْــرُهُ مِــنْ بِــرِّهِ[304]

وغدًا نَزلنا بسيدي أبي هِلَال[305]، وذلك قَبْل الزّوال.

* عبور السبخة *

وغَدا رحلنا، ودَخلنا سَبْخَةً بيضاء[306] قبل طلوع الشّمس، تُعْمِي البَصَر وتُفسد العُقول والفِكر، ولم نَخرجها[307] إلى بعد العَصْر. واستقبلنا فيها ريح صَدع الرؤوس وأتعب النّفوس، وما رأيتُ ريحًا أقوى منه، حتى أنّه يَقْلع الثوب عن صاحبه ويذهب به كرها، وكثير من النّاس بلغ الدّار عُرياناً. وظلّ في هذه الرّيح من الحُجّاج خمسة وعشرون رجلًا، فلم يَظهر لهم أثر ولا بَلغ عنهم خَبَر. وقَدَّر الله تعالى أن تلك الأرض كلّها ملح خالص، فلما جاءت الرّياح تَرَى الملح كالثّلج، فإذا أصاب عين الرّجل سقط على وجهه حتى يَحول الرّمل بينه وبين الرِّفْقَة، فلا يدرى أين يَذهب وتأكله الفَيْفاء.

304 - يُنسب البيت لمحمود الورّاق، ت حوالي 225 هـ/ 840 م، راجع: **ديوان محمود الوراق**، جمع وتحقيق وليد قصاب، عجمان، 1991، ص 224.

305 - في ب: أبو هلال. وهو أبو هلال السدادي، أحد أولياء الجريد المشهورين الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن 7 هـ/ 13 م. دُفن بزاويته ببلدة سدادة التي أصبحت تُسمى مجازا بلدة أو زاوية سيدي بوهلال. انظر: ابن ناجي، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تونس، 1993، ج 4، ص 50-52؛ العياشي، **ن. م.**، ج 2، ص 533؛ الناصري، **ن. م.**، ص 161، 700؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 245، 568؛ الحضيكي، **ن. م.**، ص 87.

306 - أي شط الجريد الحالي، انظر وصفها في: التجاني، **ن. م.**، ص 154؛ العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 125؛ الناصري، **ن. م.**، ص 161، 697؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 245؛ الحضيكي، **ن. م.**، ص 86؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 127.

307 - كذا في أ و ب، وصوابها: نخرج منها.

ورأيتُ رجلاً يومئذ من أهل تُوَات[308] لهُ مال عظيم القدر، وله بِنت على جَمَل، ولهُ على ذلك الجَمَل[309] كلّ ما يَمْلِك، فترَكَ ذلك كلّه ونَجا بنفسه، وفتَح الله عليه فيمن جَمَعَهُ [75 ظ] بمَتاعِه كلّه، ولولا فَضْل الرّحيم الرّحمان ما اجتمع اثنان، إذ بلغ النصب مُنتهاه، والعَجْز مَأواه. وذكروا لنا أن عَرْضها إلى السُّودَان مَسيرة أربعين يوماً.

* من زاوية الرمل إلى قابس *

ورُحنا لزاوية الرَّمْل[310]، ماء طيّب.

ثمّ بلغنا غدا قصر الرُمان[311] ظُهرًا، واِسْتَقَيْنا منه ماء المَبيت، وهو مالح مُنْتِن الرائحة. وبِتْنا بموضع يُسمّونه النَّبْش[312]، ولا ماء به.

وغدًا بِتْنا بحَامَّة قَابِس[313]، وفيها عَيْنٌ من أُعجوبة الزمان، فسبحان المَلك الخلاّق، لا تَقدر أن تَدخله إلّا بشقّ النّفس لحَرارَته المُحْرِقة، وعليه بُنيان

308 - أحد أقاليم غرب الصحراء الجزائرية. انظر: ابن مليح، ن. م.، ص 28؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 74.

309 - سقطت في ب.

310 - العياشي، ن. م.، ج 2، ص 533؛ الناصري، ن. م.، ص 161-162. واسم المكان مندثر الآن وموقعه لا محالة جهة المنشية شمال مدينة قبلّي حيث تكثر أسماء الأماكن المنسوبة إلى الزوايا مثل زاوية العرب وزاوية العانس وزاوية الحرث، ولعل زاوية الرمل هو اسم قديم لإحداها.

311 - العياشي، ن. م.، ج 2، ص 533؛ الناصري، ن. م.، ص 162، 696. وقد اندثر اسم المكان حالياً والأرجح أنه يقع في محيط واحة ليماقس الحالية.

312 - ويعرف أيضاً بنبش الذيب، وما زال هذا الموضع معروفا بالاسم ذاته مسافة 30 كم جنوب غربي حامة قابس. انظر: العياشي، ن. م.، ج 2، ص 533؛ الناصري، ن. م.، ص 696.

313 - تُعرف أيضاً بحامة مطماطة، وتقع مسافة 30 كم غرب قابس. انظر: التجاني، ن. م.، ص 134-136؛ العياشي، ن. م.، ج 2، ص 533؛ الناصري، ن. م.، ص 162، 691، 732؛ الشرقي، ن. م.، ص 246، 566؛ العامري، ن. م.، ص 94؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 127.

عظيم عند رَأْس العَيْن[314]، وهناك ماء بارد للشُّرب وكذلك هذا السُّخْن أيضاً إذا حَمَلْتَهُ يَبْرد سريعًا.

وغدا مَررنا بقَابِس[315] وتَعَدَّيْناها، وهي من المراسي البحريّة. وبِتْنا بعين يُقال لها عَيْن التمُول[316]، وماؤها طيّبة.

* من قابس إلى كركارش *

وغدًا نَزلنا وادي الزَّاس[317] عَصْرًا، وماؤه عَجيب، وحَملنا منه ماء المسافة التي بينه وبين الزُوَارَات[318]، وهو للشُّرب وطَبخ الطعام، وأما الدّواب والوضوء ونحو ذلك، فالماء موجود إلّا أنّه أمرّ من الحَنظل. ومن هذا الوادي ما تَرَى ماء حُلوا يَجْري على وجه الأرض إلى نِيل مِصْر، ولا شك أنّ بين طَرَابُلِس وسيدي أَحْمَد زَرُّوق[319] وادي يُسمّونه وادي المَسِيد[320]، إلّا أنّ ماءه قليل لا عِبرة به، وأمّا الكُلّ أبيار ومَعَاطِن.

---

314 – أكدت المصادر على شدّة حرارة مياه هذه العين، انظر: التجاني، **ن. م.**، ص 135؛ ابن خلدون، **ن. م.**، ج 6، ص 162؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 127.

315 – ياقوت، **ن. م.**، ج 4، ص 289؛ العبدري، **رحلة العبدري**، تحقيق علي إبراهيم كردي، دمشق، 2005، ص 74، 76، 237؛ التجاني، **ن. م.**، ص 86–117؛ التمجروتي، **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تحقيق سليمان الصيد، تونس، 1988، ص 49–52؛ ابن عابد، **ن. م.**، ص 86، 89؛ العياشي، **ن. م.**، ج 2، ص 533؛ الناصري، **ن. م.**، ص 163، 677؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 246، 563؛ الحضيكي، **ن. م.**، ص 87؛ الزبادي، **ن. م.**، ص 26؛ العامري، **ن. م.**، ص 94؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 127، 652.

316 – تُسمى حالياً عين التمولة وتقع بواحة تبلبو جنوب قابس.

317 – في أو ب: الراس، وهو تصحيف. وورد عند الفاسي، **ن. م.**، ص 141: وادي زز. عرف هذا الوادي منذ العصر الوسيط باسم «أجاس» ومثّل المحطة الأولى في طريق قابس – طرابلس، وهو يبعد 50 كم جنوب قابس و10 كم جنوب مارث. ابن حوقل، **صورة الأرض**، تحقيقم. ج. دي خوي، ليدن، 1967، ص 63؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، تحقيق قابريالي وآخرون، نابولي، 1970، ص 297.

318 – حول موضعها، انظر لاحقاً.

319 – أي بلد مسراتة حيث دُفن أحمد زرّوق، وسيأتي التعريف بهما.

320 – انظر التعريف به لاحقاً.

وبلغنا قُبالَة جزيرة جرْبَة[321] قبل العصر، وهي في وَسَط البحر، [76 و] وبِتْنا بإزاء أبيار السُّلْطَان[322]، وماؤها عجيب إلّا أنّه قليل، وجُلّ النّاس لا يَعرفونه.

وغدًا وَردنا منهل ابن كِرْدَان[323]، والحُجّاج يُسمّونه ابن قَزَان[324] لخُبث ماءه، وفيه أبيار عديدة، إلّا أنّ مُرورة مائهم شديدة.

وغدا بِتْنا ببُرْج المِلْح[325]، وليس فيه إلّا البحر المالح.

وغدًا صبّحنا الزُوَارَات[326] وسَقَيْنا الماء وشَربنا وروينا، وماؤهم من أطيب المياه، عذب بارد، فسبحان من يُودع ما يُريد فيما يُريد، لا إله إلّا هو المَلك المَجيد. وبِتْنا بمَلِّيتَة[327]، وفيها بئر عجيب.

---

321 – جزيرة معروفة بخليج قابس. انظر: ياقوت، **ن. م.**، ج 2، ص 118؛ العبدري، **ن. م.**، ص 237؛ التجاني، **ن. م.**، ص 121–131؛ التمجروتي، **ن. م.**، ص 52، 76؛ ابن عابد، **ن. م.**، ص 89؛ العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 133، 141، ج 2، ص 535؛ الناصري، **ن. م.**، ص 161، 163؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 247، 563؛ العامري، **ن. م.**، ص 94؛ الزبادي، **ن. م.**، ص 332؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 649.

322 – يسميها العياشي في رحلة العودة: «حاسي السلطان»، انظر: **ن. م.**، ج 2، ص 532، وهو الاسم المعروف إلى الآن مسافة 30 كم شرقي مدينة مدنين على طريق بن قردان.

323 – أي قرية بن قردان الحالية، وسميت في المصادر أيضاً سواني ابن كردان أو سواني ابن قردان، انظر: العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 129، ج 2، ص 532؛ الناصري، **ن. م.**، ص 165، 675؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 248، 563؛ الفاسي، **ن. م.**، ص 142، 176.

324 – لم نفهم هذا التشبيه، فالقازان في اللهجة المحلية هو الوعاء المعدني الذي يُستعمل في الطبخ.

325 – يُسمى أيضاً قصر الملح وهو مندثر حالياً، ويظهر أنه كان يقع بجهة رأس جدير / جزيرة فروة على الحدود التونسية الليبية. انظر: العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 129، ج 2، ص 532؛ الناصري، **ن. م.**، ص 166، 675؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 249، 562؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 130، 650؛ الفاسي، **ن. م.**، ص 142.

326 – الزوارات موضعان متجاوران: وهما زوارة الغربية وزوارة الشرقية وتسميان أيضاً الزوارتين، وكذلك زوارة الكبرى وزوارة الصغرى أو زوارة الخالية وزوارة العامرة، ولا يمكن الجزم أيهما يقصد المؤلف. انظر: التجاني، **ن. م.**، ص 207، 210؛ العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 130؛ الناصري، **ن. م.**، ص 166؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 249، 562؛ الإسحاقي، **ن. م.**، ص 116؛ الحضيكي، **ن. م.**، ص 88؛ العامري، **ن. م.**، ص 94؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 130، 645، 649؛ الفاسي، **ن. م.**، ص 142، 175–176.

327 – قرية شرقي زوارة. انظر: التجاني، **ن. م.**، ص 59؛ الناصري، **ن. م.**، ص 166، 669؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 249، 562؛ الفاسي، **ن. م.**، ص 143، 175. وراجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، **معجم البلدان الليبية**، طرابلس، 1968، ص 325.

وغدًا بِتْنا بالزَّاوِيَة الشرقيّة[328]، ماء طيّب، ثمّ بكِرْكَارِش[329].

* الوصول إلى طرابلس *

ثمّ صبّحنا رِباط طَرَابُلْس[330] - عَمَّرها الله تعالى بالإسلام -. وبَلغناها يوم السّبت الثّامن[331] عشر من شَعبان[332]، وهذا اليوم أوّل أيّام فَصل الصّيف. وتَلَقَّانا فُقهاء المدينة وأَوْجهها[333]، وأَنْزَلونا بالمِنْشِيَّة[334]، وهي ديار خارج البلد، كثيرةُ الأجنّة والمياه العذبة، واسعةُ الطّرق والدّيار. ونَزَلنا بدار مُحِبّنا الفقيه الأجلّ السيّد مُحَمَّد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد المُلقّب بالمُكْنِي[335].

---

328 - العياشي، ن. م.، ج 2، ص 532؛ الشرقي، ن. م.، ص 250، 562؛ الإسحاقي، ن. م.، ص 120؛ العامري، ن. م.، ص 94.

329 - رسم حرف الكاف في أ وب بثلاث نقاط سفلية. ويرسم الاسم أيضاً قرقارش، قرية غرب طرابلس، وهي الآن حيّ من أحيائها. الناصري، ن. م.، ص 665؛ الشرقي، ن. م.، ص 250، 562؛ الإسحاقي، ن. م.، ص 116؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 636. وانظر: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 264.

330 - ياقوت، ن. م.، ج 4، ص 25؛ التجاني، ن. م.، ص 237؛ ابن عابد، ن. م.، ص 89؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 135؛ الناصري، ن. م.، ص 167؛ الشرقي، ن. م.، ص 251، 562؛ الإسحاقي، ن. م.، ص 122؛ الحضيكي، ن. م.، ص 88؛ العامري، ن. م.، ص 94؛ الزبادي، ن. م.، ص 30، 318؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 131؛ الفاسي، ن. م.، ص 143، 167.

331 - في ب: الثاني، وهو تصحيف.

332 - يوم 26 ماي 1690 م.

333 - كذا في أ وب، ولعلّ صوابها وجوهها.

334 - موضع جنوب طرابلس وهو الآن أحد ضواحيها. اختص بسكن الأعيان، ووجدت به زاوية الدهماني. راجع: التاجوري، **فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم**، حققته نادية مفتاح في إطار شهادة الدراسات المعمقة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 2002، ص 98، 374؛ الناصري، ن. م.، ص 178؛ الشرقي، ن. م.، ص 560؛ الإسحاقي، ن. م.، ص 122؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 110، 131، 170، 625؛ الفاسي، ن. م.، ص 172.

335 - في أ: المكني، وما أثبتناه فهو من ب. وهو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله المكني الطرابلسي (1042-1101هـ/ 1633-1690م). فقيه ومتصوف، كان والده مفتيا بطرابلس. التقاه العياشي في رحلته ووصفه بأنه مفتي طرابلس وإماما خطيبا بجامعها الكبير. تخلى عن الإفتاء في آخر حياته والتزم حياة الزهد. ألّف كتاب شكر المنّة في الانتصار لأهل السنة، في الرد على الإباضية. راجع: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 145، ج 2، ص 506؛

ثمّ دخلنا المدينة، وهي بَلدة - والله أعلم - طيّبة الهواء، مُسَلِّيَة للخاطِر، مُشْرِحَة للصدر، وأكثر أهلها التُرْك. وذكر لنا الثّقات أنّ فيها ثلاثة مساجد وثلاثمائة خَمّارَة، أعني دِيار الخَمْر. وماء المدينة كلّه مالح ولا يشربون إلّا من [76 ظ] ماء المِنْشِيَّة، وفيها أسواق عامرة. أقمنا في طَرَابُلْس تِسعة أيّام في رَغد عيش وطِيب حال، ودَخَل علينا الرّكب المُغَرِّب في أثناء مَقامنا[336].

* المكني يطلب الإجازة من الحسن اليوسي *

ثمّ إنّ الفقيه المذكور طَلب من سيدي الوالد أن يُجيزه[337]، وكَتَبَ إليه بهذه الأبيات ما نَصّه[338]:

[من الطويل]

أَعَالِمُ أَهْلِ الأَرْض فِي كُلِّ[339] مَا قُطْرِ
وَعَـلَّامَـةُ الـدُّنْـيَـا جَمِيعًا بِـلَا نُـكْـرِ

وَقُـدْوَةُ أَرْبَـابِ الـهِـدَايَـةِ وَالتُّقَـى
مُـجَـدِّدُ دِيـنِ اللهِ حَـقًّـا بِـذَا العَصْرِ

الناصري، ن. م.، ص 191، 663؛ الشرقي، ن. م.، ص 79. التاجوري، ن. م.، ص 392، ابن غلبون، ن. م.، ص 293.

336 - وهو الركب الذي سار فيه القادري صاحب نسمة **الآس**، وحول إقامة اليوسي بالمنشية ولقائه بالشيخ أحمد بن عبد الله بن معن المغرّب آنذاك من الحج، راجع: القادري، **نسمة الآس**، ن. م.، ورقة 147 و - 148و.

337 - حول ظروف طلب الإجازة راجع: الزريقي (جمعة محمود)، **ن. م.**، ص 97-110.

338 - وردت هذه الأبيات أيضاً في **كنّش** للشيخ عبد القادر بن عبد القادر بن الزين المغربي الخالدي الميموني نزيل تونس (كان حيا بها سنة 1244 هـ/ 1828 م)، نقلها عن إحدى نسخ كتاب المحاضرات لليوسي بخط عبد السّلام بن عثمان التاجوري الذي كتب نص الاستدعاء نيابة عن المكني. وفي هذا الكنش اختلافات بسيطة عن نص الرحلة مع إضافة سنشير إليها في الهوامش. انظر: كرو (أبو القاسم محمد)، **ن. م.**، ص 176-185. وذكر التاجوري في فتح العليم ظروف طلب الإجازة، **ن. م.**، ص 392. كما أورد الكتاني ستة أبيات من نص الإجازة، انظر: عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، ن. م.، ج 3، ص 1158.

339 - كذا في أ وب، وفي الكنش: أي.

أَيَـا شَيْخَنَا الـيُـوسِـيَّ يَـا شَـيْـخَ وَقْـتِـهِ
وَعُـمْـدَةَ أَقْـطَـابِ الـوُجُـودِ بِـذَا الدَّهْرِ

مُـقَـيِّـدُ هَـــذَا الـمُـكَـنَّـى مُـحَّـمَـــدًا
مُـحِـبّـكُـمُ سِـــرًّا وَفِـــي ظَـاهِـرِ الأَمْـــرِ

يُـؤَمِّـلُ مِـنْـكُـم أَنْ تُـجِـيـزُوهُ بِـالّـذِي
رَوَيْـتُـمْ وَرُوِّيـتُـمْ مِـنَ العِلْمِ وَالـذِّكْـرِ

وَإِنْ[340] لَـمْ يَكُنْ أَهْـلاً لِمَا رَامَ مِنْكُمُ
فَـإِنَّـكُـمُ أَهْـلُ الـمَـوَدَّةِ[341] وَالخَيْـرِ

(فَـمُـنُّـوا بِـإِفْـضَـاءٍ عَـلَـى مَـنْ يُحِبُّكُمْ
وَإِنْ كَـانَ عَمَّا رَامَـهُ نَاقِصَ القَدْرِ)[342]

وَمَـهْـمَـا تَفَضَّلْتُمْ بِـذَاكَ فَعَمِّمُوا
لِإِخْوَانِنَا[343] فِي اللهِ مِنْ أَهْلِ ذَا المِصْرِ

كَمِثْلِ ابْنِ عُثْمَانِ[344] المُعَظَّمِ قَدْرُكُمْ[345]
وَذِكْرِكُمُ[346] عَبْدَ السَّلَامِ[347] أَخِي البِرِّ

---

340 - كذا في أ وب، وفي الكنش: فإن.

341 - كذا في أ وب، وفي الكنش: الفضائل.

342 - ما بين قوسين ساقط في أ وب، وما أثبتناه فهو عن الكنش.

343 - كذا في أ وب، وفي الكنش: لإخوانه.

344 - في أ وب: عفان، وهو تحريف، وما أثبتناه فهو من الكنش. وفي الناصري، **ن. م.**، ص 168: «محمد بن عثمان»، من فقهاء طرابلس.

345 - كذا في أ وب، وفي الكنش: ذكركم.

346 - كذا في أ وب، وفي الكنش: وقدركم.

347 - أبو محمّد عبد السلام بن صالح بن عثمان التاجوري الفيتوري، ت 1139 هـ/ 1727م. فقيه ومتصوف مالكي من أحفاد عبد السلام الأسمر. ألّف كتبا عديدة منها: **فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم والإشارات للبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات**. انظر: الناصري، **ن. م.**، ص 192، 200، 660، 674؛ ابن غلبون، **ن. م.**، ص 268؛ مخلوف، **ن. م.**، ص 318.

كَذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ وَهْـوَ ابْـنُ مُصْطَفَى[348]

كَذَلِكَ سَحْبَانٌ أَخِـي سَالِمٍ[349] الصَّدْرِ

كَـذَاكَ عَلِيٌّ وَابْــنُ مَنْصُورٍ[350] الرَّضِي

وَسَـائِرُ أَعْوَانِي[351] عَلَى الخَيْرِ وَالبِرِّ

كَــذَاكَ عَـلِـيٌّ عَـيْـنُ أَهْــلِ سَفَاقُسٍ[352]

وَفَاضِلُ مَنْ فِيهَا المُلَقَّبُ بِالنُّورِي[353]

فَــبِــاللهِ خُــذْ يَـا سَـيِّــدِي بِــخَــوَاطِــرِي

عَلَى مَا تَـرَى نَظْماً وَإِنْ شِئْتَ بِالنَّثْرِ

---

348 – ورد عند التاجوري، ن. م.، ص 364، أن «إبراهيم بن السلطان (أو الأسطى في نسخة) مصطفى» كان أحد تلاميذ أحمد بن محمّد المكني. وقد التقى الناصري، ن. م.، ص 662، إبراهيم مصطفى أثناء عودته من الحج.

349 – ورد عند التاجوري، ن. م.، ص 364، أن «سيدي محمّد سحبان التاجوري» كان أحد تلاميذ أحمد بن محمّد المكني، وقد التقاه الناصري أثناء عودته من الحج: ن. م.، ص 662. أما أخاه سالما فلم نجد له ذكرا في ما بين أيدينا من مصادر، ولعل محمّد سحبان المذكور هو جدّ أحمد بن إبراهيم بن سعيد سحبان التاجوري، ت 1276 هـ/ 1860م. راجع عنه: الشريف (ناصر الدين محمد)، **الجواهر الاكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية**، عمّان، 1999، ص 274.

350 – ورد عند التاجوري، ن. م.، ص 384، أن «سيدي علي بن منصور» كان من كبار طلبة عبد القادر الفاسي الذي أجاز العديد من أهل طرابلس في طريقه إلى الحج.

351 – كذا في أ وب، وفي ج: عواني.

352 – مدينة معروفة الآن بالبلاد التونسية، وإليها ينتسب علي النوري. وترسم بالسين أو بالصاد كما يرد لاحقاً، انظر: ياقوت، ن. م.، ج 3، ص 233؛ التجاني، ن. م.، ص 68–84.

353 – أبو الحسن علي بن سالم بن محمّد النوري الصفاقسي، ت 1118 هـ/ 1706م. عالم، فقيه وكاتب، ولد بصفاقس وبها تولّى التدريس بعد دراسته بتونس والقاهرة. ربطته علاقة متينة بعبد السلام بن عثمان التاجوري. لم يلتق النوري باليوسي لأنه رجع من القاهرة إلى صفاقس سنة 1078 هـ/ 1667 م، لكن يظهر أن مراسلات قد جمعتهما، إذ أشار النوري في كتاب ألّفه للتاجوري إلى نقله من «جواب شيخنا وصاحبنا سيدي الحسن بن مسعود اليوسي رحمه الله»، راجع: النوري، **رسالة في حكم السماع وفي وجوب كتابة المصحف بالرسم العثماني**، تحقيق محمّد محفوظ، بيروت، 1986، ص 20. وحول سيرته ومصادر ترجمته انظر: يعيش (يونس)، **علي النوري الصفاقسي. عصره–حياته–آثاره**، صفاقس، 2007.

فَلاَ زِلْـتَ مَـأْوَى لِلْفَضَائِلِ تُرْتَجَى[354]

وَلاَ زَالَ نَهْرُ المَجْدِ[355] فِي أَرْضِكُمْ يَجْرِي

فَلَمّا تأمّلَها سيدي الوالد، دَفَعها إليّ وأمرني أن أُجيزه عن إذنه - حَفِظه الله ورَعاه - فكَتَبْتُ هذه الأبيات:

[من الطويل]

أَيَـــا[356] سَـيِّدًا قَـدْ حَـازَ كُـلَّ فَضِيـلَةٍ

وعُـمِّـمَ بِالنَّعْمَاءِ وَالفَضْلِ[357] والبِرِّ

وَيَـا مُحْرِزَ[358] المَجْدِ الَّـذِي فَـاحَ نَشْرُهُ

وَمَلْجَأَ هَـذَا القُطْرِ فِي فَـادِحِ الأَمْـرِ

مُحَمَّدٌ المُكْنِيُّ ابْـنَ عَالِمِ عَصْرِهِ[359]

مَحَطُّ رِحَـالِ الفَاضِلِينَ مَـدَى الدَّهْرِ

وَقَـدْ بَلَغَتْ تِـلْـكَ المَعَانِي كَأَنَّـهَا

حُلًى زَانَهَا الـصُوَّاغُ مِـنْ خَالِصِ التِّبْرِ

وَمَــا رُمْـتَـهُ مِـنَّـا فَـأَهْـلاً وَمَـرْحَــبًا

وَإِنْ لَـمْ أَكُــنْ أَهْـلاً فَمُلْتَمِسُ العُذْرِ

[77 و] أَقُـولُ وَحَمْدُ اللهِ أَوَّلُ مَنْطِقِي

وَذُخْــرِيَ ذِكْـرُ اللهِ فِي السِرِّ وَالجَـهْرِ

354 - كذا صدر البيت في أ وب، وفي الكنش: فَلاَ زلتم أَهلاً لكلّ فضيلة.

355 - كذا في أ وب، وفي الكنش: الفضل.

356 - كذا في أ وب، وفي الكنش: يا.

357 - كذا في أ وب، وفي الكنش: والخير.

358 - كذا في أ وب، وفي الكنش: ومحرز.

359 - كذا في أ وب، وفي الكنش: مصره.

أَجَـزْتُ لَكُمْ فِي كُـلِّ مَا قَـدْ[360] رَوَيْتُهُ
وَمَـا قُلْتُ قَبْلُ مِـنْ نِـظَـامٍ وَمِـنْ نَـثْرِ

كَـذَا الـرُفَـقَـاءُ الـمَـاجِـدُونَ تَعُمّهُـمْ
إِجَازَتُنَا مِنْ سَاكِنِينَ[361] بِـذَا المِـصْرِ

كَـذَا المَاجِدُ النِّحْرِيرُ عَيْنُ صَفَاقُسٍ
أَبُو الحَسَنِ النُّورِيُّ ذُو المَجْدِ وَالفَخْرِ

وَحَـدَّثْـتُـكُـمْ فِـي ذَلِـكُـمْ عَـنْ شُيُوخِنَا
ذَوِي العِلْمِ وَالعِرْفَانِ وَالفَضْلِ وَالقَدْرِ

وَمَـنْ شَـاءَ يَسْتَحْصِي[362] فَفَهْرَسَةٌ لَنَا
تُضِيءُ لَهُمْ كَالنَّجْمِ فِي الطَّالِعِ الزُّهْرِ

عَلَىَ شَرْطِهَا المُعْتَادِ فِـي كُـلِّ دَوْرَةٍ
مِنَ الفَهْمِ والتَّحْصِيلِ وَالصِّدْقِ فِي الذِّكْرِ

فَنَسْأَلُ رَبَّ الـعَـرْشِ أَنْ يُبْلِغَ المُنَى
وَيُصْلِحَ شَـأْنَ الطَّالِبِينَ وَمَـنْ يُقْرِ[363]

بِـجَـاهِ الـنَّـبِـيِّ الـهَـاشِـمِـيِّ مُـحَـمَّـدٍ
عَلَيْهِ سَـلَامٌ[364] عَـاطِـرٌ طَـيِّـبُ النَّشْرِ

وَأَصْحَابِهِ[365] وَالآلِ طُـرًّا وَصَحْـبِهِ
عَلَيْهِمْ سَـلَامٌ سَـرْمَـدًا دَائِـمَ الذِّكْـرِ

---

360 ـ كذا في أ وب، وسقطت في الكنش.
361 ـ كذا في أ وب، وفي الكنش: قاطنين. ودوّن ناسخ ب فوق الكلمة « قاطنين».
362 ـ كذا في أ وب، وفي الكنش: يستقصي.
363 ـ كذا في أ وب، وفي الكنش: يقري.
364 ـ كذا في أ وب، وفي الكنش: سلام عليه.
365 ـ كذا في أ وب، وفي الكنش: وأتباعه.

فَكَتَبْتُ تَحتها: وكَتَبَ عن إذن أبيه فُلان بن فُلان، فَوَقَّعَ تحتها ما نَصّه: صَحيح ذلك، وكتب: الحَسَن بن مَسْعُود اليُوسِي - كان الله له -.

* من طرابلس إلى الدفنيّة *

ثمّ رَحلنا منها يوم الاثنين السّابع والعشرين من شَعبان[366]، وبِتْنا بتَاجُورَة[367] وبينهُما اثنا عشر ميلًا. واحذر على نَفسك من السّرقة في هذه الدّار، فإنّهم يَسْرقون هُدْب[368] الأشفار.

وغدًا بلغنا وادي المَسِيد[369] عصرًا، وماؤه طيّب جارٍ على وَجه الأرض. وزِدْنا إلى المغرب وبِتْنا.

وغدًا رَحلنا، ومَرَرْنا بشِعَاب يقال لها النْكِيزَات[370]، وهي مرحلة فَسيحة صَلْبَة ذاتُ حَجَر. ويُحكى أنّ هنالك كانت مدينة أهل الكَهْف، ولا شك أن هنالك آثار البُنيانَ العتيق، ولا ماء فيها، وهنالك بئر بعد أن تَتَعَدّاها.

366 - يوم 4 جوان 1690 م.

367 - وترسم أيضاً تاجوراء، موضع معروف الآن جنوب شرق طرابلس. انظر: التجاني، ن. م.، ص 307؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 178، ج 2، ص 500؛ الناصري، ن. م.، ص 193، 662»؛ الشرقي، ن. م.، ص 257، 560؛ الإسحاقي، ن. م.، ص 146؛ الحضيكي، ن. م.، ص 88؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 169، 173، 625؛ الفاسي، ن. م.، ص 145، 167. وراجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 266.

368 - في ب: هذب.

369 - وادي موسمي ما زال معروفا بالاسم ذاته، ينبع من جبال مسلاتة ويصب في البحر عند القره بلي. ويظهر أن المسيد تصغير لمسجد. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 178؛ الناصري، ن. م.، ص 197، 661؛ الشرقي، ن. م.، ص 257، 560؛ الزبادي، ن. م.، ص 41؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 173؛ الفاسي، ن. م.، ص 145؛ 166. التاجوري، ن. م.، ص 374. وراجع : الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 347.

370 - رسم الاسم في ب بثلاث نقاط أسفل الكاف. وهي رؤوس جبال متعاقبة على امتداد يُقارب 10 كم تُسمى حالياً النقازة، وكذلك وردت في بعض المصادر. انظر: التاجوري، ن. م.، ص 339، 354؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 180، ج 2، ص 500؛ الناصري، ن. م.، ص 201، 661؛ الشرقي، ن. م.، ص 258، 559؛ الإسحاقي، ن. م.، ص 151؛ الزبادي، ن. م.، ص 41، 316. وانظر: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 347.

وبِتْنا بسَاحِل حَامِد[371]، وهي أرض كثيرة النّخيل والأبيار.

وغدًا مررنا بماءٍ ضُحى يُقال لهُ عَيْن الكَعَام[372]، وحَذَّرونا من مائها أشدّ الحَذَر، وذكر لي[373] مَوْلَاي عُمَر بن هَاشِم الحَسَنِي - أعزّه الله - أنّ [77 ظ] ماءها يُوَرِّثُ الحُمَّى بإذن الله تعالى، وهو مِمَّن مارس هذا الطّريق وخَدَمها.

ورُحنا للدَّفْنِيَّة[374]، وتصل بئرًا قبل أن تَصلها، فاحمل ماء مَبيتك منها.

النزول في مسراتة

وغدا صبّحنا مُسْرَاتَة[375]، وهو يوم الجمعة ثاني يوم من رَمَضان المُبارك[376]، وهذه هي بلاد الوليّ الصّالح المُتبرّك به حَيّا ومَيّتاً، القُطب

---

371 - وتعرف الآن بساحل الأحامد، وسميت أيضاً بلدة ساحل حامد. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 182، ج 2، ص 500؛ الناصري، ن. م.، ص 204؛ الشرقي، ن. م.، ص 262، 558؛ الإسحاقي، ن. م.، ص 152؛ الحضيكي، ن. م.، ص 89؛ العامري، ن. م.، ص 94؛ الزبادي، ن. م.، ص 41؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 178، 620؛ الفاسي، ن. م.، ص 145. وراجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 179.

372 - تقع عين كعام مسافة 14 كم غربي زليتن، وكانت المزود الأساسي لمدينة لبدة الأثرية بالمياه عبر منظومة من القنوات. انظر: التاجوري، ن. م.، ص 119، 378؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 142، 183؛ الناصري، ن. م.، ص 205؛ الشرقي، ن. م.، ص 262؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 184. وراجع : الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 235.

373 - سقطت من ب.

374 - الدّافنية حالياً مسافة 3 كم غرب مصراتة. انظر: الشرقي، ن. م.، ص 557؛ الإسحاقي، ن. م.، ص 152؛ العامري، ن. م.، ص 94؛ الفاسي، ن. م.، ص 146. وراجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 133.

375 - وتُرسم أيضاً مصراتة، مدينة معروفة حالياً على بعد 216 كم شرق طرابلس. انظر: التجاني، ن. م.، ص 317؛ ابن عابد، ن. م.، ص 90؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 187، ج 2، ص 499؛ الناصري، ن. م.، ص 217؛ الشرقي، ن. م.، ص 264، 557؛ الإسحاقي، ن. م.، ص 153؛ العامري، ن. م.، ص 94؛ الزبادي، ن. م.، ص 42، 316؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 191، 617؛ الفاسي، ن. م.، ص 146، 166. وراجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 316.

376 - يوم 8 جوان 1690 م.

سيدي أَحْمَد زَرُّوق[377]، نَفَعَنا الله تعالى به. ونزلنا بقُربِه وزُرناه - والحمد لله - مِرارًا. ووَجدنا بإزائه بموضع يُسمّى الكِيرَان[378] رجلاً صالحاً من أولياء الله الصّالحين. وقد قال العلاّمة سيدي عَبْد الله العَيَّاشِي[379] (لمّا لَقِيَهُ)[380] أنّه ممّن لو أقسم على الله تعالى لأبرّه. وهو رجل كبير السنّ، له مائة وخمسة وعشرون سنة كما حَدّثني بِفِيه، وقد زاره الشّيخ الأكمل سيدي مُحَمَّد بن نَاصِر[381] وابنه سيدي أَحْمَد[382] - نَفَعَنا الله تعالى بجميعهم - واسمه سيدي بُوتُرْكِيَّة[383]، ودَعا لنا - والحمد لله - بأحسن الدُّعاء.

ومِياه مُسْرَاتَة فيها[384] المالح والحُلو، والكلّ مَعروف. وأقمنا يوماً آخر، وكان فيها سوق عظيم، وهذا آخر ما تَراهُ من البُنيان إلى مِصْر إن بلّغ الله.

---

377 - أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف بـزرّوق، ت 899 هـ/ 1493 م، متصوّف وفقيه مالكي مشهور. انظر: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 1، ص 91.

378 - في ب: الكيزان. وهي قرية الكرّان الآن في الضواحي الشرقية لمصراته، وتقع جنوب مقام زرّوق. انظر: التاجوري، **ن. م.**، ص 348.

379 - وهو الرحالة أبو سالم عبدالله بن محمّد العياشي، ت 1090 هـ/ 1679 م، والقصة مذكورة في رحلة العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 193-194.

380 - ما بين قوسين ساقط في ب.

381 - أبو عبدالله مَحمد بن محمد بن أحمد بن ناصر الدين الناصري الدرعي المالكي، ت 1085 هـ/ 1676 م. فقيه ومتصوف، ألّف كتباً وشروحًا عديدة. مدحه الحسن اليوسي في قصيدته الشهيرة بالدالية. انظر: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 7، ص 63.

382 - أبو العباس أحمد بن مَحمد بن محمد بن أحمد بن ناصر الدين الناصري الدرعي المالكي، ت 1129 هـ/ 1717 م، وهو صاحب الرحلة المعروفة. انظر: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 1، ص 241.

383 - العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 193، 194؛ الناصري، **ن. م.**، ص 230، 660، وفيه أنه توفي سنة 1103 هـ/ 1692 م. وقد ذكره التاجوري، **ن. م.**، ص 348-350، وسماه «سيدي أبو تركية نزيل تكيران ببلد الشيخ زرّوق»، وأشاد بعلاقته المميزة مع الناصري.

384 - في أ: فيه.

من مسراتة إلى الزعفران

واحْمِلْ من هنا ماء خمسة أيّام، وثمّ نحو بئرين في نصف المرحلة الأولى خارجتين[385] عن الطّريق أحدهما عند أبي شَعِيفَة[386]، رَوْضَة على شِمال الطّريق، والآخر يُسمّونه عَرْعَار[387]، ولم أرَهُما[388] إلّا أنّي شربتُ من مائهما[389].

ثمّ بلغنا ماءً عصرًا على يمين الطّريق يُسمّونه السُّمَيْرَة[390]، ولا يَصْلح إلّا للدّواب، بل فيه الحُلو أيضاً. وبِتْنا بموضع يُقال له المَجَارِن[391].

---

385 - في ب: خارجين.

386 - ما زال مقامه موجوداً على تل مرتفع على ساحل البحر بمنطقة قصر أحمد بمصراتة. انظر: العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 194؛ الناصري، **ن. م.**، ص 217، 233، 256، 658؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 258، 556؛ الإسحاقي، **ن. م.**، ص 156؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 211، 290، 617؛ الفاسي، **ن. م.**، ص 148. ويذكر التاجوري أن قبر سيدي أبو شعيفة بالجبل قريب من مسلاتة وأنه من كِبار الصالحين. انظر: التاجوري، **كتاب الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات**، طرابلس، د. ت.، ص 45، 105، 109؛ ويسميه في **فتح العليم**، **ن. م.**، ص 350: «الشيخ بوشعيفة». وراجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، **ن. م.**، ص 16.

387 - يسمى حالياً قصر العرعار وموضعه ما بين مصراتة وتاورغا على ساحل البحر، ورسم الاسم أيضاً: العريعر والعريرة. انظر: العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 194؛ الناصري، **ن. م.**، ص 232، 235، 658؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 268، 556؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 617؛ الفاسي، **ن. م.**، ص 166. وراجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، **ن. م.**، ص 225.

388 - في ب: أرهم.

389 - في ب: مائهم.

390 - في أ وب: السميدة، وهو تصحيف، وصحّف كذلك في أغلب نصوص الرحلات. والسميرة مرسى بحري صغير شرق قصر أحمد. انظر: الناصري، **ن. م.**، ص 233، 235، 658؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 269، 556؛ العامري، **ن. م.**، ص 95؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 617؛ الفاسي، **ن. م.**، ص 166. راجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، **ن. م.**، ص 194.

391 - لم نهتد إلى موضعه. وقد ورد عند الناصري: الحجارين، **ن. م.**، ص 658؛ والمجارين عند الشرقي، **ن. م.**، ص 556.

وغدًا بلغنا ماءً عند الزّوال [78 و] يُقال له الهُوَيْشَة[392]، وهو على يمين الطّريق عِند نَخلات هنالك، وهو للدّواب فقط لا غير.

وبِتْنا بالمنيزلة[393]، ثمّ بِتْنا بمِطْرَاوْ[394]. وهناك بئر بإزاء رَوْضَة يقال لصاحبها أبو مِيدُونَة[395]، ولكن لا مُعَوّل عليه للشُّرْب.

وغدًا بلغنا منهل الزَعْفَرَان[396]. واعلم أنّ مسيرنا هذه السَّنة ما رأى الراؤون مثله، إذ ضاقت[397] الوقت وخِفنا الفَوَات، فكنّا نَسير سيرا مُجِدّا لا يُعَبَّرُ عنه. وهذا المنهل على ساحل البحر، ومن مائه ما هو طيّب وما لا، وبه تَرِدُ الإبل ويُحْمَلُ الماء، وهي أحساء لا تَحتاج إلى حِبال.

ومن مُسْرَاتَة إلى هنا يُسمّونها مَفازَة الجُعَيْردة[398].

392 – الهيشة الآن جنوب غرب تاورغة، ورسم اسم المكان أيضاً الهايشة والهيشة والهويشا. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 194، ج 2، ص 499؛ الناصري، ن. م.، ص 233، 235، 658؛ الشرقي، ن. م.، ص 269، 556؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 617؛ الفاسي، ن. م.، ص 148. راجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 334.

393 – مرّ بها الناصري، ن. م.، ص 658؛ العامري، ن. م.، ص 95. ويبدو أن اسم المكان هذا مندثر الآن.

394 – بئر مطراو حالياً مسافة 25 كم غرب سرت. انظر: الناصري، ن. م.، ص 236؛ الشرقي، ن. م.، ص 270، 555؛ العامري، ن. م.، ص 95؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 216، 617.

395 – يقصد المؤلف الموضع المعروف الآن بجبانة سيدي بوميْدونة الواقع على البحر شمال شرق بئر مطراو. وقد مرّ به الشرقي، ن. م.، ص 270، وأشار إلى أصوله من أولاد الوافي.

396 – يُعرف حالياً بأبيار الزعفران ويقع مسافة 4 كم شمال مدينة سرت القديمة. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 194، ج 2، ص 498؛ الناصري، ن. م.، ص 236، 656؛ الشرقي، ن. م.، ص 271؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 216، 616؛ الفاسي، ن. م.، ص 149، 165. راجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، 168.

397 – في ب: ضاق.

398 – يبدو أن اسم المكان هذا قد اندثر الآن.

* من الزعفران إلى المنعل *

ثمّ حملنا منها ماء يوم ونِصفه، وبِتْنا بالخرْوَاع[399].

وغدًا بلغنا مَورد النَّعِيم[400] ظُهرًا، وهو على طَرَف البحر أيضاً. واعلم أنّه لا بدّ من نَزْحِ[401] هذه المَعَاطِن كلّها حتى تَحْفر نِصف قامة مثلا وتَخرج على الماء، إذ هذه المناهل كلّها على حاشية البحر وحاشية البحر كلّها رمال. وماؤه عَذب فُرات، وحَملنا منه ماء مَفازة أربعة أيّام. وتجد أيضاً في هذه المَفازة مياها خارجة عن الطّريق إلّا أنّها مُرّة لا تَصلح إلّا للدّواب ولكن لا مُعّول عليها. ويُسمّون هذه المَفازة مَقْطَع الكِبْرِيت[402].

ثمّ بِتْنا بموضع يُقال له الأَحْمَر[403]، وهو قريب من النَّعِيم، إذ لم نَحمل منه إلى عشيّة [78 ظ] النّهار.

---

399 – لم نتمكن من ضبط موضعه.

400 – ما زال الموضع معروفا بالاسم نفسه، وهو الآن بئر بوادي هراوة من أرض سرت. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 196؛ الناصري، ن. م.، ص 237؛ الشرقي، ن. م.، ص 273، 554؛ الإسحاقي، ن. م.، ص 158؛ العامري، ن. م.، ص 95؛ الزبادي، ن. م.، ص 46؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 217، 616؛ الفاسي، ن. م.، ص 149، 165. راجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 329.

401 – استعمال عامي مغربي بمعنى فرّغ ونظّف. راجع: دوزي (رينهارت)، ن. م.، ج 10، ص 194.

402 – مقطاع الكبريت حاليا. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 196، 198، ج 2، ص 497؛ الناصري، ن. م.، ص 237، 653؛ الشرقي، ن. م.، ص 275؛ الإسحاقي، ن. م.، ص 159؛ الزبادي، ن. م.، ص 47؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 217. راجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 347.

403 – موضع على البحر شرق مدينة سرت مسافة 85 كم. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 196، ج 2، ص 498؛ الشرقي، ن. م.، ص 274، 554؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 216، 616؛ الفاسي، ن. م.، ص 164. راجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 21.

ثمّ بِتْنا بالرَّحْبَة[404]، ثمّ بالخُشَّة[405]، ثمّ بمَقْطَع الكِبْرِيت، ثمّ وَردنا المنعل[406] ظُهرًا.

وهذه المَفازة من أقبح مَفاوِز هذه الطّريق لخُشونة أرضها ونَفْخ رياح مُضِرّة[407] غالباً بها، غير أنّا لم نَلْقَ فيها - والحمد لله - إلّا الخير التّام، وقَطعناها - والله أعلم - وقد مرّت علينا خمس وعشرون من فَصل الصّيف، ومَنّ الله تعالى علينا فيها بنَسيم بارد وريح طيّب، واِعتَدَل الهواء وصَحّت الأجساد وكمّل الله تعالى علينا جميع المُراد.

مقطع الكبريت وسط البحر

وذكر[408] لنا أصحابنا الذين رَكِبوا في البحر أنّ هنالك موضع في وَسط البحر يُسمّونه مَقْطَع الكِبْرِيت[409]، مُقابل للذي في البَرّ، لا تُجاوِزه السُّفُن حتى يَرَوْن[410] المَشاق العِظام. وذكروا لنا أنّ ماءه مُخالف لماء البحر، وتَراهُ يَغْلي كالقِدْر، وكثيراً مِمّا يَغرق هنالك إلّا من سَلَّمَه الله. وحَكى لي مَلاّح

404 - الشرقي، ن. م.، ص 174. ولم نهتد إلى موضعها.

405 - موضع زراعي معروف إلى الآن شرقي سرت. راجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، **ن. م.**، ص 122.

406 - في أ وب: المنهل، وهو تصحيف، وقد ورد الاسم صحيحا في رحلة العودة. وعند الناصري، **ن. م.**، ص 647: «معطن المنعّل بلام والميم» الشرقي، **ن. م.**، ص 273، 275: المنعم؛ الزبادي، **ن. م.**، ص 47، والعامري، **ن. م.**، ص 95: المنعم؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 219: المنعم، 615: المنعل باللام والميم؛ الفاسي، **ن. م.**، ص 150: «المناعل بلام الآخر وربما أبدلت ميما»، وكذلك ص 163. والأصح المنعم لتواصل هذا الاسم إلى الآن شرقي مقطاع الكبريت. راجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، **ن. م.**، ص 325.

407 - في ب: مضرات.

408 - في أ وب: وذكروا، وقد أُصلحت في هامش أ.

409 - تُحيل هذه الرواية إلى صقلية أو جزيرة البركان حيث أشارت النصوص إلى وجود مقاطع الكبريت بالبركان العظيم فيها: البكري، **ن. م.**، ج 1، ص 483؛ القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، بيروت، د.ت.، ص 216.

410 - كذا في أ وب، والأصح: ترى.

أنّهم إذا بَلغوه ولا بدّ[411] من ذَبْح شاة في ذلك الموضع ويُمَزّقونها شَذَر مَذَر، ويُلْقونها في البحر - فسبحان الخلاّق العظيم -.

من المنعل إلى سلوك

وأوصيكَ غايةً بالتحفّظ على مُصاحبة المياه العذبة في هذه المَفاوز، ولا تَغْتَرّ بقول أحد، فإن أَعْراب هذه البلاد يَقولون: أَهْرَق الماء في الماء.

وحَملنا من المنعل[412] ماء يومين، وبِتْنا بخِرَب أَجْدَابِيَة[413].

وغدًا رُحنا أَجْدَابِيَة[414]، غير أنّ الرَّحيل من السَّحَر إلى فَوَات المغرب، وأيّام الصّيف ومشي الإبل والسّهل. وماؤها [79 و] طيّب عجيب، وهي أبيار مَحفورة في حَجَر صَلْد، وهذه هي[415] وسط بَرْقَة البَيْضَاء[416]. واحمل منهُ ماء يومين أيضاً. ولا شك أنّا وجدنا بئرا وسط النّهار، ما رأيتُ مثل مائها قَبْل ولا بَعْد، ولكن لا مُعَوّل عليها وليس بمعروف، وسيدي الوالد هو الذي وَجَدَها مُوافَقَةً. وبِتْنا بلا ماء، وغدًا أيضاً كذلك.

---

411 - كذا في أ وب، والتركيب ركيك.

412 - في أ وب: المنهل، وهو تصحيف سبق التنبيه عليه.

413 - وصفها الشرقي، ن. م.، ص 278، بقوله: «وفيما بين الجديدة والأجدابية آثار أبنية عظيمة وقواعد مدن هائلة جسيمة، مبنية بالحجارة المنحوتة المحكمة الصنعة والإتقان، وذلك كله صار خرابا».

414 - ياقوت، ن. م.، ج 1، ص 100؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 199، ج 2، ص 496: الجابية؛ الناصري، ن. م.، ص 239، 646؛ الشرقي، ن. م.، ص 278، 552؛ الإسحاقي، ن. م.، ص 159؛ العامري، ن. م.، ص 95؛ الزبادي، ن. م.، ص 47؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 219، 615؛ الفاسي، ن. م.، ص 163. راجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 20.

415 - في أ: هذه وهي، وما أثبتناه فهو من ب.

416 - المصطلح متداول إلى حد الآن في برقة.

ثمّ صَبّحنا مَعْطَن[417] سَلُوك[418]، وماؤه عجيب، ومَن وَجَدَ أن يَسبق بقِرَبِهِ لِيَمْلأَ الصفْوَ النَّقِي قبل الزِّحام، وإلّا إن اجتمع الرّكب عليه تُغَيِّره الإبل والدّواب[419] عند وُرودها. وأُحذّركَ غاية الحذر أن لا تَغْترّ بنفسك ومَتاعك في هذه المَسالك، فإنّها بلاد الخَيْل ومَحَلّ الغارات، ومَن نُهِبَ مَتاعه لا يُمكن به اجتماعه أصلاً، وليَحْفِظ الإنسان نفسه ما أمكَنه، والله تعالى وليّ التوفيق، والمُهدي إلى أيْسَر الطّريق.

* من سلوك إلى جردس *

وحَملنا الماء وصَلّينا الظُّهر حين صَعدنا عَقَبَة جبل الأَخْضَر[420]، وهو حدّ بَرْقَة البَيْضَاء[421] عند أهلها، وإلّا فالأشهَر عندنا أنّها من طَرَابُلْس إلى مِصْر. وأهل البَلد يقولون بَرْقَة إلى هُنا، ومِن هُنا الجبل الأَخْضَر[422] إلى أن

---

417 - المَعْطِن هو مبرك الإبل عند الماء لتشرب، وجمعها معاطن: ابن منظور، **ن. م.**، ج 13، ص 286. وتستعمل كتب الرحلات المغربية هذا المصطلح للإشارة إلى مواضع الماء.

418 - رُسم الاسم في أ وب بثلاث نقاط أسفل الكاف، وهي سلوق الآن الواقعة مسافة 51 كم جنوب بنغازي. انظر: العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 200، ج 2، ص 496؛ الناصري، **ن. م.**، ص 242، 644؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 278، 552؛ الإسحاقي، **ن. م.**، ص 167؛ العامري، **ن. م.**، ص 95؛ الزبادي، **ن. م.**، ص 48؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 219، 615. راجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، **ن. م.**، ص 193.

419 - سقطت في ب.

420 - الاسم متداول إلى حد الآن للدلالة على بدء الصعود للجبل الأخضر.

421 - حول برقة انظر: ياقوت، **ن. م.**، ج 1، ص 388؛ حدود برقة البيضاء في العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 201: «من الأحمر إلى قرب المنعم»، وانظر أيضاً: الشرقي، **ن. م.**، ص 267، 277؛ الإسحاقي، **ن. م.**، ص 163.

422 - ابن مليح، **ن. م.**، ص 36؛ العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 201-202؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 279؛ الزبادي، **ن. م.**، ص 48؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 610.

تَسْهَل[423]، ثمّ بُطْنَان[424] إلى التَّمِيمي[425]، ثمّ سَطْح الإِسْكَنْدَرِيَّة إلى النِّيل. وبِتْنا بلا ماء.

وغدًا صَلّينا الظُّهر عند الأبيار الطِّوَال[426]. وماؤها من أحسن ما رأيتُ، إلّا أنّك لا تَمُجَّهُ[427] إلّا بأربع[428] حِبال فما فوق، وبِتْنا بلا ماء.

وغدًا صَبّحنا غابة جبل الأَخْضَر[429]. وإيّاك أن تَزيغ عن الرّكب فتذهب أَحْلاَسك[430]، وتَرَى الأعراب أطراف الرّكب كالذّئاب الضَّارية، مَن قَبَضوه جَرَّدوه.

بعد الظُّهر، نَزَلنا مَنهل جَرْدَسْ[431]، وبِتْنا عليه، وماؤه طيّب.

---

423 – أي إلى أن تستوي الأرض وتصبح سهلا.

424 – سهل البطنان الآن غرب طبرق. الشرقي، ن. م.، ص 286؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 222. راجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 61.

425 – وهي الآن مدينة ساحلية معروفة بين درنة وطبرق. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 204، ج 2، ص 490؛ الناصري، ن. م.، ص 246، 637؛ الشرقي، ن. م.، ص 281، 544؛ الإسحاقي، ن. م.، ص 168؛ العامري، ن. م.، ص 95؛ الزبادي، ن. م.، ص 50؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 224، 608؛ الفاسي، ن. م.، ص 153، 160. راجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 329.

426 – لم نهتد إلى موضعها.

427 – مَجَّ الشرابَ والشيءَ: رَماه. انظر: ابن منظور، ن. م.، ج 2، ص 361.

428 – في ب: بأربعة.

429 – الزبادي، ن. م.، ص 48؛ العامري، ن. م.، ص 95. راجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 95.

430 – جمع حِلس وهو كلُّ ما وَلِيَ ظهر الدابَّة تحت الرَّحْل والقَتَب والسَّرج. انظر: ابن منظور، ن. م.، ج 6، ص 54.

431 – تُسمى الآن أيضاً جردس العبيد نسبة لقبيلة العبيد، وهي بلدة معروفة في بلاد برقة. انظر: الناصري، ن. م.، ص 641؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 610؛ الفاسي، ن. م.، ص 152. راجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، 101.

الوصول إلى التميمي وسوق درنة

وحَملنا [79 ظ] ماء أربعة أيّام ورَحلنا منه، وبَلغنا مَورد التَّمِيمي عشيّة اليوم الرّابع، وهو يوم السّبت الثّالث والعشرون من المُعظّم رَمَضان[432]. ويوم الجُمعة أَمْسِه كانت العَنْصَرَة[433]. وأَدْرَكَنا ريحا في هذين[434] اليومين أَحْرَق الفُؤاد ومَرَقَ الأكباد، وتَرَى الرّجل يشرب الماء كأنّه يَرْميه إلى خَلْف. وهذه المَفازة ما في بَرْقَة مثلها، بل ولا في الدّرب. وأرضها ذات حِجارة، وفي هذا المَعْطَن يَعْمُر سُوق دَرْنَة، وهي سوق عظيم يُؤتى إليه من دَرْنَة[435] كلّما تَطلبه.

وأُنَبِّهُكَ أيضاً أن تَشتري من هنا ما يكفيكَ من السَّمْنِ إلى أن تَرجع إليه، فإنّكَ يَمَّمْتَ بلادا لا تكادُ تَلقى فيها سَمْنًا طيّبا بوجه ولا بحال، والغَنَمِي السّمين أيضاً تجده في هذا السوق يَرخص، ولا بأس أن تعمل شيئاً من القَدِّيد والخليع[436] وتَحملهُ معكَ، فإنّ ما تجد في هذا السوق لا تجده فيما قُدّامك، ولا تطمع فيه أمامك. وأمّا الماء فما بَانَ منه في الشّعب فهو حُلو غالبا، وما في العُلُوّ فمالح غالبًا، واِسبق إليه أيضاً وحُز مَعْطِنًا منه، وإلّا فلا تَنالَهُ إلّا بالصَّفْع والصِّرْع.

---

432 – يوم 29 جوان 1690 م.

433 – أي العيد المسيحي الذي يحتفل به سنويا لتخليد ذكرى حلول الروح القدس على تلاميذ المسيح.

434 – في ب: هذه، وأصلحت في هامش أ.

435 – حول درنة انظر: ياقوت، ن. م.، ج 2، ص 452؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 204؛ الناصري، ن. م.، ص 638؛ الشرقي، ن. م.، ص 281، 544؛ الإسحاقي، ن. م.، ص 168؛ الزبادي، ن. م.، ص 50؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 608. راجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 130.

436 – نوع من القديد يستحضر إلى الآن بالمغرب. راجع: دوزي (رينهارت)، ن. م.، ج 4، ص 176.

* من عين الغزالة إلى العقبة الكبيرة *

وأقمنا يوماً كاملا، وحملنا ماء أربعة أيّام أيضاً، وبَلغنا عينا يُقال لها عين الغَزَالَة[437]، ولا فَرْقَ بين مائها وماء البحر، وهي عُيون تَجري على طَرَف البحر، تَرِدُه الدّواب لا غير، وهي على نصف مرحلة، وتَعَدَّيْناها وبِتنا.

وغدًا بَلغنا بئرا يُقال لها المِدْوَرْ[438] خارج المَمَرّ[439]، ولكن لا مُعَوّل عليه.

واليوم الرّابع من التَّمِيمِي، وَردنا دَفْنَة[440] ضُحى، وهي على طَرَف البحر، وماؤها كالحليب لوناً وطعمًا، وما بينها وبين المالح إلّا رَمْيَة بِحَجَر. [80 و] وحَملنا ماء يومين ونصف.

ورَحلنا، وبِتنا، ثمّ بتْنا تحت العَقَبَة الكَبِيرَة[441]، وبها رَأينا هِلال شوّال[442].

---

437 ـ عين ماء معروفة مسافة 60 كم غرب طبرق، تنبع من سفح الجبل الأخضر وتصب في بحيرة كبيرة تتصل بالبحر. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 205، ج 2، ص 490؛ الناصري، ن. م.، ص 248، 635؛ الشرقي، ن. م.، ص 282، 544؛ الإسحاقي، ن. م.، ص 168؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 231، 608؛ الفاسي، ن. م.، ص 160. راجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 234.

438 ـ ما زالت معروفة إلى حد الآن. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 205، ج 2، ص 490؛ الناصري، ن. م.، ص 249؛ الشرقي، ن. م.، ص 283.

439 ـ أي خارج المسلك العادي لركب الحج والذي يربط بين عين الغزالة وطبرق.

440 ـ هو حالياً اسم للهضبة الواقعة بين طبرق والسلوم واسم لمرسى بحري صغير. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 205؛ الناصري، ن. م.، ص 635؛ الشرقي، ن. م.، ص 284؛ الإسحاقي، ن. م.، ص 170؛ الزبادي، ن. م.، ص 49؛ العامري، ن. م.، ص 95؛ الفاسي، ن. م.، ص 154. راجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 133.

441 ـ ما زالت معروفة إلى حد الآن قريباً من حدود مصر وتُعرف أيضاً بعقبة السلوم. العياشي، ن. م.، ج 1، ص 205، ج 2، ص 488؛ الناصري، ن. م.، ص 250، 634؛ الشرقي، ن. م.، ص 286، 542؛ الحضيكي، ن. م.، ص 90؛ الزبادي، ن. م.، ص 50؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 607؛ الفاسي، ن. م.، ص 15. راجع: الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، 328.

442 ـ في ب: شعبان، وهو خطأ من الناسخ. ويوافق يوم 7 جويلية 1690 م.

من بقبق إلى جرجوب

وغَلَّسْنا[443] صَبيحة الفِطْر. وصَبّحنا[444] ووردنا ماء بُقْبُق[445] ظُهرا، وماؤه مُنْتِن مالح، وإن قَدِرْتَ أن تَحمل شَرابك من دَفْنَة إلى جَرْجُوب[446] فهو أولى، وإلّا فالضّرورات تُبيح المَحظورات.

وهذه الطّريق لا بدّ فيها من زَيْن وشَيْن، وخُشونة ولين، وفَرَح وتَرَح، وغِنَى وعَنَى. وحَملنا ماء ثلاثة، ولم ننزل إلى المغرب، على العادة والعيد، على الخير والنَّعيم، للمُقيم والغَريب لا يطيب.

[من الخفيف]

إِنَّـمَـا الـزَّعْـفَـرَانُ عِـطْـرُ الـعَـذَارَى

وَغُـبَـارُ الـطَّـرِيـقِ عِـطْـرُ الـرِّجَـالِ[447]

وبعد غَدٍ، وهو ثالث العيد، بَلغنا أَحْساء يُقال لها شَمِّيس الفَوَّار[448] وذلك زوالا، وماؤها عَفِن قَبيح.

---

443 ـ غَلَّسَ القومُ أي ساروا بِغَلَس. والغلس ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح. انظر: ابن منظور، **ن. م.**، ج 6، ص 156.

444 ـ سقطت في أ.

445 ـ موضع ساحلي يبعد مسافة 40 كم شرق السلّوم. أورد العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 207: بقبق وبقيق في النص نفسه؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 542.

446 ـ يُعرف هذا الموضع بهذا الاسم إلى الآن على الساحل الشمالي المصري. انظر: الناصري، **ن. م.**، ص 631؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 286، 541؛ العامري، **ن. م.**، ص 96؛ الزبادي، **ن. م.**، ص 50؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 237، 607؛ الفاسي، **ن. م.**، ص 159.

447 ـ ورد البيت في زهر الأكم في الأمثال والحكم منسوبا إلى عبيد الله بن سليمان هكذا: إِنَّمَا الزَّعْفَرَانُ عِطْرُ العَذَارَى ... وَمِدَادُ الدَّوَاةِ عِطْرُ الرِّجَالِ. انظر: اليوسي، **زهر الأكم**، **ن. م.**، ج 2، ص 223.

448 ـ زاوية شماس حاليا. شماس والفوار موضعان متقاربان عند العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 207؛ والشماس عند الناصري، **ن. م.**، ص 632؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 541: شماس وبوالفوار؛ الفاسي، **ن. م.**، ص 154، 159: الشماس والفوار.

ثمّ بَلغنا جَرْجُوب عَشيّةً، وبِتْنا عليها، وماؤها طيّب إلّا أنّه قليل، واِحْرس نَفسك ما استَطعت.

* من جرجوب إلى الشمامة *

وحَملنا منه ماء ثلاثة أيّام، وثالث الأيّام بَلغنا المَدَار[449] ضُحى، ماء طيّب وفيه المُرّ المُنْتِن أيضاً. وبِتْنا بعد أن هَبطنا العَقَبَة الصَّغِيرَة[450]، وهي أسهل من الكَبِيرَة بكثير.

واعلم أن أعراب أرياف مِصْر يَأتون بالستّين والمائة فارس يَتَلَقّون الحَجيج مسيرة عشرة أيّام ويُراعون غِرَّتَه، فإن وَجدوها أغاروا عليه، وكنّا نَراهم إذا ضاق اللّيل يبرقون كالوحوش، وما كان يكفّهم عن الاقتحام ضَوْء إلّا الرَّصَاص، إذ لا طاقة لهم به ولا هو عِندهم، وإنّما عِندهم الرِّمَاح وهُم النجم[451] والهنادي[452] وغيرهم، قَبّحهم الله وخَيَّبَ [80 ظ] سَعيهم وعَكَس ظنّهم، آمين.

واليوم الرّابع من المَدَار، وَردنا مَنهل الشَّمَّامَة[453] ظُهرا، ونَزَلنا عليها، وماؤها بارد، غير أنّكَ تَجِدُ فيه نَتْنَة قليلة.

---

449 ـ المدار حالياً مسافة 42 كم جنوب شرقي مرسى مطروح. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 209؛ الناصري، ن. م.، ص 251، 630؛ الشرقي، ن. م.، ص 288، 539؛ العامري، ن. م.، ص 96؛ الزبادي، ن. م.، ص 51؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 236، 607؛ الفاسي، ن. م.، ص 155، 159: البندار ويقال له المدار.

450 ـ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 209، 2، ص 488؛ ويسميها الناصري، ن. م.، ص 252: «العقيبة»، وفي ج 2، ص 630: «العقبة الصغرى» الشرقي، ن. م.، ص 288، 539؛ الزبادي، ن. م.، ص 51؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 607؛ الفاسي، ن. م.، ص 155، 159.

451 ـ كذا في أ وب. والأصح: النجمة وهي قبيلة يمتد مجالها بين البحيرة والجيزة. وسماهم الناصري، ن. م.، ص 255: عرب نجمة.

452 ـ قبيلة عربية من بني سليم. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 217.

453 ـ يُعرف حالياً بآبار الشمامة ويقع مشرفا على البحر مسافة 7 كم شرق قرية العلمين. انظر: الناصري، ن. م.، ص 252، 630؛ الشرقي، ن. م.، ص 290، 538؛ العامري، ن. م.، ص

واعلم أنّ الإنسان ولا بدّ لهُ مِن صاحب يَسبق إلى هذه المَعَاطِن كلّها، فيَجوز ويَنزح، فأمّا أن يَحُدَّه وَحده أو يُشارك، وأيْنما بَلغت أنتَ، تَسْتَقي على مهلك وروحك وسِعتك، وتَشرب كذلك دوابك[454]، وتذهب أوّل النّاس وإلّا بَقِيت حَيْرانا لَهفانا، لا تجد من يَرحمك ولا من يَمنحك ولو أُمّك، فإن تَخَلَّفْتَ اِنْتَهَيْتَ، وإن ذَهَبْتَ بلا ماء هَلَكْتَ، ولا بدّ في هذا من الحَزْم والعَزْم، وكلّ من له خِبرة بهذا الأمر فهذا دَأْبه.

من الشمامة إلى وادي الرهبان

وحَملنا من الشَّمَّامَة ماء ثلاثة، وبِتْنا على طرف الرَّمْل[455].

وغدًا بِتْنا وَسطه. ثمّ بَلغنا وادي الرُّهْبَان[456] أَخْزاهم الله. وقُصورهم اليوم مَعمورة بهم – قبّحهم الله – لا تُفْتَح عليهم إلّا مَرَّة في السَّنة، فإذا أراد أهلهم أن يَأتوهم في وقت مَعلومة من مِصْر، يأتوهم بالمشماط[457] والزيت والبصل، فيَدفعون لهم ذلك ويُقْفِلون عليهم إلى تلك الوقت أيضاً، ولَهُم عذاب أليم﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾[458]. وماؤه طيّب ويُقال أنه يَجري[459] من النِّيل ويَنبع فيه إذا نبش، ولا بدّ من البحث عنه مِقدار

96؛ الزبادي، ن. م.، ص 51؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 241، 606؛ الفاسي، ن. م.، ص 155، 158.

454 – في ب: وإبلك.

455 – في ب: الرتل. والمقصود بالرمل الصحراء التي سيمر بها الركب للوصول إلى القاهرة.

456 – العياشي، ن. م.، ج 1، ص 215؛ الناصري، ن. م.، ص 255؛ الشرقي، ن. م.، ص 292؛ الحضيكي، ن. م.، ص 90؛ الشرقي، ن. م.، ص 292؛ الزبادي، ن. م.، ص 51؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 243، 602، حيث يسمي الموقع قصور الرهبان. وهي التسمية التي أطلقها المغاربة على وادي النطرون، والذي يبعد طرفه الشمالي مسافة 85 كم جنوب الإسكندرية، ولو أن العياشي، ن. م.، ج 1، ص 219، يُميّز بين الموقعين.

457 – كذا في أ و ب، ولعلها : بالبشماط وهو نوع من الخبز المشوي. انظر: دوزي (رينهارت)، ن. م.، ج 1، ص 356.

458 – سورة آل عمران، الآية 22.

459 – في أ: يسري، وما أثبتناه فهو من ب.

ذِراع. وإيّاكَ أن لا تَحمل مِن الشَّمَّامَة ما يَكفيك إلى الرُّهْبَان، ولا تَغْتَرّ بمن يَذكر لكَ مَعْطِنا يُسمّونه عُفُّونَة[460] بمرحلة [81 و] ونصف من الشَّمَّامَة، فإنه لا مُعّول عليه، وقد سَمعتهُ ولم أَرَهُ، ورأيتُ من اِتّكَلَ عليه مات عطشا ولم يَرحمه أحد.

* من وادي الرهبان إلى بولاق *

ومن وادي الرُّهْبَان بِتْنا بالبِسَاط[461]. وغدًا صبّحنا مِصْر - عَمّرها الله - ونَزلنا بإِنْبَابَة[462] على شاطئ النِّيل قُبالَة بُولَاق[463]، وذلك يوم الجمعة الرّابع عشر من شوّال[464]، وبِتْنا حِذائها.

وإيّاكَ أن تَظنّ أنّكَ بَلغتَ الأمان، بل الخوف هنا أكثر، والحَرَسُ فيه أَوْكَد. وتَلَقَّيْنا ذلك اليوم قبل أن نبلغ المَزْرَعة، نحوا من أربع مائة فارس، وأظهروا أنّهم يَلعبون فرحًا بالحُجّاج والكَيْد مُعرب عنهم، وما قَهرهم إلّا الرّصاص والخوف من الموت.

وهؤلاء الأعراب عاصون عن الغُزّ[465] ومُخالفون لهم، وما بينهم إلّا وادي النِّيل، ولا يَقدر الجُندي أن يَعبره إلّا بخَفِير، وكذلك البدو، ومَن قَدر

460 - وهو الآن اسم لبحيرة ومنطقة تابعة لقرية الحمراء شمال مركز وادى النطرون. انظر: الشرقي، ن. م.، ص 292، 538؛ الزبادي، ن. م.، ص 51؛ العامري، ن. م.، ص 96؛ الفاسي، ن. م.، ص 156، 158.

461 - لم نهتد إلى موضعها.

462 - في أ وب: بلبانة، وهو تحريف. موضع شمال غرب القاهرة وهو الآن جزء من نسيجها الحضري. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 220؛ الناصري، ن. م.، ص 261، 613؛ الشرقي، ن. م.، ص 295، 532، 536؛ الزبادي، ن. م.، ص 52، 315 الورثيلاني، ن. م.، ص 282، 555، 598؛ الفاسي، ن. م.، ص 156.

463 - أحد الموانئ النهرية للقاهرة. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 224؛ الناصري، ن. م.، ص 261؛ الشرقي، ن. م.، ص 295، 526، 535؛ الحضيكي، ن. م.، ص 92، 180، 315؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 243، 555، 598.

464 - يوم 20 جويلية 1690 م.

465 - يستعمل الكاتب مصطلح الغزّ كمرادف للأتراك العثمانيين حكّام مصر آنذاك.

على الآخر قَتَلَهُ أشرّ قتلة ومَثَّلَ به أَشنع مثلة، وذلك مع ما هُم فيه التُرْك من التَجَبُّر والتَكَبُّر والعَجَب والقُوّة والرّضا عن النّفس وخُبث السَجِيّة، حتى تَرَى التُركي يَمْتَثِل النّاس بين يديه كالذُّباب أو كالكِلاب، فإذا ظَفَرَ بَدويّ حاف عُريان حَقير ذَميم[466] بعشرين فارساً على الجِياد والسلاح المُحلّية بالذّهب والفضّة من الغُزّ، طَرَدَهم طرد العَبيد وهَشَّمَهُم هَشْمَ الثَّريد.

* الوصول القاهرة *

ويوم السّبت عَبرنا النِّيل، والنِّيل ليس بعريض جدّا، وهو عندي - والله أعلم - كالرِّجْلِ[467] [81 ظ] التي بين سَلَا والرِّبَاط إذا رَجَع فيها البحر.

ونَزلنا بِبَيْت بحَارَة جَامِع الأَزْهَر[468] على يد الحاجّ مُحَمَّد الشريبي الفَاسِي[469]، وليس له نظير يُماثله في المال بمصر بحَذافيرها، ووجدته[470] قد غَرِقَ لهُ في تلك الأيّام ببَحْرِ سُوَيْس[471] سَبعين كيسًا رِيالاً، ولم يُبال بها ولا أَثَّر فيه ذلك شيئاً.

---

466 - في ب: ذميم حقير.

467 - رِجْلُ البَحْر: خلِيجُهُ، انظر: ابن منظور، **ن. م.**، ج 2، ص 257. ويقصد الكاتب مصبّ وادي أبي رقراق الذي يفصل بين الرباط وسلا.

468 - لم يُشر المقريزي في خططه إلى حارة بهذا الاسم. وقد أقام الشرقي، **ن. م.**، ص 299، بالناحية الأزهرية.

469 - سقطت في ب. وهو محمدبن محمدبن قاسم الشرايبي الفاسي، ت 1125 هـ/ 1713م. أحد كبار التجار بمصر حتى أصبح سنة 1107 هـ/ 1695 م شهبندر تجار مصر. انظر عنه وعن مكانة عائلة الشرايبي بمصر آنذاك: عبدالمعطي (حسام محمد)، **العائلة والثروة البيوت التجارية المغربية في مصر العثمانية**، القاهرة، 2008، ص 85-99. وقد أشار الشرقي، **ن. م.**، ص 515، إلى مكانة الفاسيين في القاهرة واحتفائهم بالركب الفاسي.

470 - في ب: ووجدناه.

471 - هو الفرع الغربي من شمال البحر الأحمر الذي ينتهي بمدينة السويس. انظر: ياقوت، **ن. م.**، ج 3، ص 286.

ووَجدنا الشّيخ الفقيه العلاّمة شارح مُختصر[472] خَليل سيدي مُحمّد الخَرَشِي[473] حَيّا، واجتمعنا معه وتَبَرَّكْنا به، وهو رجل طويل أَسْمَر اللون، أَمْرَد، كبير السِّن، وجاء لسيدي الوالد واجتمع به، وقَرَأ عليه الخَرَشِي وَرقات من أوائل سيدي البُخَارِي[474]، وأَجازه سيدي الوالد.

نصائح في التعامل مع الفلاّحين والبدو

وأَقَمنا بمِصْر اثني عشر يوماً لا غَير.

واعلم أن بَهائمك إذا أردتَ أن تُخَلِّفها فلا تتركها[475] عند الفلاّحين، وإنّما الرأي إن لَقِيتَ صاحب دِين وأمانة من بَداوة البُحَيْرة[476] أو نحوها، فَأَوْدع[477] عنده الإبل، لأنّ إبلهم تَرعى باختيارها وتَرِد كذلك، وإنّما عليك أُجرة الرَّعْي فقط، وأمّا الفلاّحون[478] فإنّهم يُحاسبونكَ بجميع ما أَكَلَتْ وشَرِبَتْ، إذ لا يُطعِمونها إلّا الفول والتِبْن وهي بارِكة في بَيْت، فإذا أَعطيتهم ثَمنا[479] لذلك أَكلوهُ وتَرَكوها ضائعة، وإن لم تَجِد أحدا فبِعْها ولو بأقلّ من القيمة. وتَرى الفلاحين عند انحِدارك الأرياف يَأتون أفواجًا [82 و]

472 - سقطت في ب.

473 - أبو عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن علي الخرشي (أو الخراشي)، ت 1101 هـ/ 1690م. عالم مالكي، وهو أول من تولى مشيخة الأزهر سنة 1090 هـ/ 1679م. اشتهر بتدريسه لكتاب خليل وترك عددا من المؤلفات منها شرحه لمختصر خليل في أربع مجلدات الذي أشار إليه مؤلف الرحلة. راجع: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 6، ص 240.

474 - أي صحيح البخاري.

475 - في ب: تخلفهم وتتركهم، وقد أُصلحت في هامش أ.

476 - منطقة تقع جنوب غرب الإسكندرية، قاعدتها الحالية دمنهور، وكانت تُعرف ببحيرة الإسكندرية، انظر: ياقوت، **ن. م.**، ج 2، ص 351؛ المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، تحقيق أيمن فؤاد سيد، لندن، 2004، ج 1، ص 458؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 290، 533.

477 - في أ وب: فودع.

478 - في ب: الفلاحين، وقد أُصلحت في أ.

479 - سقطت في ب.

ويَطلبون ذلك من الحُجّاج أشدّ الطلب، ويأتون بالكَعْكِ والتّمر ويَدفعونه للنّاس، ويَتَحَبَّبون إليهم بذلك.

معاناة الحاج في مصر

وأَقمنا بمِصْر الاثني عشر يوما، ونحن في غاية الجَرْي والتّعب والهَمّ والكَدّ، فلا تَسأل عمّا يُلاقي الحاجّ وما يُقاسيه[480] الحاجّ، ومن لم يَقدم هذه الطّريق فهو عِندي من الغُمْر[481]، ولم يَعرف النفع من الضرّ، ولم يَلْقَ ما تَلْقاه[482] الرّجال، ولم يُقاس الهمّ ولا الأَثقال. وقد قيل:

[من الرجز]

إِذَا امْـــرُؤٌ لَــمْ يَــرْكَــبْ الأَهْـــوَالاَ
وَلَـــمْ يُــقَــاسِ الــهَــمَّ وَالأَثْـــقَـــالاَ
فــأَعْــطِــهِ الــمِـــرْوَدَ وَالــمِــكْــحَــالاَ
وعُـــــدَّهُ مِـــنْ أَهْــلِــهِ عِــيَـــالاَ[483]

من أراد أن يَكون كذلك فعليه باقتحام هذه المَسالك، ويَتَجَلّد لهذه المَهالك، ويَرَى ويَسمع، ويخفض ويرفع، ويَجوع ويَشبع، ويعزّ ويذلّ، ويكثر ما لديه ويقلّ، والله تعالى هو المُوفّق والمُعين.

---

480 - في ب: يقاسي.
481 - رَجُلٌ غُمْر وغَمِر: لَا تَجْرِبَةَ لَهُ بِحَرْبٍ وَلَا أَمر وَلَمْ تحنّكه التَّجارب. انظر: ابن منظور، ن. م.، ج 5، ص 32.
482 - في أ: تلقيه.
483 - تصرّف مُدوّن الرحلة في الأبيات الأصلية، راجعها في: ابن منظور، ن. م.، ج 11، ص 584، مادة كحل.

* من القاهرة إلى البركة *

ثمّ ارتحلنا منها يوم الخميس السّابع والعشرين من شوّال[484]، ونحن فيما يَعلمه الله من الأهوال، وذلك - والله أعلم - ثاني أو ثالث يوم من السَّمَائِم[485]. ونَزَلنا بالبِرْكَة[486] - بكسر الباء الموحّدة - وهي على ثمانية عشر ميلا من القَاهِرَة، وهي آخر العِمارة وأول المَفازة.

وأوصيكَ يا أخي مع تَيَسُّرِ[487] الأَمْرِ من حَمْل ماء يَكفيك خمسة أيّام، وهذا إن تَيسّر لكَ الأمر ووَجدتَ الظَّهْر[488] ومَنّ الله تعالى عليك بصِحَّتين، الزوادة[489] والبَدَن، فإذا حَصَّلتَ صِحّة القلب وقُوّة الذّهب ومَزَجتَها بقُوّة الربّ، فحينئذ يُشفى الكَرب، وتُنال الرُّغَب ويُكْمَل الطلب، وفي الله الكِفاية [82 ظ] والرّجاء، وإليه سبحانه المُلتجأ.

---

484 - يوم 2 أوت 1690 م.

485 - رياح حارة تدوم أربعين يوماً انطلاقاً من يوم 25 جويلية العجمي حسب التقويم المغربي. انظر: دوزي (رينهارت)، **ن. م.**، ج 6، ص 137.

486 - وتُسمى أيضاً بركة الحاج وبركة الجُبّ. انظر: الجزيري، **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكّة المعظمة**، تحقيق محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل، بيروت، 2002، ج 2، ص 94، 282؛ ابن مليح، **ن. م.**، ص 69، 129؛ العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 269؛ الناصري، **ن. م.**، ص 306، 116؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 321، 509؛ الحضيكي، **ن. م.**، ص 93، 177؛ العامري، **ن. م.**، ص 95؛ الزبادي، **ن. م.**، ص 55؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 317، 555. تقع مسافة 22 كم شرق القاهرة، راجع: عبد المالك (سامي صالح)، **درب الحَاجّ المِصْري همزة وصل غرب العالم الإسلامي بالحَرَمين الشريفَين. دراسة تاريخية - آثارية**، جامعة أم القرى، 200، ص 75.

487 - في ب: تبشر.

488 - أي المُساعدة.

489 - كذا في أ وب، وهي كلمة عامية بمعنى الزاد أو طعام السفر. انظر: دوزي (رينهارت)، **ن. م.**، ج 5، ص 381.

مصاعب طريق الحج

وليس هذا مَخصوص من مِصْر، وإنّما هو مِن أوّل الأمر وابتداء السَّيْر، وإلّا فارقُد في بيتك واغتنم راحَتك ودَعَتك، ولا تَتّكِل علي ما ليس في الحمل، فإنّه قيل: اعقلها وتَوَكل، وبذلك أَمَر الله تعالى، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[490]. ومن حَدَّثَتْهُ نَفسه أن يَبلغ أرض الحِجَاز بالخَريطة والعُكّاز[491]، فقد أكذبته نَفسه وهو آثم ويخلف، لا قاعد ولا قائم، ويَندم حين لا يَنفعه الندم، ويكون بين الوُجود والعَدَم، والعَدَم أقرب إليه، والوُصول بعيد[492] عليه، وهذا ما شَهدنا ورَأينا لا ما سَمِعنا وظَنَنّا، والله تعالى يُبْلِغُ الأُمنية ويُصلح النِيّة، بالنبّي وصَحبه وآله وحِزبه.

وشؤون هذه المسافة لا شك عَسيرة، ووَظائفها كثيرة، والحجّ كُلّه من مِصْر، ولا بد في هذا من الصبر الكامل والحَزِم والعَزْم، فإن عاقِبته مَحمودة وحَسناته مَشهودة، وقِدما قيل:

[من الوافر]

وَمَــنْ طَـلَـبَ الـعُـلاَ سَـهِـرَ اللَّيَالِي[493]

[من الطويل]

وَلاَ بُدَّ بَعْدَ الشَّهْدِ مِنْ إِبَـرِ النَّحلِ[494]

490 - سورة آل عمران، الآية 97.

491 - في ب: الكعاز.

492 - في ب: أبعد.

493 - هذا عجز البيت الشهير المنسوب إلى الإمام الشافعي:

بـقـدرِ الـكـدِّ تُـكـتـسـبُ الـمَـعـالـي
ومَــنْ طَـلـبَ الـعُـلا سَـهـرَ الـلـيـالـي.

494 - اقتباس من عجز بيت شهير للمتنبي:

تُـريـديـنَ لُـقـيـانَ الـمَـعَـالـي رَخـيـصَـةً
وَلا بُـدّ دونَ الـشّـهـدِ مـن إبَـرِ النّحلِ

انظر: المتنبي، **ديوان المتنبّي**، تحقيق عبد الوهاب عزام، القاهرة، 1944، ص 520.

[من الرجز]

لاَ بَـــأْسَ بِـالـغَـالِـي إِذَا قِـيـلَ حَـسَـنْ
لَـيْـسَ لِمَا قَـرَّتْ بِـهِ العَيْنُ ثَـمَـنْ[495]

والجنّة حفّت بالمَكارِه[496]، ومَنْ مَنَّ الله تعالى عليه بحجِّ بَيْتِهِ الحَرَام وزِيارة النبيّ الرّسول مولانا مُحمّد بن عبد الله عليه أفضل الصّلاة والسّلام، فأيّ فَضْل أقوى من هذا، وأيَّ نِعمة أحسن منها، فلو تَرَكَ الإنسان المال والولد، وسعى على الخَدّ[497]، ما بلغ [83 و] شُكر هذه النِعمة التي أنعَم الله تعالى عليه بها، وخَصّه لحُضور هذه المائدة الشّريفة العَزيزة المُنيفة، وشُهود مَشاعره العظيمة، ومشاهدة تلك المعالم الجسيمة، فهو المُنْعِم أوّلاً وآخرًا وباطنًا وظاهرًا[498].

[من المتقارب]

إِذَا بَـلَـغَ الـمَـرْءُ أَرْضَ الـحِـجَـازِ
فَــقَــدْ نَــالَ أَفْــضَــلَ مَــا أَمَّــلَــهْ

وَإِنْ زَارَ قَــبْــرَ نَــبِــيِّ الـهُـدَى
فَــقَــدْ كَــمَّــلَ اللهُ مَــا أَمَّ لَــهْ[499]

495 - أنشد أبو الحسن المريني هذا البيت يوم اكتمال بناء المدرسة الجديدة بمكناس. راجع: المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1968، ج 6، ص 214.

496 - اقتباس من الحديث النبوي: حُجبت النار بالشهوات، وحُجبت الجنة بالمكاره. راجع: **صحيح البخاري**، كتاب الرقائق، حديث رقم 6487.

497 - الخدّ بمعنى الطريق. انظر: ابن منظور، **ن. م.**، ج 3، ص 161.

498 - في ب: وظاهرًا وباطنًا.

499 - البيتان لمحمد بن أحمد بن جبير الكناني صاحب الرحلة المشهورة، وقد وردا في المصادر باختلاف طفيف في الألفاظ. راجع: ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق إحسان عباس، محمد بن شريفة وبشار عواد معروف، تونس، 2012، ج 3، ص 511.

غَيره:

[من المتقارب]

هَـنِـيـئًـا لِـمَـنْ حَـجَّ أَرْضَ الـهُـدَى
وَحَـطَّ عَـنِ الـنَّـفْـسِ أَوْزَارَهَـا

لِأَنَّ الـسَّـعَـادَةَ مَـضْـمُـونَـةٌ
لِـمَـنْ حَـلَّ طَـيْـبَـةَ أَوْ زَارَهَـا[500]

وفي المعنى الأوّل قول سُفْيَان الثَّوْرِي[501]:

[من السريع]

إِنْ كُـنْـتَ تَـرْجُـو اللهَ فَـاقْـنَـعْ بِـهِ
فَـعِـنْـدَهُ الْـفَـضْـلُ الـكَـبِـيـرُ الْـكَـثِـيـرْ

مَـنْ ذَا الَّـذِي تَـلْـزَمُـهُ فَـاقَـةٌ
وَذُخْـرُهُ اللهُ الْعَـلِـيُّ الْكَـبِـيرْ[502]

إذن، تَحَرَّكَ الهَوى، فلِكُلّ أمرئ ما نَوَى، وعلى الله سبحانه الاعتِماد في تَيْسير المُراد.

500 ـ البيتان لابن جبير أيضاً. وفيها في بداية البيت الثاني: وإنّ عوض لأن. راجع: ابن عبد الملك، ن. م

501 ـ أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، ت 161 هـ/ 778م. زاهد ألّف في الحديث والفرائض. انظر: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 3، ص 104.

502 ـ البيتان من إنشاد سفيان الثوري، وأوردها مُدوّن الرحلة مع تقديم وتأخير طفيف في الألفاظ. انظر مثلاً: أبو نعيم الأصفهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، بيروت، 1985، ج 6، ص 373.

من البركة إلى بندر النخيل

ثمّ رَحلنا من البِرْكَة، وبِتْنا بالدَّارِ الحَمْرَاء[503] خالية قَفْرًا، لا ماء.

ومنها بَلغنا بَنْدَر عَجْرُود[504] عشيّة النّهار، وماؤه من أقبح المياه، وقد ذَكَر لي[505] رَجل سِجِلْمَاسِي هذا البيت يومئذ:

[من الرجز]
عَـــجْـــرُودُ ثُـــمَّ حَـــوْرَةٌ وَالأَزْلَـــمُ
صَـــرُورَةُ الأَكْـــرَةُ هِـــيَ أَعْـــظَـــمُ[506]

فكان من قَدَر الله أن مات لمّا شرِب ماء الأَكْرَه، وستَأتي كُلّها.

وهو للدّواب ومن اضطرّ. ثمّ إن مَرَّ الرّكب على النَّابِعَة[507]، فماء طيّب، وإن مَرَّ على النَّوَاظِر[508] فهَمّ وكَرب. ونحن مَرَرْنا عليها وبَلغناها ظُهرا، ونَزلنا عليها، وماؤها من أحسن المياه، [83 ظ] عذب بارد.

---

503 - تقع حالياً في منتصف الطريق بين القاهرة والسويس عند الكيلو 62 إلى الشمال منه مسافة 3 كم. انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 101؛ ابن مليح، ن. م.، ص 70، 128؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 270؛ الشرقي، ن. م.، ص 509؛ الحضيكي، ن. م.، ص 93، 176؛ العامري، ن. م.، 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 56، 169؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 317، 553. راجع: عبد المالك (سامي صالح)، ن. م.، ص 83.

504 - تقع مسافة 20 كم شمال غرب مدينة السويس، وكانت من أهم أسواق طريق الحج. انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 101، 281؛ ابن مليح، ن. م.، ص 70، 128؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 271؛ الناصري، ن. م.، ص 307، 611؛ الشرقي، ن. م.، ص 325، 509؛ الحضيكي، ن. م.، ص 94، 176؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 56، 169؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 330، 553. راجع: عبد المالك (سامي صالح)، ن. م.، ص 84.

505 - سقطت في ب.

506 - سيأتي تعريف هذه المواضع.

507 - موضعها الآن مجرى قناة السويس. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 274؛ الناصري، ن. م.، ص 308؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 330، 553. راجع: عبد المالك (سامي صالح)، ن. م.، ص 120.

508 - العياشي، ن. م.، ج 1، ص 278، نقلا عن البكري الصديقي؛ الزبادي، ن. م.، ص 57؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الورثلاني، ن. م.، ص 227. والنواظير أو النواطير هي الأعلام

ثمّ بِتْنا بوادي التِّيه[509]، ولا ماء فيه، ولم نَنْزِل إلى العِشاء. وتلك المرحلة ما في الدّرب أقبح ولا أكثر منها رَمْلاً وعَطَشًا وحَرًّا.

وغدًا أيضاً عِشاء نَزلنا ببَنْدَر النَّخِيل[510]، وكان فيه سوق عظيم مع الرّكب المصري، إذ هو يَذهب أمامنا ونحن خلفه ونلحقه في كلّ بَنْدَر، وفي الرّجوع بالعكس، وماؤه قبيح إلّا أنّه أفضل من عَجْرُود، ولا خَير في الجميع.

* من بندر النخيل إلى بندر العقبة *

وأقمنا فيه يوماً، ثمّ رَحلنا للكُرَّيْص[511]، ويُسمّيه[512] الحُجّاج أَبْيَار الصَّعَالِيك[513]، وفيها[514] ماء أَمَرّ من البحر، وذلك أن أعراب تلك الأرض

التي تُنبى لهداية الحاج في طريقه. راجع: عبد المالك (سامي صالح)، ن. م.، ص 120.

509 – التيه هو الاسم الذي أُطلق على المنطقة الوسطى من سيناء، وقد حدده بعض الكتّاب بأنه المنطقة الفاصلة بين موضعي المُنصرف وقلعة نخل على درب الحاج المصري. انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 105، 281؛ ابن مليح، ن. م.، ص 71؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 275؛ الناصري، ن. م.، ص 315؛ الحضيكي، ن. م.، ص 94، 176؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 58، 169؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 331، 550. راجع: عبد المالك (سامي صالح)، ن. م.، ص 159.

510 – كذا في أ وب وفي جل الرحلات المغربية. والمقصود هو موضع قلعة نَخْل، وهي الآن مدينة بوسط سيناء وتبعد مسافة 130 كم غرب العقبة. انظر: ابن مليح، ن. م.، ص 71، 128؛ العياشي، ن. م.، ج 1، 278، نقلا عن البكري الصديقي؛ الناصري، ن. م.، ص 317، 611؛ الحضيكي، ن. م.، ص 94، 176؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 58، 169؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 331، 549. راجع: عبد المالك (سامي صالح)، ن. م.، ص 161.

511 – رسم الاسم في أ وب بثلاث نقاط أسفل الكاف. ووادي القريص الآن هو أحد روافد وادي العقابة أحد أهم روافد وادي العريش. انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 108، 281؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 282، نقلا عن البكري الصديقي. راجع: عبد المالك (سامي صالح)، ن. م.، ص 248.

512 – في أ وب: ويُسمّونه.

513 – العياشي، ن. م.، ج 1، ص 279، ويذكر أن بئر الصعاليك يُسمى أيضاً بئر البارود؛ الناصري، ن. م.، ص 320، 610؛ الحضيكي، ن. م.، ص 94، 176؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 58، 169؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 332، 549.

514 – في ب: وفيهم.

أَفسدوه بالبارود لأجل الحُجّاج، وما زالت فيه رائحته، وربّما تَشربه البهائم.

وغدًا نزلنا سَطْح العَقَبَة[515] بعد الثّلْث الأوّل من اللّيل، ولا ماء.

ثمّ حَدَرْنا العَقَبَة يوم السّبت سادس ذي القعدة[516]، وبدأنا النّزول من الغَلَس إلى الظُّهر، ما رأيتُ أَفْضَع منها ولا أقبح خَوْفا وصعوبة. وبَلغنا البَنْدَر، ونَزلنا على المصري أيضاً.

وكان في بَنْدَر العَقَبَة[517] أيضاً سوق عَجيبة، ووَجدنا فيها[518] مُلاَقَاة غَزَّة[519] من أرض الشّام، وبينها وبين العَقَبَة سَيْر عشرة أيّام، ويَأتون بالعِنَب والتُفّاح والدُلاّع والبِطّيخ فلا يَفسد ولا يَتَغيَّر، وفواكه تلك الأرض ما رأينا مِثلها. وغَزّة قَريبة من بَيْت المَقْدِس، وماء هذا البَنْدَر من أطيب ما يُشرب وما يُعَوَّل عليه، وقد وافيناه نحن في قوّة الحرّ والقَيْظ، فوَجدناه حُلوا باردا [84 و] مع ما عليه من الزِّحام. وأَقمنا بها يوم الأحد.

---

515 - ويُسمى أيضاً السطح، ويقع مسافة 82 كم شرق مدينة نخل قرب عرقوب البغلة وأحيانا يُطابق بينهما. وهي عقبة صغيرة ومُحجّرة تعترض مسار درب الحاج المصري. انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 109، 281؛ ابن مليح، ن. م.، ص 71، 128؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 280، ج 2، ص 406؛ الناصري، ن. م.، ص 321، 610؛ الحضيكي، ن. م.، ص 94، 176؛ الزبادي، ن. م.، ص 59، 169؛ العامري، ن. م.، ص 97. راجع: عبد المالك (سامي صالح)، ن. م.، ص 272.

516 - يوم 10 أوت 1690 م.

517 - يقع قرب أيلة لذلك يُعرف أيضاً ببندر عقبة أيلة، وموضعه حالياً مدينة العقبة. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 281، ج 2، ص 404؛ الناصري، ن. م.، ص 321، 609؛ الحضيكي، ن. م.، ص 94، 176؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 60، 169؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 366، 543. راجع: عبد المالك (سامي صالح)، ن. م.، ص 306.

518 - في ب: فيه.

519 - وهي المدينة المشهورة بفلسطين. انظر: ياقوت، ن. م.، ج 4، ص 202.

من بندر العقبة إلى مغارة شعيب

ورَحل المصري عشيّة النّهار، إذ هو يَسير باللّيل ويَكْمَن بالنّهار ونحن بالعكس. ورَحلنا نحن صَبيحة يوم الاثنين، ومن هنا ابتدَأنا أيضاً نحن كذلك المَسير باللّيل لقوّة الحرّ المُفرط والتّعب المُغّط، فكنّا نسير أوّل النّهار وآخره واللّيل كلّه، فكان ذلك أَدْهَى وأَمَرّ، والله يَتقَبّل العمل ويُصلح الأمل.

وفي بَنْدَر العَقَبَة قبر سيدي إبْرَاهِيم اللَّقَّانِي[520]، كما أخبرني به مُحِبّنا سيدي مُحَمَّد المُكْنِي بطَرَابُلْس، فلمّا بَلَغْتُهُ، ما لَقيتُ من يَع رفه من الحُضّار ولا من الخُطّار[521].

وبَلغنا ماء ظَهْر الحِمَار[522] ظُهرا، ونَزلنا عليه، وهَجَّرْنا[523] هنالك، وحَملنا ماء ثلاثة أيّام، وذَهبنا عشيّة، وقَيَّلْنا[524] بعُشّ الغُرَاب[525]، ثمّ قَيَّلْنا بشَرَفِ ابن عَطِيَّة[526]. ثمّ بَلغنا مَغَارَة سيدنا شُعَيْب[527] - عليه السّلام - وبِتْنا

520 - برهان الدين أبو الأمداد إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني، ت 1041 هـ/ 1631م. فقيه ومتصوف مالكي مصري، ألّف كتبا عديدة وتوفي في طريق عودته من الحج قرب العقبة. وقد زاره العياشي، ن. م.، ج 1، ص 406، وكذلك الناصري، ن. م.، ص 326. راجع: الزركلي (خير الدين)، ن. م.، ج 1، ص 28.

521 - أي الزائرون أو المارّون. راجع: دوزي (رينهارت)، ن. م.، ج 4، ج 132.

522 - الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 122؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 283؛ الناصري، ن. م.، ص 326، 609؛ الحضيكي، ن. م.، ص 95، 176؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 60؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 368، 548.

523 - أي نزلنا وقت الهاجرة وهو القيظ، انظر: ابن منظور، ن. م.، ج 5، ص 255.

524 - كذا في أ وب، وهي عاميّة بمعني أمضينا القيلولة.

525 - الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 123، 280؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 284: يُسمى هذا المكان أيضاً شرفات بني عطية؛ الناصري، ن. م.، ص 327؛ الزبادي، ن. م.، ص 60.

526 - ضبط اسم هذا المكان بأشكال مختلفة: شرف بني عطية، شرفات بني عطية، الشرفات، الشرافة. انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 123، 280؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 284، ج 2، ص 404: الناصري، ن. م.، ص 327، 609؛ الحضيكي، ن. م.، ص 95:، ص 176: العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 60، 169؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 369، 548.

527 - سُمي هذا الموضع أيضاً: مغارة شعيب ومغائر شعيب، انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 124، 280؛ ابن مليح، ن. م.، ص 71؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 284-285، ج 2، ص

بها. وأقمنا غدا أيضاً إلى العشيّة، وماؤها من أحسن ما يُشرب، وهو جَارٍ على وَجْه الأرض، ما في الدّرب أفضل منه، ولم نَبلغه إلّا بعد الهلاك، ومات من النّاس ما لا يُعَدُّ ولا يُحْصَى عَطشا وحرّا وسَيْرا قويّا.

وقريب من هذا الموضع مَدْيَن[528]، وما زالت تُسمّى اليوم كذلك. وتَلَقّونا بعِنب وإجاص منها، ما رأيتُ أعظم من ذلك ولا أَحْلى من ذلك عِند رجوعنا، والرطل يحمل نصف عُنقود واثنين من الإجّاص، فسُبحان الله العظيم.

من مغارة شعيب إلى الأزلم

وسَرَيْنا ونَزلنا على عُيُون القَصَب[529] قبل الزّوال، ماء طيّب جارٍ أيضاً كذلك، وظلّ فيه الرّكب.

ثمّ رَحلنا أيضاً [84 ظ] وبَلغنا بَنْدَر المُويلح[530]، ولم أَنْسَ حَرَّ ذلك اليوم، وما ظَنَنْتُ أن الإنسان يُغْشى عليه إلى يومي ذلك، وقد غُشِيَ عَليَّ من حين بَلغنا، وذلك ظُهرًا إلى اللّيل، وتَجد ريحا تَخرج من البحر كريح

404؛ الناصري، ن. م.، ص 328، 608؛ الشرقي، ن. م.، ص 509؛ الحضيكي، ن. م.، ص 95، 176؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 61، 169؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 369، 547.

528 – الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 126؛ ابن مليح، ن. م.، ص 71، 127؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 284؛ الناصري، ن. م.، ص 329؛ الزبادي، ن. م.، ص 61؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 369، 547.

529 – يُعرف هذا الموضع أيضاً بعيون الأقصاب ووادي القصب، انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 133، 280؛ ابن مليح، ن. م.، ص 71، 127؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 285، ج 2، ص 404؛ الناصري، ن. م.، ص 329، 608؛ الحضيكي، ن. م.، ص 95، 176؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 62، 169؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 369، 547.

530 – الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 140، 279؛ ابن مليح، ن. م.، ص 71، 127؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 285، ج 2، ص 403؛ الناصري، ن. م.، ص 329، 608؛ الحضيكي، ن. م.، ص 95، 176؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 62، 168؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 370، 545.

الفُرْن، ولم نَبلغه إلّا بعد اللّتَيّا وَالّتِي[531]، وبَلغناه يوم السّبت الثّالث عشر من الشهر[532]، وأَقمنا فيه الأحد والاثنين، وماؤه عَجيب. وهو على شاطئ بحر سُوَيْس، وكذلك بَنْدَر العَقَبَة المتقدّم والنَّابِعَة أيضاً، وفيه مَراكب تَذهب منه إلى مِصْر وتَأتي.

ومِن المُويلِح إلى اليَنْبُوع يُسّمونها العُشَرِيَّة[533]، مَنِ نَجا منها بَلغ الأُمنية، ومَن أَرْدَتْهُ ذَهبت بِه المَنِيَّة، فيكون كأَمْس الذاهب.

ورَحلنا يوم الثّلاثاء نهارا، وبِتْنا بين جَبَلَيْ سَلْمَى وكُفَافَة[534]، وهنالك ماء يُقال له أَبْيَار السُّلْطَان[535]، ماء طَيب أيضاً.

ورَحلنا وبَلغنا الأَزْلَم[536]، مِنَ المياه المَذكورة قَبْل في البَيْت[537]، وماؤه هَمّ وغَمّ، لا يُساغ بِوَجْه ولا بِحال. وبِتنا.

531 – أي بعد الوقوع في الدواهي والمصائب.

532 – يوم 17 أوت 1690 م.

533 – العُشرية أو العُشارية، وقد فسّرها الزبادي، ن. م.، ص 65، بأنها: «عشر مراحل متوالية لا إقامة فيها».

534 – الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 143؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 290، 2، ص 403؛ الناصري، ن. م.، ص 333؛ الزبادي، ن. م.، ص 62، 165؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 371.

535 – يُعرف هذا الموضع أيضاً ببئر السلطان ودار السلطان ودار أم السلطان وآبار دار أم السلطان. انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 142، 279؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 292، ج 2، ص 403؛ الناصري، ن. م.، ص 333، 607؛ الحضيكي، ن. م.، ص 95، 176؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 62: 165؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 371، 545.

536 – الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 145، 279؛ ابن مليح، ن. م.، ص 71، 127؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 290، ج 2، ص 403؛ الناصري، ن. م.، ص 334، 607؛ الحضيكي، ن. م.، ص 95، 176؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 63، 165؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 371، 545.

537 – أي بيت الشعر الذي أنشده الرجل السجلماسي في بندر عجرود.

* من الأزلم إلى الحوراء *

وغدًا بَلغنا إِصْطَبْل عَنْتَر[538]، ماءٌ طيّب عَجيب.

ثمّ الوَجْه[539]، فيه بئر وَسط البَنْدَر حُلو، ولكن لا يَبلغه أحد من المَغاربة ولو بُدِّلَ بَصَرُه أو[540] بَدا ضُرّه. وهُم يَدَّخِرُونَه لأمير حاجّ المصري عند رُجوعه.

ثمّ الأَكْرَه[541]، وماؤه كَريه كاِسمِه، لا يَكاد يَنجو منه مَنْ شَرِبه، ويَشربه الدّواب ومَن اِضطرّ. وهذا الموضع من المَواضع المُخوّفة كالوَجْه المُتقدّم وعُشّ الغُرَاب قَبْلَه، ويُقال أن سَيْل المَدِينَة المُطَهَّرَة يَصُبُّ في هذا الوادي.

ثمّ صَبّحنا بَيْنَ الدَّرَكَيْن[542]، ولا ماء.

---

538 ـ كذا رسمت اصطبل بالصاد وليس بالسين، وهذا دارج لدى المؤلفين المغاربة (انظر مثلاً: السلاوي، ن. م.، ج 7، ص 22). يدعى أيضاً: بئر عنتر. انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 149، 279؛ ابن مليح، ن. م.، ص 91، 127: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 290، ج 2، ص 403؛ الناصري، ن. م.، ص 334، 607؛ الحضيكي، ن. م.، ص 95، 176؛ الزبادي، ن. م.، ص 63، 165؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 371، 545

539 ـ الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 150، 279؛ ابن مليح، ن. م.، ص 72، 127؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 291، ج 2، ص 403؛ الناصري، ن. م.، ص 335، 606؛ الشرقي، ن. م.، ص 508؛ الحضيكي، ن. م.، ص 95، 176؛ الزبادي، ن. م.، ص 64، 165، الورثيلاني، ن. م.، ص 372، 545.

540 ـ في أ: لو، وما أثبتناه فهو من ب.

541 ـ ترسم أيضاً: أكرى، انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 146؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 294؛ الناصري، ن. م.، ص 338، 606؛ الحضيكي، ن. م.، ص 176؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 65، 165؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 372، 543.

542 ـ ابن مليح، ن. م.، ص 92، 127؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 294؛ الناصري، ن. م.، ص 339، 605؛ الحضيكي، ن. م.، ص 95، 176؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 65، 165؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 372، 543.

ثمّ صَبّحنا الحَوْرَاء[543]، وهي أيضاً مَعدودة في البَيْت[544]. والحَوْرَاء[545] على شاطئ البحر أيضاً، وماؤها يُسْهِل البطن [85 و] إسهالاً مفرطًا مُضرّاً.

وأَخبرني مرّاكشي اسمه الحاجّ عَلِيّ أَبُو جُمْعَة[546]، وهو مِمّن له خِبرة بهذه الطّريق، أن الحَوْرَاء حَشيشها كلّه سَنَا حَرَم[547]، وأنّ عُروقه مُمتزجة بهذا الماء، فمن شَربَه وهو على صِحّة بَدَنِه واعتدال مِزاجه وسَلامة حَوّاسه، كانت له تَنْقِيَة وتَصْفِيَة من جميع الأضرار، وتَعقب ذلك الصِحّة التّامة والعافِية الكَاملة، ومن شَرِبَهُ على اِسْتِفْراغ وضعف لعارض أو لهَرَم كان سَبب حَتْفِه، فشاهدتُ ذلك في أُناس وفي نَفسي أيضاً. وهذا المرّاكشيّ مِمَّن قَضى نَحْبَه بعد ثلاث من غَير مرض آخر، وبعد هذا كلّه فلا مَحيد عنه، والسّالم من سَلَّمَهُ الله وعَصَمَهُ.

من الحوراء إلى الينبوع

ورَحلنا عشيّة، ومَشينا وادي العُقَيِّق[548] ليلا، وبَلغنا النَّبْط[549] وَسط النّهار وأَقلنا بها، وماؤه حُلو.

---

543 – الجزيري، ن. م. ج 2، ص 155، 278؛ ابن مليح، ن. م.، ص 72، 127؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 294، ج 2، ص 403؛ الناصري، ن. م.، ص 339، 605؛ الحضيكي، ن. م.، ص 96، 176؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 65، 165؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 373، 543.

544 – أي بيت الشعر الذي أنشده الرجل السجلماسي في بندر عجرود.

545 – ورد في أ: وهذا اليوم والحوراء، ويبدو أنه سهو من الناسخ.

546 – لم نجد له ذكرًا فيما بين أيدينا من مصادر.

547 – وهي النبتة المعروفة باسم السنامكي، لأن موطنها الحجاز. وقد استعملت منذ القديم للتداوي. ذكرها الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 145 مثلا.

548 – الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 156، 278؛ ابن مليح، ن. م.، ص 92؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 295؛ الناصري، ن. م.، ص 340 الزبادي، ن. م.، ص 71؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 373.

549 – عُرف أيضاً بوادي النبط. انظر: ابن مليح، ن. م.، ص 72؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 295، ج 2، ص 402؛ الناصري، ن. م.، ص 340، 605؛ الشرقي، ن. م.، ص 332؛

ثمّ رَحلنا عشيّة النّهار، واقتَحَمْنا وادي النّار[550]، وبَلغنا ريح كالنّار فتَرَى الرّجل يَمشي ويَتَكَلّم ويَطلب الماء، فإذا عُنقه مُلتوية[551] وليس ذلك من العَطَش ولا من الجوع، وإنّما هو وَباء أرسله الله تعالى. ورأيتُ من هو راكِب على بَغْلَتِه ورَكْوَتِه[552] معهُ، فإذا هو على جَنْبِه ميّتا. وبات علينا ذلك الرّيح[553].

ونَزلنا بالخُضَيْرَة[554]، وماؤها كماء البحر، وظَلّ الرّيح يَنْفخ كما هو، وأمرني سيدي الوالد بلبْس الثّياب الغليظة الثّقيلة وتَغطية جميع جسدي، وفَعلتُ ذلك فشاهدتُ لُطف الله تعالى، فكنتُ إذا أَظْهَرْتُ شيئاً منّي تَحَرَّق، [85 ظ] وهذا أمر عظيم.

ورَحلنا ليلاً، فلم يُغن ذلك شيئا، ولم نَبلغ اليَنْبُوع[555] إلّا بعد تَشتيت الجُموع.

الحضيكي، ن. م.، ص 96، 176؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 165؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 373، 542.

550 – الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 158، 278؛ ابن مليح، ن. م.، ص 72؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 295، ج 2، ص 402؛ الناصري، ن. م.، ص 340؛ الشرقي، ن. م.، ص 334؛ الحضيكي، ن. م.، ص 96؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 373.

551 – في ب: ملتو.

552 – الركوة إِنَاء صَغِير من جلد يشرب فِيهِ المَاء. راجع: ابن منظور، ن. م.، ج 14، ص 333.

553 – كذا في أ وب، والأصح: وباتت علينا تلك الريح.

554 – الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 159، 278؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 295؛ الناصري، ن. م.، ص 341؛ الشرقي، ن. م.، ص 335؛ الحضيكي، ن. م.، ص 96؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 72، 165؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 373، 542.

555 – وتُرسم أيضاً: ينبع والينبع. انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 160؛ ابن مليح، ن. م.، ص 72، 127؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 296، ج 2، ص 402؛ الناصري، ن. م.، ص 341، 605؛ الشرقي، ن. م.، ص 336، 507؛ الحضيكي، ن. م.، ص 96، 175؛ الزبادي، ن. م.، ص 72، 164؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 374، 538.

وبَلغنا اليَنْبُوع يوم الجمعة السّادس والعشرين من ذي القعدة[556]، فوَجدنا المصري أمامنا، ووَقَع فيه أكثر ممّا وَقَع فينا. وحدّثني أكثر من واحد أنّه مات منه يوم بُلوغنا فقط سبعة عشر مائة[557] جُندي، وما منهم إلّا من تَرَك فَرَسه وسَيْفه سوى غيرهم من الفلاّحين والمصريين. ولَقِيتُ رَجلا طَبيبا تُرْكِيّا[558] يومئذ، وقد كنتُ[559] سَمعتُ أنّه كان يَسقي مَن انقطع كَلامه والْتَوَى لِسانه من العَطَش، دَقيق الفول مَلْتُوتًا[560] بالماء، فسألته عن ذلك فقال لي: إن هذه الرّيح تَمْرَق في الفؤاد فتُحْدِث ثَقْبا في الرِّيَة، فإذا شَرِب هذا الفول اِنسَدَّت تلك الثُّقَب فلا يَضرّه شرب الماء بعد ذلك، وإذا شَرب الماء وَحده مات في الحين، فحينئذ عَلمتُ أنّ لبس الثّياب الكَتيفة[561] كالمِلْفِ[562] ونحوه، لا يَتَمَكَّن صاحبهُ من هذه الرّيح، كما أمرني الوالد - حفِظه الله تعالى -، وشاهدنا كلّ ذلك.

---

556 - يوم 30 أوت 1690 م.

557 - كذا في أ وب، ولربما سهى الناسخ عن الواو المعطوفة على المائة ليصبح الرقم 117 لأن رقم 1700 جندي يبدو مُبالغا فيه.

558 - في ب: تركي، وقد أُصلحت في هامش أ.

559 - سقطت من ب.

560 - أي معجونا. لتَّ الدّقيقَ: عجَنه، بلّه بالماء. انظر: ابن منظور، ن. م.، ج 2، ص 83.

561 - كذا في أ وب، وهي إما مصطلح مغربي محلي أو تصحيف لكثيفة.

562 - اسم يُطلق بالمغرب على نوع من الأقمشة الصوفية. راجع: دوزي (رينهارت)، ن. م.، ج 10، ص 109.

قصّة العين الزرقاء

وماؤه طيّب عجيب، وهو من العَيْن الزَّرْقَاء[563] التي أَخرجَتها زُبَيْدَة بنت جَعْفَر بن المَنْصُور[564]، فأَجْرَتْها إلى مكّة المُشَرَّفَة، وهي في وادي بين جبال سُود عاليات خاليات من المياه والنّبات، فثَقَبَت زبيدة - رحمها الله - الجبال إلى أن سَلَكَ الماء من أرض الحِلّ إلى أرض الحَرَم، ويُقال أنّها أَنْفَقَت على عَمَلها ألف ألف وسبعمائة ألف [86 و] مِثقال من الذّهب. ويُحكى أنّه لَمَّا تمّ عَمَلها، اجتمع المُباشرون والحُسّاب لديها، وأخرجوا دَفاتِرهم لإخراج حِساب ما أصْرَفوه ليَبْرَؤوا من تُهمة ما تَسَلَّموه، وكانت في قصر عال مُشرف على دِجْلَة، فأخذت الدّفاتر منهم ورَمَتها في دِجْلَة وقالت: تَرَكْنا الحِساب ليوم الحِساب، فمَنْ فَضل عنده شيء فهو لهُ، ومن بَقِيَ له شيئاً أَعْطيته لهُ، وأَلْبَسَتهم الخُلَع، رحمها الله وأسكَنها الفِردوس في أعلى عِلِّيِّين[565].

وزُبَيْدَة هذه زوجة هَارُون الرَّشِيد[566]، وهي أُمّ الأَمِين[567]، وقِصّتها مع الرَّشِيد مَشهورة. ويَذكرون أن ماء اليَنْبُوع من هذه العين.

---

563 - يخلط المؤلف هنا بين العين الزرقاء وهي القناة التي أجراها مروان بن الحكم إلى المدينة لنقل الماء إليها من قباء سنة 51 هـ/ 671 م، ثم عين زبيدة التي أجرتها زوجة هارون الرشيد إلى مكّة بعد حجها سنة 186 هـ/ 802 م، والتي درج الاعتقاد الشعبي على اعتبارها تربط العراق بمكة. وحول هذه العين انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 460؛ الشرقي، ن. م.، ص 495، الورثيلاني، ن. م.، ص 493.

564 - أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، ت 216 هـ/ 831م. زوجة الخليفة هارون الرشيد وبنت عمه. اشتهرت بإحداثها «عين زبيدة» بمكّة، جلبت إليها الماء من وادي النعمان شرقي مكّة. انظر: الزركلي (خير الدين)، ن. م.، ج 3، ص 42.

565 - ينقل المؤلف هذه القصة عن المنوفي، **كتاب أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول**، مصر، 1892، ص 71.

566 - خامس الخلفاء العباسيين (170-193 هـ/ 787-809 م). انظر: الزركلي (خير الدين)، ن. م.، ج 8، ص 62.

567 - سادس الخلفاء العباسيين (193-198 هـ/ 809-813 م). انظر: الزركلي (خير الدين)، ن. م.، ج 7، ص 127.

من الينبوع إلى رابغ

واليَنْبُوع هو أوّل القُرى الحِجازية. وإليه كانت غَزوة العُشَيْرَة[568] والله أعلم. وأُحذّركَ غاية الحذر أن تَجْتَنِب أَكل تَمْرِه، فإنّه قتّال، فإن كان ولا بدّ فلا تُكثر منه، وهذا ما جَرَّبْتُه بنفسي لا ما سَمِعت، مع اعتدال مزاجي وصِحّة أمعائي ولله الحمد، فقاسَيْتُ هذا الألم الشّديد، وبِتْنا به.

وغدًا رَحلنا عشيّة السّبت، وسِرنا اللّيل والنّهار، وبَلغنا بَدْرا[569] نِصف ليلة الاثنين، وهذه الدّار يُسمّونها دَار الوقدة[570]، وذلك أنّهم يُوقِدُون كثرة الشّمع والمَصابيح، ولا تَرَى جملاً إلّا وفَوْق قُبَّتِه شَمْع عديدة، وهذا دَأْبهم اللّيل كلّه، [86 ظ] ومن لم يَفعل ذلك عندهم فلم يُوافق كَدَا[571] أو كما يَعتقدون، وهي – والله أعلم – بِدعة شنيعة وعَناء وتَعَب بلا طائل.

وأقمنا به يوم الاثنين، وماؤه طيّب، ومن اليَنْبُوع لا تَجد إلّا الماء الطيّب، ويُقال كلّه من العَيْن الزَّرْقَاء، ولم نُعاين صِحّته ولا غيرها، إذ لم نُطِل حتى نَعرف الجبال والوِهاد.

---

568 – حدثت في جمادى الأولى من السّنة الثّانية للهجرة، انظر تفاصيلها في: ابن هشام، ن. م.، ج 2، ص 598 وبه مسجد العشيرة الذي أشار له الرحالة، راجع مثلاً: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 161.

569 – يسميه العياشي، ن. م.، ج 1، ص 284، والناصري، ن. م.، ص 346: «السقائف» ويبدو أن العياشي والناصري قد وقعًا في خطأ تداوله الناس ونبه عليه العياشي وهو الظن بأن المسلمين أوقدوا الشموع في هذا المكان عند غزوة بدر. والواقع أن مسافة نصف يوم تفصل دار الوقدة عن بدر. انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 167؛ ابن مليح، ن. م.، ص 72؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 365، ج 2، ص 138؛ الناصري، ن. م.، ص 350؛ الشرقي، ن. م.، ص 349، 459؛ العامري، ن. م.، ص 98؛ الحضيكي، ن. م.، ص 147؛ الزبادي، ن. م.، ص 117؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 352.

570 – ابن مليح، ن. م.، ص 72، 127؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 300؛ الناصري، ن. م.، ص 346؛ الشرقي، ن. م.، ص 348؛ العامري، ن. م.، ص 98؛ الزبادي، ن. م.، ص 76؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 374، 451.

571 – وترسم أيضاً كدى، قرية خارج مكّة على طريق المدينة. انظر: ابن مليح، ن. م.، ص 89؛ الشرقي، ن. م.، ص 371؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 445.

ورَحلنا بعد صلاة المغرب أول ليالي ذي الحجّة وآخر أيّام ذي القعدة[572]، ومَشينا ليلنا وقاسينا وَيْلَنا، ونَزلنا ضُحى بقَاعِ البَزْوَة[573]، ولا ماء فيها.

ورَحلنا عشيّة، ونَزلنا رَابِغ[574] عند الزّوال، وهي الميقات المُعتادة اليوم عند سائر النّاس، ومنها يَحْرِمون، أي جميع النّاس، وقليل من يَسأل عن الجُحْفَة[575]، وليست على مَمَرِّ الحاجّ، وتبقى ميسرة. ومن النّاس من يَتَهَيّأ هنا ويذهب إلى أن يُحاذيها ويُقابلها، ثمّ يركع ويَحْرم حينئذ. والحاصل أن العَمَل جَرَى برَابِغ، حتى لا تجد من يَعرف الجُحْفَة[576] ولا من يُخبرك عنها.

---

572 - يوم 1 ذي الحجة 1101 هـ/ 4 سبتمبر 1690 م.

573 - الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 181؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 306، ج 2، ص 139، 365، 384؛ الناصري، ن. م.، ص 460؛ الشرقي، ن. م.، ص 355-356؛ الحضيكي، ن. م.، ص 97، 147؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 76، 117؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 371، 451.

574 - الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 183؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 306، ج 2، ص 139، 364، 384؛ الناصري، ن. م.، ص 353، 460؛ الشرقي، ن. م.، ص 358؛ الحضيكي، ن. م.، ص 97، 147؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 76، 117؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 377، 451.

575 - تقع قرب ميناء رابغ على بعد 12 كم للمتوجه منها إلى جدّة. انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 183؛ ابن مليح، ن. م.، ص 73، 102؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 278، 364؛ الناصري، ن. م.، ص 354؛ الشرقي، ن. م.، ص 358؛ الحضيكي، ن. م.، ص 98؛ الزبادي، ن. م.، ص 76؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 358. وانظر: عبد المالك (سامي صالح)، ن. م.، ص 29.

576 - في أ: الجحيفة، وما أثبتناه فهو من ب.

القسم الثالث

الحجّ والزيارة

كيفيّة الإحرام

والإحرام أن تبتدئ[577] أولا بتَنْقِيَة جَسدك، كحَلْقِ العانة ونَتف الإبط وقَصّ الشّارب والأظفار مثلاً، وتنوي الاستحباب في ذلك كُلّه، فإذا قَرُبَ رحيلكَ فاغتسل للإحرام كغُسلك من الجنابة ودَلِّك جَسدك من الوَسخ حتى تُنظّفه، ثمّ تَتَوضّأ وضوء الصّلاة. مّ البس إزارا ورِداءً أبيضيْن ونَعليْن، فإن لم تجدهما فاشتمل بكِساء أو بُردة ولا يَضُرُّه ما فيهما من الخياطة. وقد سأل[578] النّاس كثيراً سيدي الوالد عن ذلك، فذَكَرَ لهم أن لا بأس به للمُضطرّ. والإزار والرِّدَاء تَشتريهما [87 و] من مِصْر وتَصحبهما معك، وهم يُسمّونها[579] المَحارِم. ثمّ تُصلّي ركعتين، تَقرأ في الأولى الفَاتِحَة والكَافِرُون، وفي الثّانية الفَاتِحَة و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[580].

ثمّ إن كانت لكَ دابّة فاركبها، ثمّ إذا استَويتَ عليها فانْوِ الإحرام فالحجّ تقول: نَويتُ الإحرام بالحجّ وأَحرمتُ به فَرْضًا، إن كنتَ صَرُورَة، والصَرُورَة - بالصّاد المهملة - هو الذي لم يَحُجّ قبل. ثمّ تُلَبّي بعد أن تَنوي الإحرام، وهو أن تقول: لَبَّيْك اللّهمّ لَبَّيْك، لَبَّيْك ولا شريك لك لَبَّيْك، إن الحَمْد والنِعمة لَكَ والمُلك، لا شَريك لك. وإن لم تكن لكَ دابّة، فإذا شَرَعْتَ في

577 - في ب: تتروا.

578 - في ب: سألوا.

579 - في أ وب: يسمونهم، وقد أُصلحت في أ.

580 - سورة الإخلاص، الآية 1.

المشي ذاهبا إلى مَكَّة فانْوِ الإحرام ولَبِّ، ثمّ لا يجوز لك أن تَلبس المَخيط ولا البَرانيس ولا السَّراويل ولا العِمامة ولا القَلَنْسُوَة، إلّا أن تَخاف من كَشف الرأس النَّزْلَةَ مثلا أو يَنسلخ من الحرّ أو نحو ذلك، فاستُره وافْتَدِ.

ولا تَصطادَ صَيْد البرّ، ولا تتعرّض له ولا تقتل قَمْلا ولا تُلْقِهِ عنك، وهذه مِحنة عظيمة، ولا تَحلق شعرا ولا تُزِلْ[581] وسخا ولا تُطيّب بطِيب ولا تَقْرَب النساء إن كنّ عندك بوَطء ولا قُبلة ولا مُباشرة. ولا تلبس خُفّاً ولا قُفّازًا، ولا يَشُدّ نَفَقَته في وسطه على جِلده، ولهُ حَمْلُ زادِه على رأسه أو مِزوَدِه على ظَهْرِه وحَبْلها على صَدْرِه إن ألجأتهُ الضّرورة إلى ذلك، ولهُ أن يَستظلّ بالخِباء والخَيْمَة والقَيْطُون[582] والشّجر والبِناء ولا يَستظلّ بالشُّقْدُف[583] [87 ظ] والمَحَارَة[584] وهو راكب، وله أن يَستظلّ بجانب المَحمل وهو نازل. وللمرأة لبس الثّياب المَخيطة والخُفَّيْن وكَشف كَفَّيْها ووجهها إلّا أن يُخشى منها الفِتنة، فتَسْدِل ثوبا على وجهها بلا رَبْط ولا غَرْز.

ولا يَدع التلبية ويُلبّي بعد كلّ صلاة فَريضة أو نافلة، وعند صعود كلّ شرف من الأرض أو سَماع مُلبّ، ويرفعُ بها صوته رَفْعًا متوسّطًا، ولا تَرفع المرأة صوتها بالتلبية بل تُسمّع نفسها فقط، والله هو المُوفّق والمُعين.

---

581 – في أ وب: تزيل.

582 – أي الخيمة بلسان أهل المغرب. راجع: دوزي (رينهارت)، **ن. م.**، ج 8، ص 330.

583 – مَرْكَبٌ معروف بالحجاز، يَرْكَبُه الحُجَّاج إلى بيت الله الحرام. انظر: الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وآخرين، الكويت، 1965–2001؛ ج 23، ص 525. وفي دوزي (رينهارت)، **ن. م.**، ج 6، ص 333: الشقذف نوع من فراش الدواب.

584 – شبه الهودج. انظر: الزبيدي، **ن. م.**، ج 11، ص 106.

* الوصول إلى قديد وقصة أم معبد *

ورَحلنا من رَابِغ يومئذ عشيّة النّهار، وأصبحنا بقُدَيْد[585] موضع أُمّ مَعْبَد عَاتِكَة بنت خَالِد الخُزَاعِيَّة[586]، وهي التي مرّ عليها رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - لمّا هاجر من مَكَّة مع الصِدِّيق أَبِي بَكْر - رضي الله عنه - فطلبوا منها لبنا أو لحما يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا، فنظر رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - إلى شاة في كِسْرِ الخيمة، خَلَّفَها الجَهْدُ عن الغَنَم، فسألها رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم -: هل لها من لَبَن، فقالت: هي أجهد من ذلك، فقال: أتأذنين لي أن أَحْلِبها قالت: نَعَم بأبي أنت وأمّي، إن رأيتَ بها حَلْبا فاحلِبها، فدَعا بالشّاة فاعتقلها ومَسَح ضَرْعَها فَسَحَتَ، وسَمّى الله تعالى، فدَرَّت الشّاة، ودعا بإناءٍ يُشبع الجماعة، فحلب فسَقى القوم حتى رَوُوا، ثمّ شرب [88 و] آخرهم ثمّ حَلَبَ مرّة أخرى.

وبقيّة قِصّة أمّ مَعْبَد مُستوفية في المَواهِب اللَّدُنيّة[587] وغيرها، فمن أراد الاطّلاع عليها فليُراجعها. انتهى.

وماؤه قليل لا مُعّول عليه.

---

585 - ياقوت، ن. م.، ج 4، ص 313؛ الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 191؛ ابن مليح، ن. م.، ص 90؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 306، 364، ج 2، ص 139؛ الناصري، ن. م.، ص 356، 459؛ الشرقي، ن. م.، ص 361، 459؛ الحضيكي، ن. م.، ص 98، 147؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 78، 117؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 380، 451.

586 - انظر عنها: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1985، ج 1، ص 230.

587 - أي كتاب **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، لشهاب الدين القسطلاني، ت 923 هـ/ 1517 م. راجع تحقيق صالح أحمد الشامي، بيروت، المكتب الإسلامي، 2004، ج 1، ص 299.

الرحيل من قديد والإشراف على مكّة

ورَحلنا عَشيّة النّهار أيضاً، وبَلغنا خُلَيْص[588] نِصف اللّيل، ونَزلنا، وماؤه كثير طَيّب. وقُرى الحِجَاز كلّها أَخْصَاص وبُنْيَان قليل.

ورَحلنا عشيّة النّهار على العادة، ومَرَرنا بعُسْفَان[589] ليلاً، وفيه البئر التي تَفَلَ فيها - صلّى الله عليه وسلّم -، فعادَ ماؤها عَذبا فُراتا بعد أن كان مِلحًا أُجاجًا، ولم ننزل به.

وسِرنا إلى أن حَمِيَ الوَطِيس غدًا، ونَزلنا في صحراء على غير ماء.

ورَحلنا في الوقت المُعتاد، ومَررنا بوادي فَاطِمَة[590] عِشاءً، وهو مَرّ الظَّهْرَان[591] وشَربنا من ماءه، ووجدنا به كثرة الدُلاّع واشترى النّاس، ولم نَنْزِل إلى ذِي طَوَى[592] بعد هذه من ليلة الأحد السّادس من ذي الحجّة[593].

588 - ياقوت، ن. م.، ج 2، ص 387؛ الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 192؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 308، 364، ج 2، ص 139، 384؛ الناصري، ن. م.، ص 357، 459؛ الشرقي، ن. م.، ص 363، 459؛ الزبادي، ن. م.، ص 79، 117؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 380، 449.

589 - ياقوت، ن. م.، ج 4، ص 121؛ الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 194؛ ابن مليح، ن. م.، ص 76، 90؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 308، 364، ج 2، ص 139؛ الناصري، ن. م.، ص 357، 459؛ الشرقي، ن. م.، ص 365، 459؛ الحضيكي، ن. م.، ص 98، 147؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 79، 117؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 381، 449.

590 - يُدعى أيضاً وادي الشريف. انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 196؛ ابن مليح، ن. م.، ص 76، 90؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 308؛ الناصري، ن. م.، ص 358، 459؛ الشرقي، ن. م.، ص 368؛ الحضيكي، ن. م.، ص 98، 147؛ العامري، ن. م.، ص 97؛ الزبادي، ن. م.، ص 79؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 382، 449.

591 - ياقوت، ن. م.، ج 4، ص 63؛ الجزيري، ن. م.، ج 2، ص195؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 308، 2، ص 139، 384؛ الناصري، ن. م.، ص 358، 459؛ الشرقي، ن. م.، ص 368؛ الحضيكي، ن. م.، ص 98، 147؛ الزبادي، ن. م.، ص 79؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 361.

592 - الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 196؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 313؛ الناصري، ن. م.، ص 363؛ الشرقي، ن. م.، ص 371؛ الحضيكي، ن. م.، ص 99؛ الزبادي، ن. م.، ص 81؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 384.

593 - يوم 9 سبتمبر 1690 م.

وصلّينا بها الصُّبح واغتسل من اغتسل، ودَفَعْنا وأشرفنا عند الإشراق على المَقصودة بالخَطَوات، من خَصّها الله تعالى بالعِزّ والشّرف والخيرات، مَكّة زادها الله تعالى شَرفًا وتَعظيمًا وتَمجيدًا وتَفخيمًا.

* الدخول إلى مكّـة *

ونزلنا عليها من كَدَا الثَّنِيَّة[594] التي بأعلى مَكَّة، ويُسمّى بَاب المُعَلَّى[595]، فلمّا بَلغنا المقابر تَركنا مَكَّة يَمينا وطَلعنا مع الوادي قليلا، ونزلنا عند أَخْصاص هنالك. وهذا [88 ظ] الموضع ينزل فيه كلّ من لم يُهَيّأ منزلا[596] ومسكنًا من المَغاربة وغيرهم.

ونزلنا وبَنَيْنَا الخيام، واطمأنت النّفس إذ شاهدتُ بَيْت الله الحَرَام وبلغتُ المرام والحمد لله على التّمام.

واعلم أنّكَ إذا قاربتَ مَكَّة فيُستحبُّ لك أن تغتسل وتتوضّأ للصلاة والطّواف، ويُستحبّ لك أيضاً أن تدخل مكّة من كَدَا الثَّنِيَّة التي بأعلى مَكَّة، فإذا دخلتَ مَكَّة فادخل المَسْجِد الحَرَام من بَابِ بني شَيْبَة[597]، وهو بَاب السَّلَام (عند العامّة)[598]، وقَدِّم رِجلك اليُمنى وقُل: بسم الله، اللّهمّ صلّ على سيّدنا مُحمّد وآله، اللّهمّ اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك.

---

594 – ياقوت، ن. م.، ج 4، ص 439؛ الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 249: ابن مليح، ن. م.، ص 76؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 314؛ الناصري، ن. م.، ص 363؛ الزبادي، ن. م.، ص 81؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 384.

595 – الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 196؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 314؛ الناصري، ن. م.، ص 363؛ الزبادي، ن. م.، ص 82؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 384.

596 – سقطت في أ.

597 – حول التطابق بين بابي بني شيبة وباب السلام، انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 249؛ ابن مليح، ن. م.، ص 79، 101؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 316؛ الناصري، ن. م.، ص 364؛ الشرقي، ن. م.، ص 375، 378، 402؛ الحضيكي، ن. م.، ص 99، 129؛ الزبادي، ن. م.، ص 82–83؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 285، 384.

598 – ما بين قوسين ساقط في أ.

كيفيّة طواف القدوم

فإذا وصلتَ إلى الكَعْبَة، البَيْت الحَرَام، فَقَبِّلْ الحَجَر الأَسْوَد[599]، وهو الذي في الرُّكْن الغَرْبِي[600] من بَاب الكَعْبَة المُشرّفة وبينهما المُلْتَزِم[601] نحو عَشرة أشبار، واقطع حينئذ التلبية وانْوِ طواف القُدوم، وهو واجب، وقيل سنّة مُؤكّدة، واجعل البَيْت عن يسارك وطُف سبعة أَشْواط، ثلاثة أطواف خَبَبًا فوق المَشي ودون الجَري، ثمّ أربعة مَشْياً، يبدأ بالحَجَرِ الأَسْعَد[602] ويختم به في كلّ شَوْط. ولا يطوف من داخل الحِجْر[603]، ويدعو في طوافه بما تيسّر له، ويقول بين الرّكنين اليَمانِيَيْن: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[604]. ويُقَبِّل الحَجَر في كلّ شَوْط إن قدر برِفق، ولا يُؤذي أحدا، ويُكَبِّر كُلّما قَبّلَهُ، وإن لم يَقدر فَلْيُحَاذِهِ ويضع يده [89 و] اليُمنى عليه ثمّ يضعها على فِيهِ، ويُكَبِّر أيضاً إذا اِسْتَلَم الرُّكْن اليَماني[605] بيده ولا يُقَبِّلُهُ.

وهنا نُكتة تَنَبَّهْ لها وهي: أنّكَ تبتدئ في الشَّوْط الأوّل قَبْلَ تَقبيل الحَجَر الأَسْعَد، فإذا كَمّلت الشَّوْط الأوّل مثلا وأردتَ تقبيل الحَجر فإنّكَ تجدُ عليه

599 – حول الحجر الأسود، راجع مثلاً: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 250؛ الحضيكي، ن. م.، ص 99، 111.

600 – سمّي كذلك لمواجهته للمغرب، ويُسمى أيضاً الركن الشامي.

601 – موضع من الكعبة يقع بين بابها والحجر الأسود، ويُعرف باستجابة الدعاء. انظر: ياقوت، ن. م.، ج 5، ص 190؛ الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 252؛ ابن مليح، ن. م.، ص 53؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 316؛ الناصري، ن. م.، ص 365؛ الشرقي، ن. م.، ص 379؛ الحضيكي، ن. م.، ص 105؛ الربادي، ن. م.، ص 112؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 387.

602 – وهو الاسم الذي يطلقه الحجّاج على الحجر الأسود، راجع: الشرقي، ن. م.، ص 389؛ الحضيكي، ن. م.، ص 124، 126؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 359.

603 – ياقوت، ن. م.، ج 2، ص 221: «وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم، عليه السلام، وحجرت على الموضع ليعلم أنه من الكعبة، فسمّي حجرا لذلك». وانظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 251؛ الحضيكي، ن. م.، ص 108، 123، 140.

604 – سورة البقرة، الآية 201.

605 – هو الركن المواجه لليمن أو للجنوب، لذلك يُسمى أيضاً الركن الجنوبي. انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 250؛ ابن مليح، ن. م.، ص 73؛ الحضيكي، ن. م.، ص 110، 115، 118.

زَحمة قويّة، فلا تُقبّله حتى ترمي أمامك، فإن ذهبت كما أنت فالشَّوْط ناقص غير تام، وإنما الرأي تُقبّله وتَرجع القَهْقَرَى[606] حتى تتركه بمقدار ذِراع وهو أمامك، فحينئذ تبتدئ الشَّوْط الآخر فيتمّ الأمر، ومن لم يتحفّظ أيضاً عند كيفيّة الاِسْتِلَام[607] فإن أكثر النّاس لا يَتمكّن له الاِسْتِلَام حتى يَستند إلى حائط البَيْت ليُزاحم ويُجاوز برأسه وكتِفيه الشَّاذَرْوَان[608]، فيكون قد دخل ببعضه في البَيْت، وكثير من النّاس قليل التحفّظ، ومن لم يَستند أيضاً لا يُقَبِّل الحَجَر إلّا بعُسر، إلّا إذا استَلَمه من بعيد أو خَلا الموضع، ومن يطمح أن يجده خال فهو خال[609]، ولكن مع هذا الزِّحام كلّه واجتماع الخَلق إليه من كلّ فَجّ عميق فلكلّ نصيب، فمن رأى تَخالُط الخَلق عليه وازدحامهم يَيْأس من البلوغ، ثمّ لا يشعر حتى يُقبّله ويصدر مَجبور الخاطر، ولله الحمد والمنّة.

* الشاذروان وباب الكعبة *

[89 ظ] والشَّاذَرْوَان أساس مُدوّر بالبَيْت الشَّرِيفَة، وفيه ثلاث وأربعون حَلَقَة، فتجد العامّة عند طوافهم يُدخلون أيديهم فيها ويعتقدون فِعل ذلك من الواجبات.

وعند باب الكَعْبَة أيضاً حِلَقٌ، وتراهم يَتَعَلَّقون بها ويُسمّونها العُرْوَة الوُثْقَى، ولكلّ إمرئ ما نَوَى. وباب الكَعْبَة مَرْفُوع عن الأرض مِقدار ما يبلغ الإنسان بيَده، وميزاب الرّحمة مُرَكّب في أعلى وَسَط الحِجْر، وهو مِن ذَهَب.

606 ـ القَهْقَرَى أي الرُّجوعُ إلى خَلف. انظر: ابن منظور، **ن. م.**، ج 5، ص 121.

607 ـ استلام الحجر الأسود أي لمسه أو تقبيله.

608 ـ هو الوزرة المحيطة بأسفل جدار الكعبة ومثبت فيه حلقات يربط فيها ثوب الكعبة. راجع: الأزرقي، **أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار**، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكّة المكرمة، 2003، ج 2، ص 34، 85؛ الجزيري، **ن. م.**، ج 2، ص 251:

609 ـ رجل خالٌ: مُتَكَبِّرٌ ذُو خُيَلاءَ، مُعْجِبٌ بِنَفسِهِ. انظر: الزبيدي، **ن. م.**، ج 28، ص 454.

الصفـا والمـروة

فإذا كَمَّلْتَ سَبعة أَشْواط فاعمد إلى مَقام سيّدنا إبراهيم[610] إذا قَدِرت، وإلاّ فحيث تَيسّر لَكَ الأمر، وارْكَعْ ركعتين ثمّ آتِ إلى الحَجَر الأَسْعَد فقبّله، ثمّ انهض إلى الصَّفَا[611] من بَاب الصَّفَا[612] واصعد فوقه واستقبل القِبلة وكبّر وهلّل واحمد الله تعالى، وصلِّ على سيّدنا ومولانا مُحمّد - صلّى الله عليه وسلّم - وادعُ بما تَيسّر لكَ وما أردتَ، وانو فَرْضِيَّة السّعي، واذهب إلى المَرْوَة[613] وخَبّ في بَطن المسيل[614] بين الأَخْضَرَيْن[615]، فإذا وَصلتَ إلى المَرْوَة فقد كَمَّلتَ شَوْطا، واصعد فوقها واستقبل القِبلة كما ذكرنا في الصَّفَا. ثمّ كذلك حتى تُكَمّل لك سبعة أَشْواط، تبدأ بالصَّفَا وتَختِم بالمَرْوَة، فإذا فَرَغت من السّعي فعُد إلى التلبية مرّة بعد مرّة، وبعد كلّ صلاة، وليس عليك كثرة الإلحاح بذلك.

وأكثر في مَقامك بمَكَّة من الطّواف، وحافظ على الصّلوات في أوقاتها مع الجماعة في الحَرَم، والله المُوفّق.

---

610 - ابن مليح، ن. م.، ص 73؛ الناصري، ن. م.، ص 365؛ الشرقي، ن. م.، ص 389؛ الزبادي، ن. م.، ص 112؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 576.

611 - الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 252؛ ابن مليح، ن. م.، ص 73؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 316؛ الناصري، ن. م.، ص 366؛ الشرقي، ن. م.، ص 316؛ الحضيكي، ن. م.، ص 131؛ الزبادي، ن. م.، ص 85؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 359.

612 - الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 252؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 316؛ الناصري، ن. م.، ص 366؛ الشرقي، ن. م.، ص 380؛ الحضيكي، ن. م.، ص 100؛ الزبادي، ن. م.، ص 84؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 387.

613 - الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 252؛ ابن مليح، ن. م.، ص 73؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 316؛ الناصري، ن. م.، ص 366؛ الشرقي، ن. م.، ص 380؛ الحضيكي، ن. م.، ص 131؛ الزبادي، ن. م.، ص 84؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 388.

614 - موضع سعي بين الصفا والمروة. وَهُوَ الشِّعْبُ الَّذِي عَلَى يَمِينِ الْمُقْبِلِ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى مِنًى، انظر: الأزرقي، ن. م.، ج 2، ص 936؛ الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 253.

615 - الميلان الأخضران: موضع الهرولة للرجال عند السعي بين الصفا والمروة. انظر: ابن مليح، ن. م.، ص 80؛ الناصري، ن. م.، ص 366؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 387.

من طواف القدوم إلى عرفة

ثمّ أقمنا بها يوم نزولنا، ولم يَتمكّن لنا طواف القُدوم إلى أن صَلّينا المغرب لكثرة الحرّ وتَعَب الطّريق، فلمّا أن صلّينا المغرب، ذهبنا وطُفْنا وسَعينا، والحمد لله[616].

[90 و] وأصبحنا مُقيمين يوم الاثنين، وهو يوم الزِّينَة. ويوم الثّلاثاء، وهو يوم التَّرْوِيَة، رَحلنا ضُحى، ونزلنا بمِنَى[617] قبل الزّوال بكثير ولا بعد هنالك، وصلّينا بها الصّلوات الخمس، وقَصّر ما يُقَصّر.

واعلم أنّه لا ماء حُلو بها فاحمله معك من منزلكَ بمَكّة أو تبعث إليه بعد بلوغكَ يأتيكَ من المَشْعَرِ الحَرَام[618].

ثمّ لمّا أن أشرفنا جبل ثَبِير[619]، وهو جبل مُشرف على مِنَى إلى يسارك وأنت قاصد عَرَفَة[620]، دَفَعْنا ونزلنا ببَطْنِ عُرَنَة[621] بإزاء مَسْجِد نَمِرَة[622]،

---

616 – في هذا الموضع يبدأ السقوط في نص النسخة ب.

617 – الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 252؛ ابن مليح، ن. م.، ص 73؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 315؛ الناصري، ن. م.، ص 369؛ الشرقي، ن. م.، ص 383؛ الحضيكي، ن. م.، ص 101؛ الزبادي، ن. م.، ص 86؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 359.

618 – وهو مزدلفة، انظر: ياقوت، ن. م.، ج 5، ص 133؛ الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 258؛ ابن مليح، ن. م.، ص 73؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 318؛ الشرقي، ن. م.، ص 387؛ الزبادي، ن. م.، ص 91؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 414.

619 – عرّف به المؤلف. انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 263:

620 – الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 255؛ ابن مليح، ن. م.، ص 73؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 318؛ الناصري، ن. م.، ص 371؛ الشرقي، ن. م.، ص 383؛ الحضيكي، ن. م.، ص 101؛ الزبادي، ن. م.، ص 85؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 225.

621 – ياقوت، ن. م.، ج 4، ص 111؛ الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 255: الحضيكي، ن. م.، ص 132.

622 – ياقوت، ن. م.، ج 5، ص 304؛ الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 254؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 318؛ الناصري، ن. م.، ص 371؛ الحضيكي، ن. م.، ص 101، 132؛ الزبادي، ن. م.، ص 86؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 389.

والإمام عَلِيّ - كرّم الله وجهه - هو الذي بناه، ولا بعد أيضاً ولا ماء فيه، إلّا أنّه قريب منه.

ومكثنا فيه إلى أن زالت الشّمس، واغتسل النّاس وصلّينا الظُّهر والعصر قَصْرا وجَمعا، ولا تَقطع التلبية حتى تُصلّي وتَروح لعَرَفَة.

مسألة: من انْبَهَمَ عليه أمر الإمام في القَصْر والاتمام فليُحرم بما أَحرم به الإمام، ثمّ إن قام من اثنتين في صلاة الظُّهر، تَبعه وأتمّ معه أربعا ولا إعادة عليه، ويُصلّي معه العصر، والله أعلم.

ثمّ دَفَعْنا إلى مَوقِف عَرَفَة، وذلك يوم الأربعاء، فوقفنا إلى غروب الشّمس. وإيّاكَ أيضاً أن تَغفل عن نيّة فَرْضِيَّة الوقوف بعد جزء من اللّيل، وهو الوقوف الرُكني، فحينئذ اِثْنِ القَدَم[623]، والحمد لله لمن له الفضل والكرم، لا أحصي ثَناء عليه.

[من الطويل]

إِذَا كَـانَ شُـكْـرِي نِـعْـمَـةَ اللَّهِ نِعْمَةً
عَـلَـيَّ لَـهُ فِـي مِثْلِهَا يَـجِـبُ الشُّكْرُ
فَـكَـيْـفَ بُـلُـوغُ الـشُّـكْـرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ
وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّـامُ وَاتَّـصَـلَ الْعُمْرُ[624]

* من عرفة إلى رمي الجمرات *

وإذا خَرجتَ من مَوقف عَرَفَات فلا تخرج من بين العَلَمَيْن [625] [90 ظ]، لأن الخروج من بينها ليس بفَرْض ولا سُنَّة ولا مُستحبّ، بل تَجعلهما عن يمينك أو يسارك، لأن بعض العامّة يَعتقدون أنّ من لم يخرج من بينهما فلا

623 - في أ: اثني القدم، وهي عبارة عاميّة بمعنى جاهدْ وثابرْ.

624 - البيتان لمحمود الوراق. راجع: الوراق، ن. م.، ص 121.

625 - هما حد الحرم من جهة مكّة.

حجّ له، وهو اعتقاد فاسد. ولا تَصعد عن الجبل الذي عليه القُبّة في عَرَفَة[626]، ولتُكثِر من قول: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له المُلك وله الحَمد وهو على كلّ شيء قدير، مُتطهّرًا مُستقبلًا مُكبّرًا مُهَلِّلاً مُستغفرًا مُسبّحًا مُصلّيا على سيّدنا ومولانا مُحمّد - صلّى الله عليه وسلّم -. وأدعُ بما شئت من أَمر الدّنيا والآخرة،

فإذا نَزَلتَ بالمُزْدَلِفَة[627]، صَلِّ بها المغرب والعِشاء جَمعا وقَصِّر الأخيرة، ولم نَبلغها نحن إلى أن فات العِشاء. ويُستحبّ إحياء هذه اللّيلة بالذِكر والتَسبيح وغيرهما، فإذا طلع الفجر واتّضح، صَلِّ الصُّبح بالمَشْعَرِ الحَرَام إن تَمَكّن لك. واجعل البُنيان الذي هنالك عن يسارك وأنت مُستقبل، وأدعُ أيضاً بما شئت، وهلّل وكبّر وصلّ على سيّدنا مُحمّد - صلّى الله عليه وعلى آله -، فإذا قَرُبَ طلوع الشّمس، فِادْفَع إلى مِنَى.

والْتَقِطْ في ذهابك سبع حَصَيَات، أكبر من الفول، وهَرْوِل في بَطن وادي مُحَسِّر[628]، وهو قدر رمية بحَجَر، وذلك مًستحبّ، وهو وادي النَّار[629]، فإذا بلغتَ مِنَى فاذهب كما أنتَ [91 و] حتى تَرمي جَمْرَة العَقَبَة[630]، وهي المُوالية مَكَّة بسبع حَصَيَات المُلتقَطة قبل، ثمّ اذبح حينئذ هَدْيَك إن كان لك هَدْيٌ قد أوقفته معك أو اشتريته بعد، والوقوف به أحسن وأولى.

---

626 - أي جبل الرحمة، والقبة منسوبة إلى آدم أبو البشر. راجع: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 319؛ الناصري، ن. م.، ص 372.

627 - ياقوت، ن. م.، ج 5، ص 120؛ الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 257؛ ابن مليح، ن. م.، ص 73؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 319؛ الناصري، ن. م.، ص 372؛ الشرقي، ن. م.، ص 387؛ الحضيكي، ن. م.، ص 101؛ الزبادي، ن. م.، ص 87؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 388.

628 - وادي بين مزدلفة ومنى. انظر: ياقوت، ن. م.، ج 5، ص 62؛ الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 258؛ ابن مليح، ن. م.، ص 73؛ العياشي، ن. م.، ج 2، ص 178، 346؛ الناصري، ن. م.، ص 376؛ الشرقي، ن. م.، ص 388؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 395، 415.

629 - العياشي، ن. م.، ج 1، ص 320؛ الناصري، ن. م.، ص 376؛ الشرقي، ن. م.، ص 388؛ الحضيكي، ن. م.، ص 103؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 395.

630 - هي أقرب الجمار إلى مكّة. انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 259؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 320؛ الناصري، ن. م.، ص 376؛ الشرقي، ن. م.، ص 388؛ الحضيكي، ن. م.، ص 104، 135؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 396.

ثمّ اِحلق رأسك والبس ثيابك، ثمّ اذهب قاصدا مَكَّة، فطُف طَواف الإفاضة وأنت على وضوء، ثم اركع ركعتين عند المَقَام ولا سَعي، ثمّ تَرجع إلى مِنَى فتُقيم بها ثلاثة أيّام بلياليها إن تَيسّر لك ذلك، وإن شئت تعجّلتَ في يومين من أيّام مِنَى.

ثمّ ترمي في كلّ يوم بعد الزّوال بقليل إحدى وعشرين حَصاة، سبعًا في الجَمْرَة الأولى[631]، وهي التي تحت مَسْجِد مِنَى على يسارك وأنت قاصدها، وسبعا في الجَمْرَة الوسطى[632] وهي على يمينك، وسبعا في الثّالثة وهي جَمْرَة العَقَبَة على يمينك أيضاً. واعلم أنه قد جَرَى العمل اليوم بالتّعجيل، ومن أراد أن يزيد المبيت مُخالفا للنّاس فإنه يَخاف على نفسه وماله.

وقد كنّا أردنا بلوغ مَكَّة فلم يَتَمَكَّن الأمر ولم يُوفّق أحد على ذلك.

مسألة: من تعجّل سَقَطت عنه جَمْرَات اليوم الأخير.

الإقامة في مكّة

ثمّ دَخلنا مَكَّة، ونَزلنا بها بدار قريبة من المَسْجِد الحَرَام، وكراء الدّيار في هذه الأيّام غال كثير، وقد اكترينا نحن بثمانية أَحْمَر[633] مع مُراعاة حَقّنا، ومن لم يَقْدِر على الكراء فيَذهب ويَبني خَيمتهُ [91 ظ] بباب الشُّبَيْكَة[634]، وهكذا يَفعل كلّ من عَجِزَ، إلّا أن السّرقة هنالك تَغلب على التحفّظ، إلّا من ستره الله.

---

631 – الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 261؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 325؛ الناصري، ن. م.، ص 382.

632 – إلى هنا ينتهي السقوط في ب. وحول الجمرة الوسطى، انظر: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 262؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 325؛ الناصري، ن. م.، ص 382.

633 – نعت للدنانير الذهبية. راجع دوزي (رينهارت)، ن. م.، ج 3، ص 315.

634 – الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 196؛ الشرقي، ن. م.، ص 458؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 455.

وأقمنا بها في عيش رغد ونِعمة شاملة ووجدنا بها عِنَبا وسَفَرْجَلا ورُمَّانًا يأتون به من الطَّائِف[635] من وادي العَبَّاس[636]، ليس لذلك نَظير في الدّنيا أصلا بلا ارتياب، (إلّا أنه)[637] لا يُشبعه إلّا من كثر رِيالُه وقَوِيَ نَوَالُه.

وتَنَعَّم في شُرب ماء زَمْزَمْ[638]. واعلم أن ماءه يتركك خاوي الرُّكبتين والضُّلْع، بادي الأنين والوجع، ضعيف الحَركات أصفر الوَجْنات، وذلك كلّه خير وشِفاء من كلّ ضَرّ، فعليك بأكل اللّحم الغَنَمي والسَّمْن، ولا بد في هذه البلدة الشّريفة، فلا ترى في ذلك إلّا الخير التّام.

* رواية حول ضرر الحجر الأسعد ونفعه *

وعليك بكثرة الطّواف فإنه أفضل العبادات في هذا المَقام الشّريف، ولا تَغفل عن تَسليم[639] الحَجَر الأَسْعَد في كلّ شَوْط، فإنه رُوِيَ عن الشَّعْبِيّ[640] عن أبِي سَعِيد الخُدْرِي[641] - رضي الله عنهما - قال: حَجَجْنا مع سيدنا عُمَر بن الخَطَّاب - رضي الله عنه - فلمّا أَخَذَ في الطّواف استقبل الحَجَر وقال: أعلمُ أنّكَ حَجَر لا تَضُرّ ولا تَنفع، ولو لا أنّي رأيتُ رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - يُقَبِّلُكَ ما قَبَّلْتُك، ومضى. فقال له مولانا عَلِيّ - كرم الله

---

635 - ياقوت، ن. م.، ج 4، ص 8؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 397؛ الناصري، ن. م.، ص 446؛ الشرقي، ن. م.، ص 497؛ الحضيكي، ن. م.، ص 102، 176؛ الزبادي، ن. م.، ص 91؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 399.

636 - ابن مليح، ن. م.، ص 129.

637 - مابين قوسين ساقط في ب.

638 - الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 252؛ ابن مليح، ن. م.، ص 80؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 416؛ الناصري، ن. م.، ص 365؛ الشرقي، ن. م.، ص 412؛ الحضيكي، ن. م.، ص 105؛ الزبادي، ن. م.، ص 144؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 497.

639 - كذا في أ وب والأصح: استلام.

640 - أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الحميري، ت حوالي 103 هـ/ 721 م، تابعي ومُحدّث. انظر: الزركلي (خير الدين)، ن. م.، ج 3، ص 251.

641 - أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخذري الأنصاري، ت 74 هـ/ 693 م. صحابي، روى أحاديث كثيرة. انظر: الزركلي (خير الدين)، ن. م.، ج 3، ص 87.

وجهه -: يا أمير المؤمنين، بل يَضُرّ ويَنفع، قال له: لِمَ، قال: بكتاب الله عزّ وجلّ، قال: وأين ذلك من كتاب الله [92 و] تعالى، قال: في قوله الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[642]. خَلَق الله آدم ومَسَح بيده على ظَهره أَخرَج ذُرّيته من ظَهره فعَرَّفهم بأنه الرّب وأنّهم العبيد، وأخذ عليهم مواثيقهم، وكتب ذلك في رِقٍّ، وكان لهذا الحَجَر عينان ولسان، فقال: افتح فاك، فأَلْقَمَهُ ذلك الرِّق[643]، وقال: اشهد لمن وافاك يوم القيامة، وهو يَضُّر ويَنفع. فقال سيّدنا عُمَر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لستَ فيهم يا أبا الحَسَن[644]، رضي الله عن جَميعهم.

* ميزاب الكعبة وأماكن الدعاء *

ومِيزَاب الكَعْبَة[645] الشّريفة الموجود الآن، صَنَعَهُ السُّلطان أَحْمَد بن مُحَمَّد بن السُّلْطَان مُرَاد[646] أحد ملوك آل عُثْمَان، وهو من فِضّة مُمَوَّهَة[647] بالذّهب، منصوب فوق الحِجْر، وذلك سنة اثنين وعشرين وألف[648]، وأخذ الميزاب العتيق، وهو الآن في خَزائنهم بالقُسْطَنْطِينِيَّة الكبيرة يَتبرّكون به.

---

642 – سورة الأعراف، الآية 172. وفي ب: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿بَلَىٰ﴾.

643 – في ب: ذلك الرثق الرق، والأرجح أن كلمة الرثق مضافة من الناسخ.

644 – أخرجه الحاكم في **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، 1990، ج 1 ص 628.

645 – الجزيري، **ن. م.**، ج 2، ص 254؛ ابن مليح، **ن. م.**، ص 82؛ الحضيكي، **ن. م.**، ص 116، 123، 131؛ الزبادي، **ن. م.**، ص 107.

646 – المعروف بالسلطان أحمد الأول (1012-1026 هـ/ 1603-1617 م).

647 – في أ: مموه، وما أثبتناه فهو من ب.

648 – سنة 1022 هـ/ 1613 م.

وعليك بكثرة الدُّعاء تحته (فإنه من المواضع المُستجاب فيها الدُّعاء)[649]، وكذلك المُلْتَزِم، وهو ما بين الباب والحَجَر الأسْعَد، والحَطِيم[650] وهو ما بين رُكن الحِجْر وزَمْزَمْ، وكذا أيضاً الدُّعاء عند بئر زَمْزَمْ، والمُدَّعَى[651] أيضاً، وهو خارج المَسْجِد معروف معلوم.

تعامل أهل مكّة مع الحجيج

واعلم أنّه ممّا يُؤذيك في طوافك أهل مَكّة، فإنّهم [92 ظ] لا يَتركون لكَ رأيا ولا عَقلا، وتَراهم يتسابقون إلى الحُجّاج ويُطَوِّفُونهم ويَطلبون منهم الفُلوس، ومن أراد أن يَطُوف بنفسه ويَستفرغ قلبه لذكر الله وعظمته ويَستحضر نيّته فلا يَتركونه أو يُنْغِصون عليه، وكنتُ أقاسي منهم العناء التّام حتى أنّي إذا تَعلّق بي أحد منهم أعطيتهُ ليُفارقني، وهيهات. والحاصل لا تَنجو منهم إلّا بعد انصرام الحَياء وقُبْح الرِّياء، فيا لها من بليّة فظيعة، تَجِدُ الرّجل لا يَقدر أن يَنظر إلى ما فوقه هَيْبة وحياء من تلك الأماكن الشّريفة، فلا يزالون به حتى يَنطق بغير اختيار ويُبدي النِفار والفِرار.

وبهذا وَصفوا أهل مَكَّة، فقد نَقَل الغزّي[652] نزيل مَكَّة المُشَرَّفَة في كتابه: قال الشّيخ مُظَفَّر الأَمْشَاطِي[653]: أهل مَكَّة عندهم أَنَفَة وكِبْر وحسد، والكذب

649 ـ ما بين قوسين ساقط في ب.

650 ـ ياقوت، ن. م.، ج 2، ص 273؛ الحضيكي، ن. م.، ص 105؛ الزبادي، ن. م.، ص 107؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 605.

651 ـ وهي تسمية أخرى للملتزم. انظر: ياقوت، ن. م.، ج 5، ص 190؛ الشرقي، ن. م.، ص 380.

652 ـ يظهر أن الكاتب يقصد الغزي نجم الدين أبو المكارم محمد بن محمد بن محمّد العامري الغزي، ت 1061 هـ/ 1650 م، صاحب **النجوم الزاهرة**. وقد عُرف الغزي بحجّاته العديدة وكثرة تآليفه، لكن لم نجد هذا النقل فيما نُشر له من كتب.

653 ـ محمود الامشاطي (812-902 هـ/ 1409-1496 م)، هو مظفر الدين محمود بن أحمد بن حسن العينتابي الاصل، القاهري، الحنفي، ويعرف أيضاً بابن الامشاطي. طبيب، فقيه، نحوي، ومشارك في بعض العلوم. من آثاره: المنجز في شرح الموجز لابن النفيس، تأسيس الصحة بشرح اللمحة، الإسفار في حكم الأسفار، راجع: الزركلي (خير الدين)، ن. م.، ج 7، ص 163.

فاش بينهم، والنَّميمة والخِداع والطَّمَع فيما في أيدي النّاس، والبُغض للغريب، إلّا أن يكون مع الغَريب شيء من الدّنيا فهم عَبيد له حتى يَسلبون ما مَعَه، ثمّ يَلْمُزُونه بالسّوء ويَسْلُقُونه بألسِنة حِدَاد، وقد أَنشد بعضهم فيهم قَوله:

[من الكامل]

لا تُنْكِرُونَ لِأَهْلِ مَكَّةَ قَسْوَةً
وَالبَيْتُ فِيهِمْ وَالحَطِيمُ وَزَمْزَمُ

آذُوا رَسُولِ اللهِ وَهُوَ نَبِيُّهُمْ
حَتَّى حَمَاهُ أَهْلُ طَيْبَةَ مِنْهُمُ[654]

ومع هذا كلّه فلهم حُرمة علينا، ويجب علينا حُبّهم وتَعظيمهم، إذ هُم في حَرَم الله تعالى وجِوار بيته، فالإعراض عن مَساوئهم أفضل والصّمت عن زَلاّتهم أكمل.

تعامل أهل المدينة مع الحجيج

وأما أهل المَدِينَة فمُخالفون [93 و] لهم في كَوْنهم يَغلب عليهم التَرّحم وحُبّ الغَريب ومُساواتهم والإحسان إليهم. وفي طبعهم الجود والكَرم، و﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[655]. ومع هذا كلّه فقد قيل: مَنْ عَرَف ما قَصَد، هان عليه ما وَجَد، فَاجْنِ الثّمار ولا عليك فيما وراء ذلك، والله تعالى يُبلّغ المقصد ويُصلح ما فَسد.

654 - بيتان متداولان في كتب التراث، ويظهر أن المؤلف قد نقلهما من المنوفي، ن. م.، ص 14.

655 - سورة الحشر، الآية 9.

العُمــرة

فلمّا كانت ليلة الأربعاء وهي اللّيلة السّادسة عشر من الشهر[656] ذهبنا[657] إلي العُمْرَة[658]، وهو موضع معلوم هنالك، وهو التَّنْعِيم[659] على طريق مَرّ الظَّهْرَان. وخَرجنا عِشاءً وبَلغناها واسترحنا حتى مَرّ نحو النّصف من اللّيل، واغتسلنا ثمّ أحرمنا وقَصدنا مَكَّة مُلبّين، فإذا دَخلتَ مَكَّة فاقطع التَّلْبِيَة.

وطُفنا ورَكعنا بالمَقَام، ثمّ سَعينا سَبْعاً بين الصَّفَا والمَرْوَة، وأَدْرَكْنا صلاة الصُّبح مع الجماعة بالمَسْجِد الحَرَام، ثمّ لمّا أن تَبيَّنَ الغَلَس، خَلعنا وقد حَلَلْنا من العُمرة والحمد لله تعالى كلّ مرّة، وهي سُنَّة مُؤكّدة في العُمرة[660].

زيارة معالم السلف بمكّة

وزُرنا أيضاً أمّ المؤمنين زوجة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –، مُوكّلتنا خَدِيجَة – رضي الله عنها –، وهي بباب المُعَلَّى. وإيّاك أن تَقتحم الدّخول داخل الرَّوْضَة[661] فإن ذلك سوء أدب، بل آتِ وراء الحائط واقرأ وزُر وتَوسّل إلى الله تعالى.

وزُرنا أيضاً أبو طَالِب المَكِّي[662] صاحب قُوت القُلُوب، ثمّ وَقفنا [93 ظ] بداره – صلّى الله عليه وسلّم –، وهنالك حَجَرٌ أمام دار سيدنا أبي بَكْر

656 – يوم 19 سبتمبر 1690 م.

657 – في ب: ذهبت.

658 – الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 196؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 312؛ الناصري، ن. م.، ص 362، 386؛ الشرقي، ن. م.، ص 370؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 584.

659 – ياقوت، ن. م.، ج 2، ص 49؛ الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 261؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 312؛ الناصري، ن. م.، ص 362، 386؛ الشرقي، ن. م.، ص 423–424؛ الحضيكي، ن. م.، ص 99؛ الزبادي، ن. م.، ص 80؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 384، 449.

660 – في أ: العمر.

661 – أي روضة خديجة أم المؤمنين بمقبرة المعلاة. وقد زارها الشرقي، ن. م.، ص 453.

662 – أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي، ت 386 هـ/ 996م. واعظ وزاهد وفقيه توفي ببغداد، أُعتبر كتابه قوت القلوب من أهم مراجع المتصوفة. راجع: الزركلي (خير

مُلْصَق بحائط، يُحكى أنه كَلَّم النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم -، وتَمَسّحنا به تبرّكا[663]، والله يُصلح النِيّة.

* طواف الـــوداع *

فكانت مدّة إقامتنا بمَكَّة خمسة عشر يوما. ثمّ طُفنا طواف الوداع صبيحة يوم الاثنين الحادي والعشرين من ذي الحجّة[664]، جَعلهُ الله لنا لا علينا حُجَّة، ولا جَعله آخر توديع ولا آخر تشييع[665]، وصَيَّرَنا من العابدين الحامدين، بجاه مولانا مُحَمَّد الشّفيع.

واعلم أنه لا هَدي على من تَرَكَهُ بخلاف طواف القُدوم، فعلى من تَرَكَهَ هديٌ، والله أعلم.

* من مكّة إلى المدينة *

ورحلنا ذلك اليوم، وبِتْنا بالعُمْرَة، ثمّ بَلغنا مَرّ الظَّهْرَان ضُحى، فاستقينا الماء وتعدّى[666] الرّكب، وأقمنا نحن هنالك إذ تعذّر لنا المسير مع الرّكب المغربي وبِتْنا مع المصري.

وغدًا رحلنا معه عند الظُّهر، وصَبّحنا عُسْفَان، ثمّ قُدَيْد، ثمّ رَابِغ، ثمّ قَاعِ البَزْوَة، ثمّ بَدْر، ثمّ الجُدَيِّدَة[667]، وبها يَتركُ النّاس أثقالهم، إذ يَرجعون

الدين)، ن. م.، ج 6، ص 274.

663 - أشار بعض الرحالة إلى هذا الحَجَر: الناصري، ن. م.، ص 391؛ الشرقي، ن. م.، ص 452؛ الزبادي، ن. م.، ص 97.

664 - يوم 24 سبتمبر 1690 م.

665 - في ب: ولا آخر توديع تشييع.

666 - في ب: تغدى.

667 - الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 272، 277؛ ابن مليح، ن. م.، ص 91؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 365، ج 2، ص 138، 385، 401؛ الناصري، ن. م.، ص 460، 604؛ الشرقي، ن. م.، ص 460، 507؛ الحضيكي، ن. م.، ص 148، 175؛ العامري، ن. م.، ص 98؛ الزبادي، ن. م.، ص 162؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 451.

عليها[668] بعد زيارتهم. ثمّ قُبُور الشُّهَدَاء[669]، ولا ماء هنالك. ثمّ بلغنا أَبْيَار سيدنا عَلِيّ[670] سحرًا، وبينها وبين المَدِينَة المُشرّفة سبعة مقدار أَدْرَاج[671] كما أخبرني به من هو ساكن هنالك.

* الدخول إلى المسجد النبوي *

وأصبحنا في طَيْبَة المُطَيَّبَة، على مُشرّفها أفضل الصّلاة وأزكى السّلام، ولله درّ أبي الطيّب المُتَنَبّي:

[94 و]

[من الطويل]

نَـزَلْـنَـا عَــنِ الأَكْـــوَارِ نَمْشِي كَـرامَـةً
لِمَنْ بَـــانَ عَنهُ أنْ نُـلِـمَّ بِـهِ رَكْـبَـا[672]

وذلك يوم الخميس أول شهر عاشوراء[673]. وذهبنا كما نحن إلى أن وقفنا أمامه، وسَلّمنا عليه – صلّى الله عليه وسلّم – وعلى ضَجِيعَيْهِ سيدنا أبي بَكْر

---

668 – كذا في أ و ب، والأصح: إليها.

669 – الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 272؛ ابن مليح، ن. م.، ص 91، 107، 127؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 374، الذي يذكر أن المكان كان يُدعى شرف الروحاء، ج 2، ص 385؛ الناصري، ن. م.، ص 461؛ الشرقي، ن. م.، ص 461؛ الحضيكي، ن. م.، ص 148، 175؛ الزبادي، ن. م.، ص 73؛ العامري، ن. م.، ص 98؛ الزبادي، ن. م.، ص 117؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 375، 451.

670 – الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 184؛ ابن مليح، ن. م.، ص 92، 127؛ الشرقي، ن. م.، ص 465؛ الحضيكي، ن. م.، ص 149.

671 – جمع درجة، وهي وحدة لقياس الزمن آنذاك تساوي ست دقائق. راجع: جلال (آمنة حسين محمّد علي)، **طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي (648 هـ-923 هـ)**، دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية –جامعة أم القرى، 1987، ص 26.

672 – البيت للمتنبي من قصيدة في مدح سيف الدولة بمناسبة بناء مرعش سنة 341 هـ/ 952م. راجع: المتنبي، ن. م.، ص 318.

673 – يوم 4 أكتوبر 1690 م.

وسيّدنا عُمَر - رضي الله عنهما -، فيا لها من نِعمة كاملة وراحة شاملة تَفَضّل بها المولى تعالى، وإِنْ لم نكُنْ[674] لها أهلاً:

[من الطويل]

إِلَـهِي لَـكَ الحَمْدُ الَّـذِي أَنْـتَ أَهْـلُـهُ
عـلَـى نِـعَـمٍ مَـا كُـنْـتُ قَـطُّ لَـهَـا أَهْـلاَ

إِذَا ازدَدْتُ تَقْصِيراً تَـزِدْنِـي تَفَضُّلاً
كَأَنِّيَ بِالتَّقْصِيرِ أَسْتَوجِبُ الفَضْلاَ[675]

زيارة معالم السلف بالمدينة

ثمّ نَزلنا بدار مُحاذية للمَسْجد النَبَوي[676]. وغدا صَلّينا الجُمعة بين قَبره ومِنبره - صلّى الله عليه وسلّم -. ثمّ خَرجنا للبَقِيع[677]، وزُرنا أمّهات المؤمنين وأولاده عليه السّلام، وسيّدنا العَبَّاس[678] والإمام مَالِك بن أَنَس[679] ونَافِع[680]، وجميع من هنالك من الصّحابة والتّابِعين، والحمد لله على ذلك كلّه.

674 - في أ: نكونوا، والكلمة مطموسة في ب.

675 - البيتان لمحمود الوراق، راجع: الوراق ن. م.، ص 164.

676 - حول وصف المسجد النبوي، انظر مثلاً: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 439؛ الحضيكي، ن. م.، ص 152، 154.

677 - مقبرة أهل المدينة. انظر: ياقوت، ن. م.، ج 1، ص 473؛ الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 309؛ ابن مليح، ن. م.، ص 94؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 376؛ الناصري، ن. م.، ص 469؛ الشرقي، ن. م.، ص 484؛ الحضيكي، ن. م.، ص 139؛ الزبادي، ن. م.، ص 131؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 460.

678 - أي العباس بن عبد المطلب، عمّ النبي.

679 - أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني، ت 179 هـ/ 795 م، أحد الأيمة الأربعة عند أهل السنة وصاحب الموطأ. انظر: الزركلي (خير الدين)، ن. م.، ج 5، ص 257.

680 - نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل، ت 99 هـ/ 717م. تابعي ومن كبار رواة الحديث. انظر: الزركلي (خير الدين)، ن. م.، ج 7، ص 352.

ومن بركاته عليه السّلام أن الحُجّاج، الغالب عليهم يُصلّون الجُمعة عِنده - صلّى الله عليه وسلّم - مع أن العادة لا يَزيدون في المقام بالمَدِينَة على ثلاثة أيّام.

* الأشرف قايتباي بالمدينة *

ويُحكى أنّ في زمن الأَشْرَف قَايتبَاي(681) أحد الملوك الجَرَاكِسَة، لمّا حَجّ بالرّكب بلغ المَدِينَة المُنوّرة يوم الاثنين، فأرادَ الرحيل يوم الخميس، فحَصَل مغايد(682) من عَرَبِ العنزة(683) بجَبَل مُفَرِّح(684) وضَرَرٌ بالحُجّاج، فخاف أمير الحاجّ(685) فنادى أن لا أحدًا من الحُجّاج يتحدّث بالمَسير قبل صلاة الجُمعة ولا يَتَأخّر بعدها، فلمّا قُضِيَت الصّلاة بالحَرَم حَصَل ازدحام في باب السَّلَام(686)، [94 ظ] فَقُتِل في تلك السّاعة بالزِّحام خَلْقٌ كثير، ما يَزيد على سبعين نَفرا، خارجا عن المكسورين ومَنْ هُو إلى الموت أقرب، وذلك سنة اثنين وسبعين وثمانمائة(687).

---

681 - أحد سلاطين المماليك الجراكسة (872-901 هـ/ 1468-1496 م). اشتهر بكثرة حروبه واهتمامه بالعلم والعلماء. انظر: الزركلي (خير الدين)، ن. م.، ج 5، ص 188.

682 - كذا في ب، وهي غير واضحة في أ، ولعل مُدوّن الرحلة قصد إغارة. وفي دوزي (رينهارت)، ن. م.، ج 7، ص 386: غودي بالحرب أي بوكر بالحرب.

683 - الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 154: عربان العنزة.

684 - في ب: مفرج، وهو تصحيف. ذكره الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 154، 276؛ ابن مليح، ن. م.، ص 91؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 371، ج 2، ص 385؛ الناصري، ن. م.، ص 464؛ الشرقي، ن. م.، ص 465؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 454، 455.

685 - في ب: الحجّاج.

686 - ابن مليح، ن. م.، ص 92؛ الناصري، ن. م.، ص 467؛ الشرقي، ن. م.، ص 495؛ الزبادي، ن. م.، ص 122؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 457.

687 - كذا في الأصل، وهو خطأ إذ أن زيارة الأشرف قايتباي للمسجد النبوي كانت سنة 884 هـ/ 1480م. راجع: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 368؛ الجاسر (حمد)، «المجموع الظريف في حجة المقام الشريف رحلة الملك الأشرف قايتباي إلى الحجاز»، في **العرب**، السنة 10، ج 9، الرياض، 1976، ص 659-696.

آداب زيارة المسجد النبوي

ومِمّا يُستحّب أن تَدخُل على طهارة البَدَن والثّوب، فارِغ البال من جميع الأشغال، وتَوَجّه بالسّكينة والحَياء والوَقار خافِضا صوتك، وقِفْ أمام الكَوْكب الدُرّي[688]، وهو قُبالَة الوجه الكريم الشّريف، وسَلِّم على نبيّنا بأن تقول: السّلام عليكَ يا رسول الله، إلى آخر ما يَليقُ بالجَناب العليّ وأنتَ واقف، ثمّ زِدْ خَطَوات مِقدار ذِراعين فتجد فُرْجَة أيضاً، فقِفْ أمامها وسَلِّم على مولانا أبي بَكْر الصِدِّيق وسيّدنا عُمَر - زادهما الله شرفا وتعظيما وتمجيدا وتفخيما -، وَلْتَدُرْ إلى مَقام مولاتنا الزَّهْرَاء[689]، وهي خَلْفِه - صلّى الله عليه وسلّم - داخل الشُبّاك، فسَلّم عليها واذهب بتَذَلُّل وخُضوع، والله تعالى يَمِنُّ بالقَبول، بجاه مولانا مُحمّد الرّسول.

وهذا الكَوْكَب ياقوتة اشتراها السُّلْطَان أَحْمَد بن مُحَمَّد بن السُّلْطَان مُرَاد العُثْمَاني باثني عشر ألف دينار ذهبا، وأمر أن تُوضَع بالحُجْرَة النَّبَوِيَّة[690] على الحال، بها أفضل الصّلاة والسّلام.

الخروج من المدينة

ويوم السّبت خَرجنا عشيّة النّهار، والقلب في زَفَرَات وأَكْدَار[691]:

[من الطويل]

بِعَيْنِي رَأَيْتُ المَوْتَ عِنْدَ التَفَرُّقِ
فَلاَ عَاشَ مَنْ سَلَّى هَوَاكُمْ وَلاَ يَقِي

688 – تحدّث عنه بعض الرحالة بإعجاب، انظر: الشرقي، ن. م.، ص 497.

689 – المعروف بمشهد السيدة فاطمة: الشرقي، ن. م.، ص 487.

690 – وتُسمى أيضاً الحجرة الشريفة. راجع مثلاً: الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 303؛ الحضيكي، ن. م.، ص 152.

691 – أي اضطراب، راجع دوزي (زينهارت)، ن. م.، ج 9، ص 46.

وَأَبْـعَـدَنِـي مَـنْ كَـانَ سُـؤْلِـي وَمُنْيَتِي
فَيَا لَـيْـتَ شِـعْـرِي هَـلْ نَـعُـودُ وَنَلْتَقِي

بَـكَـتْ مُقْلَتِي يَـوْمَ الْـفِـرَاقِ تَأَسُّفًا
وَلَـكِـنَّـهَا تَبْكِي عَـلَـى حَـظِّـيَ الشَّقِي

[من الكامل]

شَـوْقِـي إِلَـيْـكَ وَإِنْ نَـأَيْـتَ شَـدِيـدُ
وهَـوَاكَ غَـضٌّ فِـي الْـفُـؤَادِ جَـدِيـدُ

[95 و] طُوبَى لِمَنْ أَمْسَى يَـرَاكَ بِعَيْنِهِ
وَتَــرَاهُ عَـيْـنُـكَ إِنَّـهُ لَـسَـعِـيـدُ [692]

[من الطويل]

تُـرَى بَـعْـدَ هَـذَا الْبُعْدِ عَيْنِي تَـرَاكُـمُ
وَتَـنْـظُـرُكُـمْ فِـي عُـمْـرِهَـا مَـرَّةً أُخْـرَى

وَلَــوْ أَنَّ حَـيًّـا صَـارَ قَـبْـرًا لِـنَـائِـمٍ
لَصَيَّرْتُ أَحْشَائِي لِتُرْبِكُمْ قَبْرَا [693]

[من البسيط]

وَاللهِ مَا اسْتَحْسَنَتْ مِنْ بَعْـدِ فُرقَتِكُمْ
عَيْنِي سِـوَاكُـمْ وَلاَ اسْتَمْتَعْتُ بالنَّظَرِ

---

692 ـ البيتان لأبي هلال العسكري. راجع: الصفدي، **كتاب الوافي بالوفيات**، برلين-بيروت، 1981-2009، ج 12، ص 81. إلا أن مُدوّن الرحلة تصرف فيهما فغير عجز البيت الأول وهو: شوقٌ عَليّ بِهِ الْإِلَه شَهيد، بما هو مثبت، وهو في الأصل من سيرة ذي النون المصري: انظر: ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، بيروت، 1979، ج 4، ص 345.

693 ـ لم نهتد إلى اسم الشاعر.

إِنْ كَانَ فِي الأَرْضِ شَيْءٌ بَعْدَكُمْ حَسَنٌ
فَــإِنَّ حُبَّكُــمُ غَطَّى عَلَى بَـصَـرِ (694)

[من الطويل]
سَــلاَمٌ عَـلَـيْـكُـم إِنَّ قَـلْـبِـي يُحِبُّكُمْ
وَصَـــحَّ حَـدِيـثًـا مَـــنْ يُـحِــبُّ فَيُعْلِمُ
وَهَـــا أَنَــا قَــدْ أَعْـلَـمْـتُـكُـمْ بِمَحَبَّتِي
وَمَا القَصْدُ إِلَّا أَنْ تَحِنُّوا وَتَرْحَمُوا(695)

والله تعالى يُصلح النِيّات ويُفَرّج الكُرْبَات.

694 – البيتان لمؤيد الدين الطُغرائي مع تغيير طفيف في الألفاظ. انظر: الصفدي، ن. م.، ج 12، ص 439.

695 – في أ: وترحم، والسياق يقتضي الجمع.

القسم الرابع

طريق العودة

* من المدينة إلى الينبوع *

وعَشّيْنا في أَبْيَار عَلِيّ[696]، فاعلم أنّ وادي العَقِيق[697] المَرْوِيّ فيه أنّه وادي مُبارك[698]، هو بين أَبْيَار عَلِيّ والمَدِينَة المُشَرَّفَة، معروف مشهور هنالك.

ثمّ سِرنا فصَبّحنا قُبُور الشُّهَدَاء، ثمّ الجُدَيِّدَة، وحَمَل النّاس مَتاعهم.

ثمّ سِرنا وتَرَكنا طريق بَدْر شِمالا وذهبنا يمينا، وهذه هي الدورة عند الحُجّاج اليوم، ويقولون: أيّ جبل حين تَذهب إلى مَكّة يبقى على شِمالك، وإذا جئتَ كذلك، هو ما بين بَدْر والجُدَيِّدَة.

ثمّ صَبّحنا الدَّهْنَاء[699]، ويُقال لهُ وَاصِل، وماؤه عجيب، ثمّ اليَنْبُوع، الرّجوع بالسَّلامة واليَقين والاستقامة، وهذا آخر الحِجَاز.

[من الطويل]

سَـــلاَمٌ عَـلَـيْـكُـمْ لاَ سَـــلاَمَ مُـــوَدِّعٍ
وَلَـكِـنْ سَـــلاَمٌ لاَ يَـــزَالُ جَـدِيـدُ[700]

696 – الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 274؛ ابن مليح، ن. م.، ص 92؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 532.

697 – الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 275؛ ابن مليح، ن. م.، ص 92؛ العياشي، ن. م.، ج 1، ص 417، ج 2، ص 401؛ الناصري، ن. م.، ص 556؛ الشرقي، ن. م.، ص 465؛ الحضيكي، ن. م.، ص 171؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 523.

698 – إشارة إلى ذكر الوادي في **صحيح البخاري**، كتاب الحج، حديث عدد 1461.

699 – الجزيري، ن. م.، ج 2، ص 166، 277؛ الشرقي، ن. م.، ص 348، 507؛ الزبادي، ن. م.، ص 164؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 356.

700 – البيت لابن البديع الأصفهاني، وقد تصرّف الكاتب في نهاية العجز. راجع: الباخرزي، **دمية القصر وعُصرة أهل العصر**، تحقيق محمّد التونجي، بيروت، 1993، ج 1، ص 427.

من الينبوع إلى الأزلم

وأقمنا في اليَنْبُوع يَوم صَبّحناه، وهو اليوم [95 ظ] التّاسع من الشهر[701].

وغدا وهو عاشوراء، اجتمع الرّكب المصري كلّه. ورَحلنا وأقام المصري يوم الموسم، وذَهبنا نحن ورَحلنا للخُضَيْرَة، وماؤه مثل ماء البحر وهو بوادي النَّار، ثمّ النَّبْط ماء طيّب، ثمّ بوادي العُقَيِّق ولا ماء، ثمّ صَبّحنا الحَوْرَاء، ماؤها يَقتُل الإنسان قَتْلَ السمّ الناقِع ويخلفه لا ذاهب ولا راجع. ورُحنا[702] بَيْنَ الدَّرَكَيْن ولا ماء، ثمّ الأَكْرَه مثله وأعظم، ولا مَحيد عنهما إلاّ لمن لهُ قوّة بحمل الماء من النَّبْط إلى الإِصْطَبْل، ومن شَرِب منهما فلا بدّ من فساد مِزاجه وظهور أَوْداجِه، شيء أودَعه الله لأمرٍ أراده.

ثمّ الوَجْه[703]، وأكثر مياهه مُرّة، ومن وجد السّبيل إلى بئر وَسط البَنْدَر فإنه يُستقى منه ماء حُلوٌ عجيب، والنّاس لا يَجِدونه[704] لكونهم يَحفَظونه لأمير حاج. والماء يُباع هنالك، يأتي[705] به الأعراب من الجبال، فتُباع القِربة بثمن له عِبرة. وحدّثني من أثق به أنّها بيعت بسَبعة مَثاقيل ذهبا وبأَحْمَرَيْن وثلاث ريالات، شاهدتهُ بعيني.

ثمّ إِصْطَبْل عَنْتَر، ماء عجيب، ثمّ الأَزْلَم خَيّبه الله.

---

701 – يوم 9 محرم 1102 هـ/ 12 أكتوبر 1690 م.

702 – في ب: رحلنا.

703 – في أ وب: الاوجه، وهو تحريف.

704 – في أ وب: يجدوه.

705 – في أ وب: يأتون.

* من الأزلم إلى عقبة إيليا *

ثمّ[706] أَبْيَار السُّلْطَان، وهناك قبر يقال لصاحبه سيدي مَرْزُوق الكُفَافِي[707]، مَزارة عظيمة، يُحكى أنه لمّا بلغ في حياته المَسْجِد النَّبَوِيّ، قَبَض على حَجَر وكَسَر بها رِجليه لئلاّ يذهب من هنالك، فلمّا كان (عليه)[708] اللّيل وَقَفَ عليه النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - فأَوقَفَه ومَسَح على رِجليه، وقال له: اذهب حيث يُشفع بِكَ، فأصبح وما به قلبة، فذهب فلمّا بلغ هنا [96 و] مات، وقبره بإزاء الطّريق على شاطئ البحر.

ثمّ بَنْدَر المُويلح، وبَلغناه يوم الأحد الثّامن عشر من المُحرّم[709]. وأقمنا به يوم الاثنين ووَجدنا فيه مُلاقاة جاءت من مِصْر، فكلّ ما يَطلب الإنسان يَجده. وأقمنا فيه الاثنين، ثمّ لم نُحَصِّل الماء يوم الثّلاثاء. وصبّحنا عُيون القَصَب، ثمّ من غده صبّحنا مَغَارَة سيدنا شُعَيْب، وبِتْنَا بشرف ابن عَطِيَّة ولا ماء، ثمّ ظَهْر الحِمَار وفيه الماء.

ثمّ بَنْدَر عَقَبَة إِيلِيَا[710] وبلغناه يوم السّبت الرّابع والعشرين من المُحرّم[711]، ووجدنا أيضاً فيه مُلاقاة عظيمة من مِصْر والشّام، كلّ ما يطلب الإنسان يَجِده برُخص. ورأيتُ هنالك زبيبا أحمرَ يأتي من غَزَّة ما رأيت أعظم منه جرما. وأقمنا هنالك ثلاثة أيام لخوف حَدَث بالعَقَبَة أمامنا.

---

706 - في ب: وثم.

707 - الجزيري، **ن. م.**، ج 2، ص 143، 279؛ العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 290؛ الناصري، **ن. م.**، ص 333؛ الزبادي، **ن. م.**، ص 62؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 371، 545. وذكره النابلسي في رحلته قائلا أنه تاجر من أهل المغرب، مرض في طريق الحج فأمر بحفر بئر وعمارته من ماله في منزل ظُبا، وجعله سقاية لجميع المسلمين، ثم مات ودُفن على حافة الطريق بساحل البحر. راجع: النابلسي، **الحقيقة والمجاز في الرحلة الى بلاد الشام ومصر والحجاز**، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، دمشق، 1989، ص 311.

708 - سقطت في أ.

709 - يوم 21 أكتوبر 1690 م.

710 - الجزيري، **ن. م.**، ج 2، ص 281.

711 - يوم 27 أكتوبر 1690 م.

* من عقبة إيليا إلى بركة الحاج *

ورحلنا آخر ليلة الأربعاء ودَوَيْدَر[712] المِصْرِي أمامنا بالبَنادِق والمَدافع[713]، وأمير الحاجّ خَلْفَنا، فلمّا كنّا بالسَلُّوم[714] طلع علينا الفجر، ولم نَصِل السَّطْح[715] إلى الضُّحى، ولم نَرَ شرّا والحمد لله إلّا ما كنّا نَراه من اللُّصوص يمينا وشِمالا ولا طاقة لهم. وقد حَدَّثونا أنّهم اجتمعوا للحاج المغربي بألف وخمسمائة، وذلك من عَرَبِ الشَّام والحِجَاز وأرياف مِصْر.

ولا تُكْثِر من أكل ما تلقيه من لحوم هذه الأرض[716] فإنه [96 ظ] مُضِرّ، فلما استوينا على السَّطْح ذهب الروع والخوف، فترى النّاس يحمدون الله على سلامتهم وظهر عليهم الفَرَح والسرور، فحينئذ نَزل المصري على السَّطْح ولا ماء فيه، ولم نَبِتْ نحن إلى عَرْقُوب البَغْل[717] بلا ماء.

وغدا وَردنا الكُرَّيْص[718] وتَعَدَّيْناه، ثمّ بلغنا من غده النَّخِيل عند العصر، فأدركتنا رعود وبروق وبرد ومطر حتى أضرّ بالنّاس كثيراً ولكن فيه الخير التّام، إذ أغنانا الله تعالى عن شُرب ماء النَّخِيل، ووجدنا أيضاً مُلاقاة أعظم من التي تَقَدَّمت. ورأيتُ أيضاً هنالك دُلّاعا من الشَّام، ما رأيتُ أحلى منه في غير إبّانِه، وتُفّاحا أيضاً عجيبًا.

712 – كذا في أ و ب، ويظهر أنها صيغة تصغير للدوادار، وهي وظيفة مملوكية تخص حامل دواة السلطان ومبلّغ الرسائل عن السلطان.

713 – حول معنى المدفع كأحد أنواع السلاح في ذلك الوقت، راجع: دوزي (رينهارت)، ن. م.، ج 4، ص 374.

714 – يبدو أن اسم المكان هذا قد اندثر الآن.

715 – أي سطح العقبة، وقد سبق أن مر بها الركب في رحلة الذهاب.

716 – لحوم الأرض أي الأكمة، وتسمى أيضاً شحوم الأرض هي إحدى أسماء فصيلة الفطريات أو الفقاع.

717 – وتُعرف أيضاً بعرقوب البغلة أو عراقيب البغل. وتقع مسافة 82 كم شرق مدينة نخل قرب سطح العقبة وأحيانا يُطابق بينهما. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 280. وراجع: عبد المالك (سامي صالح)، ن. م.، ص 272.

718 – في ب: القريص، وهو وادي القريص المذكور سابقاً.

وهذا اليوم والله أعلم، أوّل[719] فصل الشّتاء وآخر الخريف. ثمّ رأينا هِلال صَفَر[720]. وحملنا ماء الغُدران وبِتْنا بوادي التِّيه (...)[721] ثمّ النَّوَاظِر كذلك، ثمّ عَجْرُود وفيه مُلاقاة أيضاً، ثمّ الدَّار الحَمْرَاء، ثمّ بِرْكَة الحَّاجّ، أذلّها الله وأذلّ عامِرها وغامِرها.

* المخاطر عند الرحيل من الدار الحمراء *

واعلم أنّكَ يوم تَرحل من الدَّارِ الحَمْرَاء تَحتاج إلى حَزم وعَزم، ما كُنتَ تَحتاج إليه قبل ولا بعد، وذلك أن أعراب الأرياف يكون عندهم هذا اليوم ممّا ينتهزون فيه فُرصة الحاجّ، مع أن الغُزّ عكس الله أمرهم وقَصَم ظَهرهم، يذهبون كَتائب وزُمُرًا، خيلًا ورجالاً، يَتَلَقُّون[722] الحَجيج، فترى الأعراب يُغيرون فيما بينهم فيَنهبون[723] [97 و] ويُجدّدون ولا يَلقاهم أحد، والغُزّ يَنظرون وهُم حُكّام الأرض في زَعمهم، ولله درّ القائل:

[من البسيط]

لاَ تَتْعَبَنَّ[724] عَلَى الأَتْـرَاكِ فِـي كَـرَم
لِأَنَّـهُـمْ قَـدْ رُبُّـوا خُـدْمًـا وَغِـلْـمَـانـا

فَالجُبْن وَالـبُـخْـلُ طَبْعًا فِـي حَيَاتِهِمُ
لِأَنَّ نَـسْـلَـهُـمُ مِـنْ آلِ قَـحْـطَـانَـا

719 – سقطت في ب.

720 – يوم 1 صفر 1102 هـ/ 3 نوفمبر 1690 م.

721 – فراغ مقدار كلمة في أ وب.

722 – في ب: يلتقون.

723 – في أ: فينتهبون، وما أثبتناه فهو من ب.

724 – كذا في أ وب، ولعلها تصحيف.

الوصول إلى القاهرة

ثمّ صَبّحنا مِصْر، وذلك يوم الخميس السّادس من صَفَر[725]، ونَزلنا في بُولَاق على شاطئ النِّيل، وهو أفضل ما يُسكن في مِصْر. ولله درّ القائل:

[من الطويل]

إِذَا كُـنْـتَ فِـي مِـصْـرٍ وَلَـمْ تَـكُ سَاكِنًا
عَلَى نِيلِهَا الجَارِي فَمَا أَنْـتَ فِي مِصْرِ

وَإِنْ كُـنْـتَ فِـي مِـصْـرٍ بِـشَـاطِـئِ نِيلِهَا
وَمَـا أَنْـتَ فِي شَـيْءٍ فَمَا أَنْـتَ فِي مِصْرِ

وَإِنْ كُنْتَ فِي شَـيْءٍ وَلَـمْ تَـكُ صَاحِبًا
لِإِلْـفٍ لَـهُ لُـطْـفٌ فَمَا أَنْـتَ فِـي مِصْرِ

وَإِنْ كُـنْـتَ ذَا إِلْـفٍ وَلَـمْ تَـكُ مَالِكًا
لِكِيسٍ حَـوَى أَلْفًا فَمَا أَنْـتَ فِي مِصْرِ

وَإِنْ حُـزْتَ مَـا قُلْنَا وَلَـمْ تَـكُ هَائِمًا
تَمِيلُ لِمَنْ تَهْوَى فَمَا أَنْـتَ فِي مِصْرِ

الإقامة بالقاهرة والصيرفة بها

وأقمنا بِهِ بقيّة شهر[726] صَفَر. ثمّ إنّا وجدناه قَويّ البرد والرّياح المختلفة المُترادفة، إِذ وافيناه في فصل الشّتاء، فانتقلنا[727] منه لداخل القَاهِرَة. ونَزلنا في حَوْمَة البُنْدُقَانِيين[728] بالسَّبْعِ قَاعَات[729] وَسَط البلد.

---

725 – يوم 8 نوفمبر 1690 م.

726 – سقطت في ب.

727 – في ب: فانقلبنا.

728 – إحدى خطط القاهرة، سُمّي كذلك لاحتوائه عدة دكاكين لعمل قسي البُندق. انظر: المقريزي، ن. م.، ج 3، ص 114.

729 – موضع بالقاهرة يُشرف على الميدان وباب القرافة، عمّره الملك الناصر بن قلاوون. انظر: المقريزي، ن. م.، ج 3، ص 681.

واكترينا دارا بِتسعين فِضّة سِكّة البلد وبها يَتَعاملون في جميع أمتِعتهم، وبها يَقَع الصَّرْفُ أيضاً، فأما المِثقال الإسماعيلي فَصَرْفُه مائة وأربعة فِضّة، والمِثقال القديم مائة وثلاثون فِضّة. وأما الشَّريفي وهو سِكّة البلد في الذّهب بخمسة وتِسعين، فهذا صَرْفُ الذّهب. وأما الرّيال فإن لم يَتَّجِر الإنسان فإنّه يقع في الحَرَج والرِّبا، وإنما تَجوز المُراطَلَة[730] وهم لا يَعرفونها، فمن أراد [97 ظ] أن يَسْلَم فَلْيَبِعْ الرّيال بالذّهب ثمّ يَبيع الذّهب بالفضّة وإلّا وَقع فيما لا يَنفع، وهكذا أيضاً في الحِجَاز.

واستقرّ مقامنا بذلك الموضع وهو قريب من الأسواق، وغالبا ما يَحتاج الإنسان[731] الماء، ولا بُدّ من شِرائه، فماء النِّيل يُباع بِفِضّة للقِرْبَة والمُرّ بِفلْسٍ.

وفاة الخرشي ووضعية أهلي العلم والصلاح

ثمّ إنّا وَجدنا الشّيخ الخَرَشِي توّفي – رحمة الله عليه – وأقام مَقامه الشّيخ أَحْمَد الشَّرْفِي التُّونُسِي المَالِكِي[732] فتَصَدَّر للإقراء والتّدريس بعده برِوَاق المَغَارِبَة[733] بجَامِعِ الأَزْهَر عَمَّره الله. وليس بمِصْر من المساجد المشهورة للإقراء سوى جَامِع الأَزْهَر، والغير لا تَكاد تَجد فيه مجلسا للعلم أصلا، وما

---

730 – نوع من الصرف عند المالكيّة. انظر: الحطاب، **مواهب الجليل لشرح مختصر خليل**، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، بيروت، 1995، ج 4، ص 335.

731 – في أ وب: الا ان (كذا)، ولعل الصواب ما أثبتناه.

732 – أبو العباس أحمد الشرفي الصفاقسي نزيل مصر، ت 1133 هـ/ 1721 م، التقاه التاجوري وقال عنه «كبيرُ رواق المغاربة حين اجتماعنا به وله تأليف في علم الميقات» وسماه زيان العراقي: «شيخ رواق المغاربة بالأزهر أبو العباس أحمد الشرفي المغربي». انظر: التاجوري، **فتح العليم**، **ن. م.**، ص 389؛ زيان العراقي، **ن. م.**، ص 78؛ الوليد العراقي، **ن. م.**، ص 233؛ الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، القاهرة، 1997، ج 1، ص 137؛ مقديش **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، بيروت، 1988، ج 1، ص 391. ويظهر أنه من وسمه الحضيكي، **ن. م.**، ص 187، بالشيخ أحمد.

733 – يوجد بالجانب الغربي من صحن الجامع الأزهر واشتهر بخزانة كتبه الضخمة، وقد جدّده السلطان قايتباي. راجع مثلاً: الحضيكي، **ن. م.**، ص 184، 187.

كُنّا نَسمعه قبل مُشاهدتنا وحُضورنا هذه البَلدة من إفشاء العلم والحَثِّ عليه وكثرة العُلماء والمُتعلّمين وتَعاطي الفُنون ومُداولتها، لم نَرَ شيئاً من ذلك، إما لدُثوره وانقراضه بمَوْت أهله، كما في الحديث الشّريف، وإما لهراء المارّين بهذه البلاد وهَذرِهم[734] وكذبهم وافتخارهم بذلك بكَونهم لَقَوا أهل العلم والصّلاح. وقد قيل: حَدِّث عن البحر ولا حَرَج، وحَدِّث عن مِصْر ولا حَرَج.

وكذلك أيضاً أهل الصّلاح والوَلاية المشهورين المعروفين المُتصوّفين، ما رأينا منهم أحدا أيضاً. وقد بَلَغنا قبل هذه إشاعة سيدي عَبْد الخَالِق بن سيدي الغَازي[735] حين حَجّ وأخبرنا بشيء من هذا، فلم نَزَلْ نَطلبهم [98 و] ونسأل عنهم ونجدّ في ذلك فما لَقينا أحدا منهم، إمّا لاختفائهم عن النّاس وخُمولهم كما هو دَأْبهم وسَجِيّتهم، فيكون الناقِل فوقه كذّابا، وإمّا لنُقصاننا وعدم أهلِيّتنا لرُؤيتهم، فلا حول ولا قوّة إلّا بالله.

القضاء بمصر

وأما أحكام القضاء في هذه البلاد والوقوف على الحدود والفَصْل بحكم الله وشريعة نبيّه – صلّى الله عليه وسلّم – وامتثال أمر الله فذلك غير موجود، والمَوْصوفة بذلك عَديم ومَفقود. وكنتُ يوماً أتكلّم مع سيدي أَحْمَد الشَّرْفِي في هذا الأمر فأنشدني لبعضهم:

[من الوافر]

قُـضَـاةُ زَمَـانِـنَـا صَـارُوا لُـصُـوصَـا
عُـمُـومًـا فِـي الْـقَـضَـايَـا لَا خُصُوصَا

734 – الهذر هو الكلام الذي يكثر فيه الخطأ والباطل. انظر: ابن منظور، **ن. م.**، ج 5، ص 259.

735 – قد يكون نفس من سماه سابقاً بسيدي عبد الخالق بن الولي الصالح سيدي أبو طيب بن عيسى. والظاهر أن هذا الشخص من أحفاد أبو القاسم بن أحمد الدرعي السجلماسي المعروف بالغازي، ت 981 هـ/ 1573 م، والذي أشار إليه الحسن اليوسي في مؤلفاته. اليوسي، **المحاضرات**، ن. م.، ص 101، 672؛ **ديوان اليوسي**، ن. م.، ص 263؛ الكتاني، **سلوة**، ن. م.، ج 1، ص 135.

يَـــرَوْنَ الـغُـنْـمَ أَمْـــوَالَ الـيَـتَـامَـى
كَـأَنَّـهُـمُ تَـلَـوْا فِـيـهَـا نُـصُـوصَـا

فَـنَـخْـشَـى مِـنْـهُـمُ إِنْ صَـافَـحُـونَـا
يَـسِـلُّـوا مِـنْ خَـوَاتِـمِـنَـا الـفُـصُـوصَـا

ولبعضهم أيضاً:

[من الوافر]
قُـضَـاةُ زَمَـانِـنَـا احْـتَـجُّـوا بِـعِـلْـمِ
وَمَـا لَـهُـمُ عَـلَـى ذَاكَ اجْـتِـمَـاعُ

وَأَمْـسَـى الـعِـلْـمُ مُـنْـفَـرِدًا يُـنَـادِي
أَضَـاعُـونِـي وَأَيّ فَـتًـى أَضَـاعُـوا

وقال الشّيخ سيدي مُحَمَّد المنوفِي الإسْحَاقِي الشافِعِي[736] في تأليفه لَطَائف أَخْبَار الأُوَل فِيمَن تَصَرَّفَ في مِصْر من أَرْبَابِ الدُّوَل، وهو كتاب ظريف عجيب[737] ما نصّه: ومن المَصائب العجيبة استِنابة الجَهَلة بالأرياف في القضاء، فيَقضون بين النّاس بما ليس لهم به علم، ويَحسبونه هيّنا وهو عند الله عظيم، ومع ذلك يأخذون الرّشوة جهرًا من غير تكبّر ولا يَكتفون منها باليَسير، [98 ظ] ثمّ يقدمون على إبطال الحُقوق البَيِّنَة ولا يلتفتون للذي معه الحقّ وإن تَمَسّك بقيام البَيِّنَة، انتهى[738].

وهذا دَأْبُ قُضاة القَاهِرَة أيضاً: اعط الفُلوس واقطع الرؤوس.

736 – محمد بن عبد المعطي بن أبي الفتح ابن أحمد بن عبد المغني الاسحاقي المنوفي، ت 1060 هـ/ 1650م. مؤرخ وأديب مصري، ألّف كتبًا عديدة منها **الروض الباسم في أخبار من مضي من العوالم، لوامع التنوير في شرح الكوكب المنير، دوحة الازهار،** إضافة للكتاب الذي ذكره اليوسي. راجع: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 6، ص 247.

737 – في ب: عجيب ظريف.

738 – المنوفي، **ن. م.**، ص 123.

وما زال التّمسّك بالسُنّة المُحمّدية بمَغرِبنا والحمد لله، وظهور الحقّ والعدل وتَغيير المُنكر واخفائه لمن اِبْتَلى بشيء من ذلك، بخِلاف هذه البلاد، وعِياذ بالله، لا حَياء، لا خفية، ولا يعيب أحدٌ لأحد فِعلا، فدِيار الخَمْر الصِّراح مَشهورة وسط أسواق المسلمين، ودِيار البَواغي كذلك، قَبَّحهم الله وقَبَّح سَعْيهم، أخرجنا الله منها في الحين وجعلنا من السّالمين، وحفِظنا بمنّه آمين.

* أسواق القاهرة وحمّاماتها *

وأمّا أسواقها فليس لها نَظير كُلّما يحتاج يوجد في كلّ موضع وفي كلّ جهة، حتى أن من كان في موضع وأراد أن يَستغني عن جهة أخرى يجد ما يَكفيه بإزائه.

والحَمّامات أيضاً أكثر ممّا يُحصى ويُعدّ، وجزاهم[739] الله عن فِعلهم في الحَمّامات، فإذا دخل الإنسان يُعطونه مِئزَرين ويدخل فيجدُ بيتا وحده وفيها الماء الحارّ والبارد، فإذا خرج لبِسهما أيضاً فيكون في جميع أحواله مَستورًا، وأما حَمّامات المَغْرِب ففيها المَناكر المَفضوحة من كَشْف العَوْرَة وعدم مُبالاتهم بذلك وازدحامهم على بُرْمَة[740] الماء وهم عُراة ويَنْظُر[741] بعضهم إلى بعض، فهذا فِعل شَنيع قَبيح. [99 و] فكانت مُدّة إقامتنا بمصر أربعة أشهر وتِسعة أيّام.

739 ـ في أ و ب: وجزيهم.

740 ـ إناء من الخزف للماء. راجع: دوزي (رينهارت)، ن. م.، ج 1، ص 311.

741 ـ في أ: ونظهر، والمثبت من ب.

زيارة القرافتين ومسجد عمر

وزُرنا القَرَافتَيْن الصُغْرَى والكُبْرَى[742]، ومن المَشهورين بالقَرافَة الصُغْرَى أبُو عَبْد الله المَنّوفي[743] وتلميذه خَلِيل بن إسْحَاق[744] وهو مَقبور بإزائه، وأبُو الحَسَن الشَّارِح[745] وغيرهم.

والقَرافَة الكُبْرَى، من المشهورين فيها أيضاً أخوة سيدنا يُوسِف[746] والإمام الشَّافِعِي[747] والسّادات المالكيّة: أَصْبَغ[748] وأَشْهَب[749] وابن القَاسِم[750]

---

742 – راجع: المقريزي، **ن. م.**، ج 4، ص 846–881. وكانت زيارة القرافتين محطة أساسية عند إقامة الركب المغربي بالقاهرة، انظر: ابن مليح، **ن. م.**، ص 55؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 533؛ الحضيكي، **ن. م.**، ص 188–190؛ الزبادي، **ن. م.**، ص 188؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 363.

743 – كذا في أ و ب. وهو أبو محمّد عبد الله بن سليمان الإسحاقي المنوفي المصري المالكي، ت 749 هـ/ 1348م. من أهم شيوخ خليل بن إسحاق، وقد ألّف خليل في مناقبه تأليفا مفردا. انظر: خليل بن إسحاق، **مناقب المنوفي**، تحقيق خالد محمّد السعيد، القاهرة، 2012.

744 – ضياء الدين خليل بن إسحاق بن موسى الجندي، ت 776 هـ/ 1374م. فقيه مالكي مصري. انظر: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 2، ص 315.

745 – أبو الْحسن عَليّ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن خلف المنوفي الشاذلي، ت 939 هـ/ 1532م. له شرح شهير على الرسالة بعنوان: **كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**. انظر: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 5، ص 11.

746 – المقصود به النبيّ يوسف.

747 – أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ المطَّلِبيّ القرشيّ، ت 204 هـ/ 820م. انظر: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 6، ص 26.

748 – أصبغ بن الفرج ابن سعيد بن نافع المصري، ت 225 هـ/ 840م. انظر: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 1، ص 333.

749 – أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي، ت 204 هـ/ 819م. من أصحاب مالك. دُفن بالقرافة. انظر: ابن الزيات، **كتاب الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى**، تحقيق أحمد بك تيمور، مصر، 1907، ص 37. وراجع: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 1، ص 333.

750 – أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العتقي مولاهم المصري، ت 191 هـ/ 807م. محدّث وفقيه مالكي، ومن أصحاب مالك. دُفن بالقرافة. انظر: ابن الزيات، **ن. م.**، ص 39. راجع: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 3، ص 323.

وسَحْنُون[751] وابن عَرَفَة[752] وابن عَطَاءِ الله[753] وابن دَقِيق العِيد[754] وابن الفَارِض[755] وغيرهم ممّا لا يُعَدّ ولا يُحصى، نَفَعنا الله ببركاتهم أجمعين.

وهنالك مَسْجِد سيدنا عَمْرُو[756] بن العَاص الذي وَقع عليه الاجماع، وقد أحكمه الخِرَب ولا عِمارة بإزائه. وقد كان سيدي الوالد ذَهب إليه يوم جمعة ومَقصده أن يُصّليها فيه، فلمّا رأى ذلك رجعنا، ولم نُصّليها إلى الأَزْهَر.

751 – يبدو أن الإشارة إلى سحنون سبق قلم من مُدوّن الرحلة أو من الناسخ، لأن المعلوم أن سحنون صاحب المدونة، ت 240 هـ/ 856 م، قد دُفن بالقيروان، ولا نعلم من السادات المالكية من يحمل اسما مشابها ومدفوناً بالقرافة.

752 – وهو قطعا غير ابن عرفة الورغمي صاحب المختصر الفقهي، ت 803 هـ/ 1401 م، المدفون بتونس. وقد أشار ابن الزيات، **ن. م.**، ص 265، إلى شخص مدفون بالقرافة الكبرى يُدعى ابن عرفة دون أن يُعرّف به. ولعله ابن عرفة المحدّث الذي عاش في النصف الثاني من القرن 7 هـ/ 13 م، والذي أشار له المقريزي عرضا، **ن. م.**، ج 4، ص 805.

753 – تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم السكندري، ت 709 هـ/ 1309م. فقيه مالكي وصوفي شاذلي. ألّف الكثير من المصنفات أهمّها لطائف المنن والحكم العطائية. دفن بزاويته التي كان يتعبد فيها بالمقطم بسفح الجبل. انظر: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 1، ص 221.

754 – تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري القوصي، ت 702 هـ/ 1302م. فقيه كاتب وقاض وخطيب، من أشهر تآليفه: الإلمام الجامع لأحاديث الأحكام، شرح مختصر ابن الحاجب، شرح الأربعين النووية. دُفن بسفح المقطم شرق القاهرة. انظر: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 6، ص 283.

755 – شرف الدين أبو حفص عمر بن علي بن مرشد الحموي، ت 632 هـ/ 1235م. من أشهر شعراء التصوف. دفن في مسجده المشهور به بجبل المقطم. انظر: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 5، ص 55.

756 – في أ: عمر، وما أثبتناه فهو من ب.

زيارة مقاييس النيل

وذهبنا إلى المَقَاييس[757] التي يُعرف بها زِيادة النِّيل، وأشهرهم المِقْيَاس الجَدِيد[758] الذي بناهُ جَعْفَر المُتَوَكِّل[759]، أحد مُلوك الدولة العبّاسية، وذلك أوّل سنة سبع وأربعين ومائتين[760]، وهو برأس جَزِيرَة الفُسْطَاط[761]. ذكروا أنه[762]: ويشتمل هذا المِقْياس على فَسْقِيَّة مُربّعة يَدخل منها الماء من مَسارب، وفي وَسطها عَمود من رُخام أبيض، ووضعوا في العَمود خُطوطًا أصابع. قالوا: وهي عِبارة عن قَراريط مُقسّمة على أذرع، يُعلم منها ما يَزيد النِّيل في كلّ يوم [99 ظ] من أوان الزِيادة. وجعل مِساحة الذِّراع إلى أن يبلغ اثني عشر ذِراعًا، فيكون الذِّراع ثمانية وعشرين إصبعًا، ومن اثنتي عشر ذِراعاً إلى فوق يصير الذِّراع أربعة وعشرين إصبعًا. وأرض مِصْر كلّها تُروى الرَّي الكامل من ستّة عشر ذِراعا إلى سبعة عشر ذِراعًا، وما زاد على ذلك يَحْصُل به الضّرر، انتهى[763].

* خصائص وادي النيل *

قال بعض الحُكماء: لولا جَعَل الله في مِصْر حِكمة الزِيادة في زَمن الصّيف على التدريج حتى يتكامل رَيّ البلاد وهُبوط الماء عند بدء الزراعة لفَسَدَ إقليم مِصْر وتَعذّر سُكناه، لأنّه ليس فيه أمطار كافية ولا عُيون جارية، وأنشدوا:

757 – حول مقاييس النيل راجع: المقريزي، **ن. م.**، ج 1، ص 150؛ الزبادي، **ن. م.**، ص 225؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 363.

758 – ويُعرف أيضاً بالمقياس الكبير. راجع: المقريزي، **ن. م.**، ج 1، ص 152.

759 – عاشر الخلفاء العباسيين (232–247 هـ/ 847–862 م) واسمه جعفر بن محمد بن هارون الرشيد. انظر: الزركلي (خير الدين)، **ن. م.**، ج 2، ص 127.

760 – سنة 861 م.

761 – أي جزيرة الروضة وسط النيل، المقريزي، **ن. م.**، ج 2، ص 577.

762 – هنا يبدأ النقل عن المنوفي بتصرف، **ن. م.**، ص 83–84.

763 – رغم الإشارة إلى الانتهاء من النقل من المنوفي فإن الكاتب واصل النقل في ما يلي.

[من الكامل]

وَافَـــى لِـهَـذَا الـنِّـيـلِ أَيُّ عَـجِيبَـةٍ
بِـكْـرٍ بِـمِـثْـلِ حَـدِيـثِـهَـا لاَ يُـسْـمَـعُ

يَلْقَى الـثَّـرَى فِـي الـعَـامِ وَهْـوَ مُـسَلِّمٌ
حَـتَّـى إِذَا مَـا قَـلَّ عَـادَ مُـوَدِّعُ

مُـسْـتَـقْـبِـلٌ مِـثْـلَ الـهِـلاَلِ فَـدَهْـرُهُ
أَبَــدًا يَـزِيـدُ كَـمَـا يُـرِيـدُ وَيَـرْجِـعُ[764]

وقال آخر:

[من الوافر]

كَـــأَنَّ الـنِّـيـلَ ذُو عَـقْـلٍ وَلُـبٍّ
لِـمَـا يَـبْـدُو لِـعَـيْـنِ الـنَّـاسِ مِـنْـهُ

فَـيَـأْتِـي حِـيـنَ حَـاجَـتِـهِـمْ إِلَـيْـهِ
وَيَـمْـضِـي حِـيـنَ يَسْتَغْنُونَ عَـنْـهُ[765]

ويُروى عن (ابن)[766] عَبْد الحَكَم[767] عن عَبْد الله بن عُمَر[768] - رضي الله عنهما - أنّه قال: نِيل مِصْر سَيّد الأنهار، سَخّر الله له كلّ بحر في المشرق والمغرب، فإذا أراد الله تعالى أن يُجري نِيل مِصْر أَمَر كلّ نهر أن يَمُدّه فتَمُدّه الأنهار بمائها، ففَجّر له الأنهار والأرض عُيونا، فإذا انتهت جَريته إلى ما أراد الله تعالى، أوحى إلى كلّ ماء أن يَرْجَع إلى عُنصره.

764 - الأبيات في: المقريزي، ن. م.، ج 1، ص 168، مع اختلاف طفيف في الألفاظ.

765 - الأبيات أيضاً في: المقريزي، ن. م.، ج 1، ص 168، مع اختلاف طفيف في الألفاظ.

766 - إضافة يقتضيها السياق.

767 - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم، ت 257 هـ/ 871 م، مُحدّث ومؤرخ مصري. اشتهر بكتابه فتوح مصر والمغرب. انظر: الزركلي (خير الدين)، ن. م.، ج 3، ص 313.

768 - أبو عبد الرحمان عبد الله بن عمر بن الخطاب، ت 73 هـ/ 692م. صحابي وراوي للحديث. انظر: الزركلي (خير الدين)، ن. م.، ج 4، ص 108.

وعن يَزِيد بن أَبِي حَبِيب[769] [100 و] أن مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان[770] - رضي الله عنه - سأل كَعْب الأَحْبَار[771]: هل تَجِد لهذا النِّيل في كتاب الله عز وجل خبرا، قال[772]: أي والذي فَلَقَ الحَبّة وفلق لمُوسَى البحر، لأجِد في كتاب الله عزّ وجلّ أن الله تعالى يُوحي إليه في كلّ عام مَرّتين، يوحى إليه عند جَرْيَته أن الله يأمركَ أن تَجري فيَجري ما كَتَبَ الله له، ثمّ يُوحى إليه بعد ذلك عُدْ يا نيل حَميدا، انتهى[773].

أهرام مصر

وأما أَهْرَام مِصْر فهم من عجائب الدّنيا. قال[774] الأستاذ ابن وَصِيف[775] في أَخْبَار مِصْر وعَجَائِبِها أن سوريد أحد ملوك مِصْر قبل الطوفان، هو الذي بَنَى الهَرَمَيْن العظيمين المنسوبين إلى شدّاد بن عاد، وسببُ بنائهما أنّه قبل الطوفان بثلاثمائة سنة قد رأى سوريد في منامه، كأنّ الأرض انقلبت بأهلها وكأنّ النّاس قد هربوا على وجوههم، وكأنّ الكواكب تَتَساقط ويَصدم بعضها بعضاً بأصوات هائلة، فأَغَمَّهُ ذلك ولم يَذكره لأحد، وعلم أنّه سيحدث أمر عظيم. ثمّ رأى بعد ذلك بأيّام كأن الكواكب الثابتة نَزَلَت إلى الأرض في

769 - أبو رجاء يزيد بن أبي حبيب الأزدي، ت 128 هـ/ 745م. من رواة الحديث بمصر وكان مفتيا بها. انظر: الزركلي (خير الدين)، ن. م.، ج 8، ص 183.

770 - أول الخلفاء الأمويين (41-60 هـ/ 661-680 م).انظر: الزركلي (خير الدين)، ن. م.، ج 7، ص 261.

771 - أبو إسحاق كعب بن ماته بن ذي الهجن الحميري، ت 32 هـ/ 652م. تابعي، نُقل عنه الكثير من أخبار الأمم الغابرة. انظر: الزركلي (خير الدين)، ن. م.، ج 5، ص 228.

772 - في ب: فقال.

773 - هنا ينتهي النقل عن المنوفي.

774 - هنا يبدأ النقل من جديد عن المنوفي، ن. م.، ص 105.

775 - إبراهيم ابن وصيف شاه المصري، ت 599 هـ/ 1203م، مؤرخ وجغرافي مصري قبطي، ألف في الجغرافيا والعجائب من ذلك كتاب **جواهر البحور ووقائع الأمور** وكتاب **مختصر العجائب**. انظر: الزركلي (خير الدين)، ن. م.، ج 1، ص 78.

صورة طيور بِيض، وكأنها تَخطف النّاس، وتُلقيهم بين جبلين عظيمين، وكأن الكواكب المُنيرة مُظلمة مَكسوفة، فانتبه فَزَعا مَرْعوبا، فأمر عند ذلك بعَمَلِ الأَهْرَام. ولما شَرَع في بِنائها أمر بقطع الأسطوانات[776] العظام، واستخرج الرَّصاص من أرضِ المَغْرِب [100 ظ] وإحضار الصخور من ناحية أُسْوَان[777] فبنى بها أساس الأَهْرَام الثّلاث، الشرقي والغربي والمُلوّن، وكانوا يَمدّون البلاطة، ويثقبونها، ويجعلون بوسطها قضبا من حديد قائم، ثمّ يُركّبون عليها بلاطة أخرى إلى أن كَملت، وجعل ارتفاع كلّ واحد من الأهرام مائة ذِراع بالذِّراع الملكي، والذِّراع الملكي خمسة أذرع بذِراعنا الآن، وجعل طول كلّ واحد من جميع جهاته مائة ذِراع بذراع العَمَل، فلما فَرغت كَساها ديباجاً مُلوّناً من فوقها إلى أسفلها.

وذَكَرَ القبط في كتبهم أنّ عليها كتاباً مَنقوشًا تَفسيره بالعربيّة: أنا سوريد الملك، بنيتُ هذه الأَهْرَام في وقت كذا وكذا[778]، وأتممتُ بِناءها في سِتّ سنين، فمن أتى بعدي وزَعم أنه مَلِكٌ مِثلي، فليَهدمها في سِتّ مائة سنة، وقد عُلم أن الهَدم أَهْوَن مِنَ البِناء، وإني كَسَوْتها عند فَراغها بالدِّيباج فليكسها بالحُصَر، انتهى[779].

وذكروا أن المَأْمُون[780] أراد الوُقوف على الأَهْرَام ففتح ثُلْمَة من الهَرَم الكَبِير، انتهى إلى عشرين ذِراعًا رأيناها، فوجدَ مَطْمَرَة فيها ذهبا مَضروبا، وزنَ كلّ دينار أُوقِيَتَيْن من أواقِتنا[781]، وكانت ألف دينار، فتَعجّب المَأْمُون

---

776 ـ في أ: الاصطوانات، وما أثبتناه فهو من ب.

777 ـ مدينة معروفة في الصعيد المصري. انظر: ياقوت، ن. م.، ج 1، ص 191.

778 ـ في أ: كد وكد، وهي غير واضحة في ب، وما أثبتناه من المنوفي.

779 ـ النقل من المنوفي، ن. م.، ص 105.

780 ـ سابع الخلفاء العباسيين (198-218 هـ/ 813-833 م). انظر : الزركلي (خير الدين)، ن. م.، ج 4، ص 142.

781 ـ الأوقية وحدة وزن، اختلف تقديرها حسب الأزمان والبلدان. راجع دوزي (رينهارت)، ن. م.، ج 1، ص 213.

من جَودة ذلك الذّهب وحُسن حُمْرَتِه، وقال: ارفعوا حِساب ما أنفَقتموه على هذه الثُلِمَة، فرفعوه فوجدوا قَدر ذلك المال لا يزيد ولا ينقص، فتَعجّب من ذلك غاية العَجَب، [101 و] وقال: كان هؤلاء القوم بمنزِلة لا نُدركها نحن ولا أمثالنا. ثمّ رَحَل وتَرَك ذلك.

ولبعضهم:

[من الطويل]

بِعَيْشِكَ هَـلْ أَبْـصَـرْتَ أَعْـجَـبَ مَنْظَرًا
عَلَى طُولِ مَا أَبْصَرْتَ مِنْ هَرَمَيْ مِصْرِ

أَنَــافَــا بِــأَعْــنَــانِ الــسَّـمَــاءِ وَأَشْــرَفَــا
عَلَى الجَوِّ إِشْرَافَ السِّمَاكِ عَلَى النَّسْرِ[782]

[وقال][783] آخر:

[من الطويل]

خَـلِـيـلَـيَّ مَــا تَـحْـتَ الـسَّـمَـاءِ بِبِنْيَةٍ
تُـمَـاثِـلُ فِـي إِتْـقَـانِـهَـا هَـرَمَـيْ مِصْرِ

بِـنَـاءٌ يَـخَـافُ الـدَّهْـرُ مِـنْـهُ وَكُـلُّ مَا
عَلَى ظَاهِرِ الدُّنْيَا يَخَافُ مِنَ الدَّهْرِ[784]

782 - البيتان للحكم بن أبي الصلت، وقد تصرّف فيها الكاتب بتغيير طفيف في الألفاظ. راجعها في: المقريزي، **ن. م.**، ج 1، ص 321؛ السيوطي، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1967، ج 1، ص 80.

783 - زيادة من المنوفي، يقتضيها السياق.

784 - البيتان لعُمارة اليمني. راجعها في: المقريزي، **ن. م.**، ج 1، ص 328. وهنا ينتهي النقل عن المنوفي، **ن. م.**، ص 105.

* الخروج من مصر والنزول بكرداسة *

ثمّ خَرجنا من مِصْر يوم الخميس الخامس عشر من جُمادى الثّانية[785]، فذهب[786] من فَصْل الرّبيع ثمانية عشر يوما، وهو الخامس من مارس[787]، ونَزَلنا بإِنْبَابَة[788] شاطئ النِّيل، وأقمنا هنالك ثمانية أيّام.

ورَحلنا يوم الجمعة الثّاني والعشرين من الشهر[789]، ونزلنا بكُرْدَاسَة[790]، وهي المُوالية للصّحراء وأقمنا بها يومين، وهنالك سوق تَقَعُ[791] بين الحُجّاج والأعراب ما في مِصْر مِثله، وإن أردتَ أن تشتري فَرَسا فلا تشتريه إلى هنا أو في إِنْبَابَة[792] لأن خَيْل البادية أفضل من خَيْل البلد، واحمل من هنا ماء مَبيتك، ثمّ تَروح لوادي الرُّهْبَان.

* من كرداسة إلى المدار *

ورَحلنا من كُرْدَاسَة يوم الاثنين، وبِتْنا في البِسَاط ولا ماء فيه ولا حَطَب.

وغدًا بِتْنا بوادي الرُّهْبَان، واحمل الماء من هنا أيضاً. وغدا بِتْنا بعُفُّونَة وماؤها مالح. واليوم الثّالث منها بلغنا الشَمَّامَة عند الزّوال، وبها رأينا هِلال رَجَب[793]، وبِتْنا بها وماؤها مُنْتِن.

---

785 – يوم 15 مارس 1691 م.

786 – في ب: قد ذهب.

787 – أي بالتقويم العجمي المعتمد في مصر والذي لم يتبع الإصلاح القريقوري.

788 – في أ وب: بلبابة، وهو تحريف.

789 – يوم 22 مارس 1691 م.

790 – ابن مليح، ن. م.، ص 131؛ مرّ بها الناصري في طريق الذهاب، ن. م.، ص 256، وطريق العودة، ن. م.، ص 611؛ الشرقي، ن. م.، ص 293؛ العامري، ن. م.، ص 96؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 243، 598؛ الفاسي، ن. م.، ص 157.

791 – في أ وب: يقع.

792 – في أ وب: لبابة، وهو تحريف.

793 – يوم 1 رجب 1102 هـ/ 30 مارس 1691 م.

وغدًا بِتْنا بلا ماء. ثمّ بَلغنا مَوْرِد الجُمَيْمَة[794]، ولم نَمُرّ عليها في تَشْريقنا، [101 ظ] وماؤها طيّب وهي على طرف البحر، وبَلغناها ظُهرا وبِتْنا عليها. وكنتُ[795] جالسا عند سيدي الوالد يومئذ، فذَكَر قول القائل[796]:

[من البسيط]

يَا اِبْـنَ الأَكَـارِمِ مِنْ عَـدْنَـانَ، قَدْ عَلِمُوا
وَتَـالِـدُ الـمَـجْـدِ بَـيْـنَ الـعَـمِّ وَالـخَـالِ

أَنْـتَ الّـذِي تُـنْـزِلُ الأَيَّـامَ مَنْزِلَهَا
وَتُمْسِكُ الأَرْضَ عَـنْ خَسْفٍ وَزِلْـزَالِ

وَمَـا مَـدَدْتَ مَـدَى طَـرْفٍ إِلَـى أَحَـدٍ
إِلَّا قَـضَـيْـتَ بِـأَرْزَاقٍ[797] وَآجَـالِ

فقال لي حَفِظه الله: قد والله أخطأ الشّاعر، هذا من خَواص البارئ سبحانه وتعالى، هلاّ قال:

[من البسيط]

يَـا مَـالِـكَ المُلْكِ يَـا مَـنْ لاَ شَـرِيـكَ لَهُ
يَـا بَـارِئَ الخَلْقِ مِـنْ سُفْلٍ وَمِـنْ عَـالِ

794 - يُعرف حالياً ببئر تل الجميمة في منتصف الطريق بين الإسكندرية ومرسى مطروح. العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 209، ج 2، ص 488؛ الشرقي، **ن. م.**، ص 288، 539؛ الورثيلاني، **ن. م.**، ص 241، 606؛ الفاسي، **ن. م.**، ص 158.

795 - في أ و ب: وكنّا، وهي عامية.

796 - الأبيات منسوبة لعلي بن جبلة، وقد تصرف الكاتب في بعض الألفاظ. راجع: أبو هلال العسكري، **كتاب ديوان المعاني**، تحقيق أحمد سليم غانم، بيروت، 2003، ج 1، ص 133-134.

797 - كذا في أ و ب، وفي المطبوع: بآمال.

أَنْـتَ الـَّـذِي تُـنْـزِلُ الأَيَّــامَ[798] مَنْزِلَهَا
وَتُمْسِكُ الأَرْضَ مِنْ خَسْفٍ وَزِلْزَالِ[799]

وحَمَلنا منها ماء يوم ونِصفه، وبِتْنا تحت العَقَبَة الصَّغِيرَة، وبلغنا المَدَار عند الزّوال، وبِتْنا هنالك.

من المدار إلى جرجوب

وأنشدني سيدي الوالد - أبقاه الله - ما نَصّه[800]:

[من الخفيف]
نَــسْــأَلُ اللهَ أَنْ يَــمُــنَّ عَـلَـيْـنَـا
بِــصَــلَاحِ الأَوْلَادِ وَالأَحْــبَــابِ
فَـيَـكُـونُـوا عَـوْنًـا لَـدَيْـنَـا وَذُخْــرًا
فِـي الـحَـيَـاةِ الـدُّنْـيَـا وَيَــوْمَ الـمَـآبِ

وأمرني - أعزّه الله - أن أزيدَ عليهما أبياتا، فدهشتُ وصار قلبي من ذلك أشتاتا، ولم أدرِ ما أقول حين أُمرت، فقلتُ وعلى الله تَوَكَّلْتُ:

[من الخفيف]
أَحْـمَـدُ اللهَ حَـقَّ حَـمْـدٍ عَـلَـى رِضْــ
ــوَانِ سَـيِّـدِنَـا عَـلَـى الأَحْـبَـابِ
وَكَــذَلِــكَ الأَوْلَادْ فَـالـكُـلُّ قَـدْ
حَـازَ وَجَـازَ وَفَـازَ يَـوْم الـحِـسَـابِ

---

798 - في الديوان: الأنام.
799 - ديوان اليوسي، ن. م.، ص 412.
800 - ديوان اليوسي، ن. م.، ص 74.

كَـيْـفَ نَـخْـشَـى الْـفُـرُوعَ وَاللهُ قَـدْ
أَثْـبَـتَ أَصْـلَـهُـمْ بِـحُـسْـنِ ارْتِـكَـابِ

وَبِـجَـاهِ الـنَّـبِـيِّ تُـعْـطِـي جَـمِـيعَ الـ
ـسُّـؤْلِ يَـا مُـنْـيَـتِـي وَرَحْـبَ الـمَـآبِ

نَـطْـلُـبُ اللهَ أَنْ يُـبَـارِكَ فِـي
عُـمْـرِكُـمْ وَيَـسُـرُّنَـا بِـالإِيَّـابِ

واليوم الثّالث من المَدَار وَردنا مَنهل جَرْجُوب عند الظُّهر وبِتْنا عليه.

* الحسن اليوسي وابنه ينشدان الشعر *

وأنشدني أيضاً [102 و] – حفِظه الله – يومئذ، وقد سَمِع بهاتين البيتين، وقد كنتُ أنشدتُهما وقد هاجَت أشواق، وتذّكرتُ الأخ الشّقيق:

[من مجزوء الرمل]

هَـبَّـتِ الـرِّيـحُ مِـنَ الـغَـرْ
بِ فَـجَـاءَتْـنِـي بِـرِيـحِـكْ

كَـيْـفَ أَنْـسَـاكِ وَرُوحِـي
صُـنِـعَـتْ مِـنْ جِـنْـسِ رُوحِـكْ[801]

فأنشدَ حين سَمِعهما ما نَصُّه، وكَتَبْتُه عنه – حفظه الله – وهو يُمْلي عَلَيّ[802]:

[من مجزوء الرمل]

يَـا رِيَـاحَ الـغَـرْبِ هُـبِّـي
بِـنَـسِـيـمٍ وَبِـعَـرْفِ

801 – البيتان لعبد الله بن المبارك، من شعراء القرن الثاني للهجرة، لكن كلمة الغرب وردت في الأصل: الشرق. راجع: **ديوان الإمام المجاهد ابن المبارك**، جمع وتحقيق مجاهد مصطفى بهجت، الرياض، 2011. ص 65–66.

802 – **ديوان اليوسي**، ن. م.، ص 358.

عَـــرْفِ أَحْبَـــابِـــي خُـصُـوصًـا
مَـنْ بِـهِـمْ شُـــرْبِـــي[803] وشَـغْـفِ

فَـــلَـــذَاتُ الـــكَـــبْـــدِ مَـــنْ لَـــمْ
يَـخْـتَـفُـوا عَـــنْ غَـيْـرِ طَـــرْفِ

لَـيْــتَ شِـعْـرِي كَـيْـفَ كَـانُـوا
بَـعْـدَنَـا فِـــي كُـــلِّ صَـــرْفِ

قَـــدْ تَـــرَكْـــنَـــاهُـــمْ بِـخَـيْـرٍ
نَـحْـمَـــدُ اللهَ وَلُـــطْـــفِ

فَـــهَـــلِ الـــدَّهْـــرُ كَـمَـا كَـا
نَ أَمِـــيـــنٌ حِـــلْـــفُ عَـــطْـفِ

وَهَـــلِ الـــوَجْـــدُ نَـــدِيـــمٌ
دَهْـــرَهُـــمْ يَـسْـقِـي وَيَـشْـفِـي

وَهَـــلِ الـــيُـــمْـــنُ وَدُودٌ[804]
صَـــاحِـــبُ لِـــلْـــوُدِّ مُـصْـفِ

وقال أيضاً، وكَتَبْتُها عنه ـ حفِظه الله ـ [805]:

[من مجزوء الرمل]

يَـــا نَـــسِـــيـــمًـــا هَـــبَّ نَـــبِّـــئْ
نَـبَـــأً وَائْـــــتِ بِـــخُـــبْـــرِ

803 ـ في الديوان: شُبْرِي.
804 ـ في الديوان: نَدِيمٌ.
805 ـ **ديوان اليوسي**، ن. م.، ص 279.

كَـيْـفَ كَـانُـوا مُـنْـذُ غَـيْـبِـي
أَبِـنُـعْـمَـى وَبِـبِـشْـرِ

قَـدْ عَـهِـدْنَـاهُـمْ بِـخَـيْـرٍ
نَـحْـمَـدُ اللهَ وَسِـتْـرِ

فَـهَـلِ الـدَّهْـرُ كَـمَـا كَـا
نَ أَمِـيـنٌ حِـلْـفُ بِـرِّ

وَهَـلِ الـوَقْـتُ رَفِـيـقٌ
حَـالَـتَـيْ طَـيٍّ وَنَـشْـرِ

وَهَـلِ الـبِـشْـرُ مُـوَافٍ[806]
سَـاعَـتَـيْ جَـهْـرٍ وَسِـرِّ

وقال أيضاً – حَفِظه الله – وكتبتها عنه كذلك[807]:

[من الطويل]

سَقَى مَنْزِلاً مَا بَيْنَ أَزْكَـانَ[808] وَالنَّهْرِ
وَقُـطَّـانُـهُ الـهَـتَّـانُ مِـنْ سَـبَـلِ القَطْرِ

مُـبَـوَّأَ أَفْـلَاذِ[809] الـفُـؤَادِ وَفِـتْـيَـةٍ
هُـمُ سَكَنِي دُونَ الـوَرَى وَهُـمُ خَمْرِي

---

806 – في الديوان: مُوَاتٍ.

807 – وردت هذه الأبيات الأربع الأولى في **ديوان اليوسي**، ن. م.، ص 280.

808 – يظهر أن المقصود هو جبل أزكان شرقي جبل صفرو والذي تحاذي حدوده الجنوبية نهر ملوية. تنبع منه عيون عديدة وأرضه صالحة للزراعة والغراسة، راجع: ليون الإفريقي، **وصف إفريقيا**، ترجمة عن الفرنسيّة محمّد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، 1983، ج 1، ص 362.

809 – في أ: أَفْلاَل. وما أثبتناه فهو من الديوان.

وَبِــيــضٌ وَسُـــودٌ فَــاعِــلاَتٌ بِمُهْجَتِي
عَلَى الغَيْبِ فِعْلَ البِيضِ فِي الحَرْبِ وَالسُّمْرِ

تَـقَـسَّـمَـنِـي دَهْـــرِي فَـقَـلْـبِـيَ بَيْنَهُمْ
وَجِسْمِيَ فِـي أَكْـنَـافِ بَـرْقَـةَ يَسْتَقْرِي

[102 ظ] فَهَل يُنْصِفُ البَيْنُ المُشِتُّ عَشِيرَتِي
فَيَجْمَعهَا مِـنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلاَ أَدْرِي

* من جرجوب إلى أجدابية *

وبلغنا بُقْبُق اليوم الثّالث من جَرْجُوب، ورأيتُ تمرا هنا تأتي من سِيوَه[810] ما رأيتُ مثلها بسِجِلْمَاسَة[811] ولا في غيرها، وماء هذا المَورد مُنْتِن قَبيح.

واليوم الثّالث منه وردنا دَفْنَة، ماء طيّب مُشابه لماء النِّيل.

ثمّ وردنا التَّميمِي وأقمنا فيه يوماً أيضاً، وكان فيه سوقُ أهل دَرْنَة، وحملنا ماء خمسة أيّام. واليوم الثّالث وَجدنا ماءً سماويّا بوادي الحَمَامَة[812]، فوقع منّا موقع الراحة للسَّقيم أو الغِنا للمُفترِ العَديم، ولو لا منّ الله تعالى علينا به لفَسَد نِصف الرّكب.

واليوم الخامس من التَّميِمِي وَردنا جَرْدَسْ بالجَبَلِ الأَخْضَر، ووجدنا في كثرة السَّمْن والغَنَمي السمين. وغَنَمُ هذه الأرض، ما رأيت أكثر شَحْما منها، حتى أن ذَنْب الشّاة يَزِن خمسة أرطال شَحْما، فسبحان الله العظيم.

810 - واحة معروفة في شمال الصحراء الغربية لمصر. انظر: ابن مليح، ن. م.، ص 37، 132. وقد رددت رحلات الحج أهمية تمرها: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 203؛ الناصري، ن. م.، ص 250؛ الشرقي، ن. م.، ص 284؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 237.

811 - مدينة معروفة جنوب المغرب. انظر : ياقوت، ن. م.، ج 3، ص 192.

812 - ما زال معروفاً إلى الآن، شمال مدينة البيضاء بحوالي 25 كم. انظر: الشرقي، ن. م.، ص 550.

واليوم الثّالث منه وَردنا مَنهل سَلُوك، وجاءتنا مُلاقاة من مَرْسَة ابن غَازِي[813] أيضاً، وكان هنالك سوق. واليوم الثّالث منه وَردنا أَجْدَابِيَة، وهنالك رأينا هلال شَعبان ليلة الاثنين[814].

من أجدابية إلى الزعفران

واليوم الثّالث أيضاً وَردنا منهل المنعل، ودَخلنا مَفازة مَقْطَع الكِبْرِيت، وجَرى علينا فيها كَيْتَ وكَيْتَ، وأصابَنا بها ريح شرقيّ يوماً أذهب الماء ونَشَفَ القِرَب، فترى القِرْبَة مَشدودة مُمتلئة كما هي، فإذا فَكَكْتَ عِفَاصُها[815] لم تَلْقَ فيها إلّا النزيح والجِلد الصّحيح، [103 و] فكان النّاس يَذهبون لحُفَرٍ بإزاء البحر ويَسْتَقون منها ماء البحر لا زِيادة. ومات من النّاس ومَرِض منهم كثير، ودام علينا ثلاثة أيّام.

واليوم الخامس وصلنا لمَوْرِد النَّعِيم. وسألني بعض من لَقيناه بطَرَابُلْس من أصحابنا المَغَارِبَة القاصدين لهذا المَقصد عن حال الطّريق فأجبتُهُ ارتِجالاً:

[من الخفيف]

أَيُّـهَـا الـرَّاحِـلُ الـمُـجِّـد إِلَـى مِصْـــ
ـــرَ وُقِـيـتَ الـــرَّدَى بِـكُـلِّ مَـبِـيتِ

لاَ تـخَـفْ نَـصْـبًـا يُـصِـيـبُـكَ يَـوْمًـا
إِنْ نَـجَـوْتَ مِـنْ مَـقْـطَـعِ الكِبْرِيتِ

813 ـ مدينة بنغازي حاليا. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 201؛ الشرقي، ن. م.، ص 279؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 219، 611؛ الفاسي، ن. م.، ص 151، 161.

814 ـ يوم 1 شعبان 1102 هـ/ 29 أفريل 1691م.

815 ـ العِفَاصُ: غلافٌ يُغطَّى به رأسُ القارورة. راجع: ابن منظور، ن. م.، ج 7، ص 55.

وفي هذه المفازة أبيار، إن ألجأتك الضرورة، فإنّك تَلْقى من يَدُلّك عليها[816].

واليوم الثّاني منه وَردنا الزّعْفَرَان، واجتمعنا هنالك بأُناس يُقال لهم أَوْلَاد وَافِي[817]، ونِعْمَ النّاس دِيناً وأماناً ومَحَبّة في جانب الله تعالى. ورأينا منهم الخير التّام والمَحَبّة الصّافية، وأخذ منهم جماعة وافرة عن سيدي الوالد، والله يُصلح أحوالهم ويَتَقَبّل أفعالهم، بالنبيّ وآله.

* من الزعفران إلى طرابلس *

ورَحلنا من الزّعْفَرَان، وسَقَيْنا الدّواب من بئر سيدي بُومَيْدُونَة[818]، ثمّ بالهُوَيْشَة، ثمّ بالسُّمَيْرَة[819]، ثمّ بعَرْعَار.

ثمّ بَلغنا الوليّ الصّالح سيدي أَحْمَد زَرُّوق يوم الاثنين الخامس عشر من شَعبان[820]، ولم نَنزِل بالدّار المَعلومة. وذَهبنا إلى آخر بلاد مُسْرَاتَة ونَزلنا، وذلك أنّا وَجدنا الوباء[821] - سلّمنا الله منه - عَمَّ هذه الآفاق كلها فتَنَحَّيْناه، فالله تعالى يَجعلنا من السّالمين ويُبلغنا ويَجمعنا مع الأحباب، آمين.

وأقمنا يوم السّادس عشر منه وصبّحنا تَاجُورَة يوم الأحد، الأحد والعشرين من شَعبان[822]، وأعرضنا عنها أيضاً، ولم نَبْلُغ النَّخْل أصلا. ونَزلنا على أصحابِنا، الرّكب [03 ظ] المُشَرِّق بالصّحراء قُبالَة طَرَابُلْس، ووجدنا

---

816 - في أ وب: عليهم.

817 - قبيلة معروفة بليبيا إلى الآن، تتوطن في عدة مناطق أهمّها خليج سرت.

818 - يُعرف حالياً بجبّانة سيدي بو ميدونة مسافة 12 كم غرب سرت بمحاذاة الطريق الساحلي، سبقت الإشارة إليه في رحلة الذهاب.

819 - في أ وب: بالسميدة، وهو تصحيف.

820 - يوم 13 ماي 1691 م.

821 - هو طاعون سنة 1100 هـ، اندلع في ربيع الأول سنة 1100 هـ/ جانفي 1689 م بتونس ودام ثمانية أشهر بعد أن عمّ مديتي الجزائر وطرابلس. انظر: الوزير السراج، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق محمّد الحبيب الهيلة، بيروت، 1984، ج 2، ص 555.

822 - يوم 19 ماي 1691 م.

الطّاعون في هذه الأرض أيضاً أكثر من ما قبلها، وجَعَل النّاس يذهبون إلى الأسواق بالمدينة، واختلط النّاس ودخل جُلّ النّاس المدينة ولم يَبْقَ منهم إلّا القليل، نَسأل الله العفو والسّلامة واللُطف بمنّه وكَرَمِه.

رسالة من شقيق المؤلف

ولَقينا هنا رسائل إخواننا وأصحابنا، متّعنا الله بحَياتهم وجمع شَمْلنا بهم آمين. ومن جُملة ما كَتَبَه إليَّ الأخ الشّقيق الوليّ الرّفيق، من بِهِ حَرَكَتي وأُنْسِي، ومَن أَفْديه بنَفْسي، العالم العَلاّمة- بَرَكتنا وذُخرنا، الفهّامة أَبُو عَبْد الله سيدي مُحَمَّد[823]، جعله الله ذُخري وجَبَرَ بِه كَسْري، ولا زال في نِعمة شاملة وراحة وافرة كاملة، وبلغ له المَقصود في الدّارين، بحَياة سَيّد الثَّقَلَيْن، وجعلهُ من عِباده الصّالحين، وفَتَحَ له بما فُتِحَ لعِباده المُتّقين، آمين، آمين.

وبَعَثَ إليَّ غُلامَه تَفَضُّلا منه بهذه الأبيات، وَقَاهُ الله من جميع الآفات[824]:

[من الطويل]

كَـتَـبْـتُ وَدَمْـعِـي وَاكِــفٌ يَـتَـرَقْـرَقُ
بِـجَـمٍّ عَـلَـى إِنْـسَـانِ عَينِي فَـيَـغْـرَقُ

وَصَـارَ سُهَادٌ مالق[825] العَيْنِ وَاصْطَلَى
لَظَى البَيْنِ قَلْبٌ فِي جَـوَاهُ يُحَرِّقُ[826]

823 - شقيق المؤلف.

824 - يوجد طمس في الكثير من كلمات القصيدة ممّا جعل تحقيقها صعبا، واستعنا في ذلك بالقصيدة التي بعثها محمد بن الحسن اليوسي إلى الناصري والتي كرّر فيها صدور بعض الأبيات. راجع: الناصري، ن. م.، ص 706-707.

825 - غير واضحة في أ. وهي مطموسة في ب.

826 - في ب: يحترق.

وَلَـمْ أَرَ كَالبَيْنِ المُمِضِّ[827] مُهَنَّدًا
وتَـبْـلَـى بِـهِ بَـيْـنَ الـجَـوَانِـحِ يَـرْشُـقُ

إِلَـى اللهِ أَشْـكُـو مَـا أُلاَقِـي مِـنَ الأَسَـى
وَمِـــنْ عُـصْـبَـةٍ دَمْـعِـي بِـهِـمْ يَـتَـدَفَّـقُ

فَـوَا حَـزَنِـي مَـاذَا أُجِـنُّ مِـنَ الـجَـوَى
وَمِـــنْ مُضْمَرِ الـشَّـوْقِ الـفُـؤَادُ يُـمَـزَّقُ

أَعُــدُّ الـلَّـيَـالِـي لَـيْـلَـةً بَـعْـدَ لَـيْـلَـةٍ
كَمَا قَـالَ قَبْلُ العَامِرِيُّ[828] المُوَفَّقُ

أَخِي وَابْـنَ أُمِّي بِنْتَ[829] عَنِّي فَلَمْ أَجِدْ
سُـلُـوًّا وَبَـابُ الـصَّـبْـرِ عَـنِّـي مُغَلَّقُ

وَخَـلَّـفْـتُـمُـونِـي مُـفْـرَدًا لاَ أَنِـيـسَ لِي
وَلاَ وَاجِـــدًا خِـــلاًّ بِـــهِ أَتَـرَفَّـقُ

وَسِـرْتُـمْ وَسَـار القَلْبُ نَحْوَ مَسِيرِكُمْ
فَـجِـسْـمِـي مُـغَـرِّبٌ وَقَـلْـبِـي مُـشَـرِّقُ

[104 و] أَقُولُ وَقَدْ سَالَتْ مِنَ العَيْنِ عَبْرَةٌ
مَتَى يَجْمَعُ الشَّمْلَ الشَّتِيتَ المُفَرِّقُ

فَـأَسْـأَلُ رَبَّ الـعَـرْشِ تَعْجِيلَ أَوْبَـةٍ
لَـكُـمْ دُونَ مَـا سُـوءٍ يَـكُـونُ وَيَـعْـلَـقُ

فَـنُـعْـطِـي مَـطَـالِـبًـا وَنَـقْـضِـي مَـآرِبًـا
وَنَـكْـفِـي مَـرَاهِـبًـا بِـشَـيْءٍ وَتُـغْـلَـقُ

827 - أي المؤلم والموجع.
828 - أي مجنون ليلى أو مجنون بني عامر.
829 - أي فارقتني من الفعل بان بيْنا.

عَـلَـيْـكُـمْ سَـــلاَمُ اللهِ مَـا ذَرَّ شَـــارِقٌ
وَمَـــا نَـــاحَ قُـــمْـــرِيٌّ بِـــرَوْضٍ مُـطَـوَّقُ
سَلاَمًا كَعَرْفِ المِسْكِ طَابَ لَهُ الشَّذَى
يُـصِـيـبُـكَ مِـنْـهُ حَـيْـثُـمَـا كَـنْـتَ رَيِّـقُ

فَقَدْ والله زال كَرْبي بهما، وذَهَبَ هَمِّي وغَمِّي بِمُشافَهَتِهِمَا، أحمدُ الله على ذلك حمدا لا يُحصى ولا يُعَدّ، وشَكَرتُه شُكرا لا غاية له ولا حَدّ.

* من طرابلس إلى الزورات *

وبَلغنا طَرَابُلْس يوم الأحد والعشرين من شَعبان، ونَزلنا بالصّحراء قُبالَة سُوق عَمْرُوس[830]، وأقمنا هنالك خمسة أيّام.

ثمّ رَحلنا ونَزلنا بكِرْكَارِش. وغدا رَحلنا وبتنا. ثمّ بِتْنا بمِيلِيتَة، وهنالك رأينا هلال المُعظّم رَمَضان ليلة الثّلاثاء[831]، وهو أوّل يوم من فصل الصّيف.

وغدًا رَحلنا، وأَدْرَكَنَا ريح ما رُئِيَ مثله في وادي النّار ولا في غيره. ومات من النّاس يومئذ كثير وكذلك الإبل. ونَزلنا في الزَّوَارَات عند الظُّهر، ولو بَعُدَت الدّار على النّاس لم يَبْلُغ منهم أحدًا، ما رأيت أضرّ منه قَطّ ولا أقوى. وأصبحنا مُقيمين لعجزهم عن الرحيل، وفَتَح الله تعالى علينا في ماء حُلو وبارد، وأبيار هذه الأرض كلها طيّبة. وحَملنا ماء أربعة أيّام.

830 - قرية بساحل طرابلس. انظر: العياشي، ن. م.، ج 2، ص 502؛ الزبادي، ن. م.، ص 326؛ التاجوري، **فتح العليم**، ن. م.، ص 107. راجع : الزاوي (الطاهر أحمد)، ن. م.، ص 230.

831 - يوم 1 رمضان 1102 هـ/ 28 ماي 1691 م.

من الزورات إلى قابس

واليوم الثّاني وَردنا ابن كِرْدَان[832]، ومات به من ركبنا أربعة مَطْعُونين[833] في عَشيّة واحدة، سلّمنا الله بمنّه. واليوم الثّاني منه رُحنا وادي الزَّاس، وماؤه طيّب عجيب.

وغدًا بَلغنا قرية[834] بعد أن مَرَرْنا بعَرَّام[835]، ووجدنا فيها رَوْضَة يُقال لصاحِبها الشّيخ سَلاَّم[836]. وذكر لي [104 ظ] سيدي الوالد أنه لَقِي إنساناً من تلك القرية فحدّثه أنّه رأى رِحلة للتجَانِي[837] ذَكَر فيها أنّه لَقِيَهُ في حَياته، فقال: كان من خَصائصه أنّه جَعل على قبائل هذه البلاد كلّها وأعرابها شيئًا معروفاً مُقسّطاً يَدْفَعُونه له كلّ سنة من أموالهم، فإذا مَنَعوه وقَطَعوه سَلّط عليهم ما يُؤذيهم من أنواع المَصائب في أنفسهم وأموالهم[838]، فكان هذا ممّا يَدُلُّ عندهم على صَلاحه ووَلايته، فحينئذ قال لي سيدي الوالد: هذا أمر مُحتمل بين أن يَكون رَبّاني أو مُستعمل بيد، كما هو الموجود اليوم عند بعض الطلبة المُشتغلين بذلك، فَلَمْ يَزُره.

---

832 - في أ: ابن كيدان، وفي ب: ابن يدان. وهو تحريف في الحالتين، وقد ورد الرسم الصحيح في رحلة الذهاب.

833 - أي مصابون بداء الطاعون.

834 - يقصد المؤلف قرية زريق البرانية جنوب غرب قرية كتّانة الواقعة جنوب قابس التي يوجد حذوها زاوية لسيدي سلّام بوغرارة، أشار إليها التجاني في رحلته. انظر: التجاني، ن. م.، ص 180.

835 - عرّام حالياً مسافة 40 كم جنوب قابس. انظر: العياشي، ن. م.، ج 1، ص 129؛ ج 2، ص 532؛ الناصري، ن. م.، ص 677؛ الشرقي، ن. م.، ص 247، 563؛ الزبادي، ن. م.، ص 29؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 130، 652.

836 - زاره الشرقي، ن. م.، ص 247؛ وزاره الفاسي، ن. م.، ص 141، 176 وسماه «سيدي سلام بوغرارة».

837 - أبو محمّد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، ت بعد 717 هـ/ 1317 م. انظر: الزركلي (خير الدين)، ن. م.، ج 4، ص 125.

838 - القصة في التجاني، ن. م.، ص 180-181.

* من قابس إلى الشبيكة *

وبلغنا قَابِس يوم الاثنين السّابع من رَمَضان[839]. وفي قَابِس مَقْبور سيّدنا أبُو لبَابَة الصّحابي[840] - رضي الله عنه -، وقد كُنّا عَزمنا على زِيارته فوَجدنا الطّاعون في هذه الأرض أيضاً فلم يَتَمّكن لنا بُلوغه.

وغدًا نَزلنا حَامَّة قَابِس ظُهرًا، ثمّ النَّبْش ولا ماء فيه للشرب، ثمّ قَصْر الرُمان ظُهراً، ماؤه كثير، ثمّ زاوية الرَّمْل ظُهراً أيضاً. ثمّ قَطعنا السَّبْخَة غدًا فلم نَرَ فيها إلّا الخير التّام، ونزلنا بسيدي بُوهِلَال[841] أيضاً. وغدا نَزلنا ضحى بتُوزَر، وذلك يوم الأحد الثّالث عشر من المُعظّم رَمَضان[842]، وأقمنا فيها يوماً آخر، ووَجدنا فيها كثرة الثّمر والزرع ونِعم البلاد، كثيرة الأشجار والمياه. وأدركَنا في هذه الأيّام الحرّ الشّديد. وغدًا رَحلنا للشَبْيكَة، ثمّ بتْنا بلا ماء.

* من الشبيكة إلى وادي ملوية *

[105 و] ثمّ نَزلنا بغِسْرَان صبيحة يوم الخميس السّابع عشر من رَمَضان[843]، وقد عَجّلنا نحن في سَنتنا هذه لأجل الوَباء الذي وجدته بطَرَابُلْس، وإلّا فالرّكب قبل هذه السَّنة لا يَصِلون هذه البلاد إلّا في أُخريات رَمَضان.

839 - يوم 3 جوان 1691 م.

840 - موضع خارج بلد قابس في غربيها، زاره العبدري، ن. م.، ص 237، وسماه «قبر أبي لبابة» ثم زاره كل من التجاني، ن. م.، ص 91، 92، 94، والبرزلي وابن ناجي الذي سماه «مسجد أبي لبابة» ووجدوا به قبر عليه لوح مكتوب فيه: «**هذا قبر أبي لبابة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم**» (ابن ناجي، ن. م.، ج 1، ص 12). كما زاره بعض الرحالة المغاربة في العهد الحديث مع إبداء بعض الشك حول صحة نسبة المقام، راجع: العياشي، ن. م.، ج 2، ص 533؛ الناصري، ن. م.، ص 163، 685؛ الشرقي، ن. م.، ص 564-565؛ الحضيكي، ن. م.، ص 87؛ العامري، ن. م.، ص 94؛ الزبادي، ن. م.، ص 26؛ الورثيلاني، ن. م.، ص 128، 652. ولا يزال هذا القبر معروفا إلى الآن.

841 - كذا في ب، وفي أ: بهلال.

842 - يوم 9 جوان 1691 م.

843 - يوم 13 جوان 1102 م.

ثمّ بَلغنا بِسْكِرَة يوم الاثنين الحادي والعشرين من رَمَضان[844]، وأقمنا فيها يومين وأصابتنا فيها رُعود ومَطر، فَسَكَنَ الحَرّ وأكرمنا الله تعالى بكثرة الغُدران. ولم نَسْتَق ماءً من بِسْكِرَة إلى جبل عَنْتَر وَسَط الظَّهْرَا. وبَلغنا سيدي خَالِد ليلة السّابع والعشرين من المُعَظَّم رَمَضان[845]، ورأينا هِلال شوّال ليلة الخميس[846] ونحن نُزولٌ بالمَكَيِّد.

وبَلغنا عَيْن مَاضِي خامس شوّال[847]، وقد خَصّ الله تعالى نِساء هذه البَلدة بحُسن وجَمال لا يكاد يُوجد في غيرها، وهم يَنتسبون للشَّرَف. وهنالك وَجدنا أحد عُمّال السُّلطان مَوْلَانَا إسْمَاعِيل، وبَلغنا الأمان ولم نَرَ إلّا الخير التّام إلى أن بَلغنا وادي مِلْوِيَّة[848]، فهنالك اجتمعنا بمن سَبَق من الأصحاب والاخوان.

* الوصول إلى تمزريت ونهاية الرحلة *

وبَلغنا تَازَة، فلَقِينا هنالك الأخ الشّقيق والاخوة الصِغار، وجَمَعَ الله الشّمل والحمد لله على ما أَنْعَم، وكمل بفضله المَرغوب وتَمّ. وبَلغنا الدّار بتَمْزَرِيت[849] يوم الأحد الخامس والعشرين من شوّال[850]، والحمد لله ذي العِزّة والقُدرة والجُود والإِفْضال، والصّلاة والسّلام على النبيّ والآل.

انتهت وبالحسن عمّمت، وصلّى الله على سيّدنا مُحمّد وآله وسلّم تسليما.

---

844 - يوم 17 جوان 1102 م.

845 - يوم 22 جوان 1102 م.

846 - أي يوم 1 شوال 1102 هـ/ 27 جوان 1102 م.

847 - يوم 1 جويلية 1102 م.

848 - وادي معروف شمال المغرب، ينبع من جبال الأطلس ليصب في البحر المتوسطي. راجع: معلمة المغرب، ن. م.، ج 22، ص 7262.

849 - في ب: بتامزريت.

850 - يوم 25 شوال 1102 هـ/ 21 جويلية 1691 م.

المصادر والمراجع المُعتمدة

1 - المصــــادر

- ابن أبي محلي (أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلملسي)، ت 1022 هـ/ 1613 م،
* **الإصليت الخريت بقطع بلعوم العفريت النفريت**، الباب الخامس، والمعروف بـ: **عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج إلى سادة مصر وقادة العصر**، حقّقه عبد المجيد القدوري ونشره في كتاب: **ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريت**، الرباط، 1991.
- ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمّد الغرناطي)، ت 809 هـ/ 1406 م،
* [شارك في تأليفه] **بيوتات فاس الكبرى**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1972.
- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمّد البغدادي)، ت 597 هـ/ 1201 م،
* **صفة الصفوة** (4 أجزاء)، تحقيق محمود فاخوري، بيروت، 1985.
- ابن حوقل (أبو القاسم محمّد النصيبي)، ت 367 هـ/ 977 م،
* **صورة الأرض**، تحقيق م.ج.دي خوي، ليدن، 1967.
- ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمّد بن عبد الله السلماني)، ت 776 هـ/ 1374 م،
* **الإحاطة في أخبار غرناطة (4 أجزاء)، تحقيق محمّد عبد الله عنان، القاهرة، 1973 - 1977.**
- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمّد الحضرمي)، ت 808 هـ/ 1406 م،
* **العبَر** (8 أجزاء)، تحقيق خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار، بيروت، 1996.
- ابن الرومي(أبو الحسن علي بن العباس بن جريج)، ت 283 هـ/ 896 م،
* **ديوان ابن الرومي**، تحقيق حسين نصّار، القاهرة، 2003،
- ابن زاكور (أبو عبد الله محمّد بن قاسم بن محمّد الفاسي)، ت 1120 هـ/ 1708 م،
* **نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتُطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعروفة برحلة ابن زاكور الفاسي**، تحقيق محمّد ضيف ومحفوظ بوكراع، الحراش-الجزائر، 2011.
- ابن الزيات (شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن عبد الله الأنصاري)، ت 805 هـ/ 1402 م،
* **كتاب الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى**، تحقيق أحمد بك تيمور، مصر، 1907.
- ابن زيدان (أبو زيد عبد الرحمان بن محمّد بن عبد الرحمان السجلماسي)، ت 1365 هـ/ 1946 م،
* **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس** (5 أجزاء)، تحقيق علي عمر، القاهرة، 2008.
* **العز والصولة في معالم نظم الدولة** (جزآن)، الرباط، 1961.
- ابن سعد (أبو عبد الله محمّد بن سعد بن منيع البصري)، ت 230 هـ/ 844 م،
* **الطبقات الكبرى** (9 أجزاء)، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1985.
- ابن عابد (أبو المحاسن يوسف بن عابد بن محمّد الفاسي)، ت 1048 هـ/ 1638 م،
* **رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت**، تحقيق إبراهيم السامرائي وعبد الله محمّد الحبشي، بيروت، 1993.

- ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد القرطبي)، ت 463 هـ/ 1070 م،
* **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس** (3 أجزاء)، تحقيق محمّد مرسي الخولي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1982.
- ابن عبد الملك (أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي)، ت 703 هـ/ 1303 م،
* **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** (6 أجزاء)، تحقيق إحسان عباس، محمّد بن شريفة وبشار عواد معروف، تونس، 2012.
- ابن عيشون (أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن طاهر الشراط)، ت 1109 هـ/ 1697 م،
* **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، تحقيق زهراء النظّام، الرباط، 1997.
- ابن غلبون (أبو عبد الله محمّد بن خليل الطرابلسي)، ت بعد 1133 هـ/ 1720 م،
* **التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار**، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي، طرابلس، 2004.
- ابن قتيبة (أبو محمّد عبد الله بن مسلم الدينوري)، ت 276 هـ/ 889 م،
* **عيون الأخبار** (4 أجزاء)، القاهرة، 1996.
- ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي)، ت 774 هـ/ 1370 م،
* **البداية والنهاية** (21 جزء)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، 1997.
- ابن المبارك (أبو عبد الرحمان عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي)، ت 181 هـ/ 797 م،
* **ديوان الإمام المجاهد ابن المبارك**، جمع وتحقيق مجاهد مصطفى بهجت، الرياض، 2011.
- ابن مليح (أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عبد العزيز القيسي السراج)، ت بعد 1042 هـ/ 1633 م،
* **أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب**، تحقيق محمّد الفاسي، فاس، 1968.
- ابن منظور (محمد بن مكرم الأنصاري)، ت 711 هـ/ 1311 م،
* **لسان العرب** (15 جزء)، بيروت، 1994.
- ابن المؤقت (محمد بن محمّد بن عبد الله المسفيوي المراكشي)، ت 1369 هـ/ 1949 م،
* **السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية** (جزآن)، تحقيق حسن جلاب وأحمد متفكر، مراكش، 2015.
- ابن هشام (أبو محمّد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري)، ت بعد 213 هـ/ 828 م،
* **السيرة النبوية** (4 أجزاء)، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، بيروت، د. ت.
- ابن ناجي (أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى التنوخي)، ت 839 هـ/ 1435 م،
* **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** (4 أجزاء)، تحقيق إبراهيم شبوح وآخرين، تونس، 1993.
- الأزهري (أبو عبد الله محمّد البشير بن محمّد حسن ظافر المدني)، ت بعد 1329 هـ/ 1908 م،
* **اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة**، القاهرة، 2008.
- الإدريسي (أبو عبد الله محمّد بن محمّد الحمودي الشريف)، ت 560 هـ/ 1166 م،
* **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق** (جزآن)، تحقيق قابريالي وآخرون، نابولي، 1970 – 1978.

- الإسحاقي (الوزير أبو محمّد عبد القادر بن محمّد الشرقي)، ت بعد 1150 هـ/ 1737 م،
* **الرحلة الحجازية**، حقق عبد الهادي التازي القسم الخاص بليبيا ونشره في: **أمير مغربي في طرابلس 1143 هـ = 1731 م أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي**، الرباط، د. ت.
* **الرحلة الحجازية**، حقق حمد الجاسر القسم الخاص بالحجاز ونشره بعنوان: «رحلة الوزير الشرقي الإسحاقي المغربي إلى الحج سنة 1143 هـ، في **العرب**، السنة 19، 1985، العدد 11 - 12، ص 736 - 756؛ السنة 20، 1985، العدد 1 - 2، ص 108 - 119؛ العدد 3 - 4، ص 264 - 272؛ العدد 5 - 6، ص 387 - 402؛ العدد 7 - 8، ص 528 - 537؛ العدد 9 - 10، ص 647 - 649.
- الأزرقي (أبو الوليد محمّد بن عبد الله بن أحمد الغساني المكي)، ت بعد 248 هـ/ 862 م،
* **أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار** (جزآن)، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكّة المكرمة، 2003.
- الأصفهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله)، ت 430 هـ/ 1038 م،
* **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** (10 أجزاء)، بيروت، 1985.
- الأغواطي (الحاج ابن الدين)، كتب في 1243 هـ/ 1827 م،
* **رحلة الأغواطي**، ترجمة وتحقيق أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2011.
- الإفراني (محمد الصغير بن محمّد بن عبد الله المراكشي)، ت حوالي 1157 هـ/ 1745 م،
* **درر الحجال في مناقب سبعة رجال**، تحقيق حسن جلاب، مراكش، 2016.
* **روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل الشريف**، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، 1995.
* **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تحقيق عبد المجيد خيالي، 2004.
* **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق عبد اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998.
- الباخرزي (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب)، ت 467 هـ/ 1075 م،
* **دمية القصر وعُصرة أهل العصر** (3 أجزاء)، تحقيق محمّد التونجي، بيروت، 1993.
- البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز)، ت 487 هـ/ 1094 م،
* **المسالك والممالك** (جزآن)، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس، 1992.
- التاجوري (عبد السلام بن عز الدين الفيتوري)، ت 1139 هـ/ 1726 م،
* **الإشارات للبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات**، طرابلس، 1975.
* **فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم**، حققته نادية مفتاح في إطار شهادة الدراسات المعمقة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 2002.
- التجاني (أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن أحمد)، ت بعد 717 هـ/ 1317 م،
* **رحلة التجاني**، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس، 1981.
- التمجروتي (أبو الحسن علي بن محمّد بن علي الجزولي)، ت 1003 هـ/ 1593 م،
* **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تحقيق سليمان الصيد، تونس، 1988.
- الجبرتي (عبد الرحمان بن حسن بن إبراهيم الحنفي العقيلي)، ت 1240 هـ/ 1825 م،
* **عجائب الآثار في التراجم والأخبار** (4 أجزاء)، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، القاهرة، 1997 - 1998.
- الجزيري (عبد القادر بن محمّد بن عبد القادر الأنصاري الحنبلي)، ت بعد 966 هـ/ 1559 م،
* **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكّة المعظمة** (جزآن)، تحقيق محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل، بيروت، 2002.

- الحاكم (أبو عبد الله محمّد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع)، ت 405 هـ/ 1014 م،
* **المستدرك على الصحيحين** (4 أجزاء)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 1990.
- الحربي (أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير)، ت 285 هـ/ 899 م، [منسوب إلى]
* **كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، 1969.
- الحُضَيْكي (أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عبد الله السوسي)، ت 1189 هـ/ 1775 م،
* **الرحلة الحجازية**، تحقيق عبد العالي لمدبر، الرباط، 2011.
* **طبقات الحُضَيْكي** (جزآن)، تحقيق أحمد بومزكو، الدار البيضاء، 2006.
- الحطاب (أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن عبد الرحمان المغربي الرعيني)، ت 954 هـ/ 1547 م،
* **مواهب الجليل لشرح مختصر خليل** (5 أجزاء)، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، بيروت، 1995.
- خليل (خليل بن إسحاق بن يعقوب المالكي)، ت 776 هـ/ 1374 م،
* **مناقب المنوفي**، تحقيق خالد محمّد السعيد، القاهرة، 2012.
- الدرعي (محمد المكي بن موسى بن محمّد الكبير بن مَحمد بن ناصر)، ت بعد 1170 هـ/ 1756 م،
* **الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة** (جزآن)، تحقيق محمّد الحبيب نوحي، الدار البيضاء، 2014.
- الدميري (كمال الدين أبو البقاء محمّد بن موسى بن عيسى القاهري)، ت 808 هـ/ 1406 م،
* **حياة الحيوان الكبرى** (4 أجزاء)، تحقيق إبراهيم صالح، دمشق، 2005.
- الزبادي (عبد المجيد بن علي بن محمّد المنالي الحسني المرادي)، ت 1163 هـ/ 1750 م،
* **بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام**، تحقيق محمّد زينهم محمّد عزب، القاهرة، 2006.
- الزبيدي (محب الدين أبي الفيض السيد محمّد مرتضى الحسيني)، ت 1205 هـ/ 1790 م،
* **تاج العروس من جواهر القاموس** (40 جزء)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وآخرين، الكويت، 1965 - 2001.
- الزياني (أبو عبد الله محمّد بلقاسم بن أحمد بن أبي الحسن)، ت 1249 هـ/ 1833 م،
* **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برّا وبحرا**، تحقيق عبد الكريك الفيلالي، الرباط، 1991.
- السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري)، ت 1315 هـ/ 1897 م،
* **كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** (9 أجزاء)، تحقيق أحمد الناصري، الدار البيضاء، 2001.
- السملالي (العباس بن إبراهيم بن محمّد بن محمّد المراكشي)، ت 1378 هـ/ 1959 م،
* **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام** (10 أجزاء)، راجعه عبد الوهاب ابن منصور، الرباط، 1993.
- السيوطي (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمان بن أبي بكر الخضيري)، ت 911 هـ/ 1505 م،
* **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة** (جزآن)، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1967.
- الشرقي (أبو عبد الله محمّد بن الطيب الفاسي)، ت 1170هـ/ 1757 م،
* **الرحلة الحجازية**، بتحقيق نورد الدين شوبد، أبو ظبي، 2013.

- الصفدي (أبو الصفا صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله)، ت 764 هـ/ 1362 م،
* **كتاب الوافي بالوفيات** (30 جزء)، برلين - بيروت، 1981 - 2009.
- الضعيف الرباطي (محمد بن عبد السلام بن محمّد بن أحمد)، ت 1233 هـ/ 1818 م،
* **تاريخ الضعيف أو تاريخ الدولة السعيدة**، تحقيق أحمد العماري، الرباط، 1986.
- العامري (أبو عبد الله محمّد بن الحاج بن منصور التلمساني التازي)، ت حوالي 1170 هـ/ 1757 م،
* **الرحلة العامرية**، حقّقها محمّد المنوني ونشرها في كتاب: **من حديث الركب المغربي**، تطوان، 1953، ص 88 - 104.
- العبدري (أبو عبد الله محمّد بن محمد)، ت بعد 689 هـ/ 1289 م،
* **رحلة العبدري**، تحقيق علي إبراهيم كردي، دمشق، 2005.
- العراقي (أبو الحسن علي زين العابدين المعروف بزيّان بن هاشم بن عبد الرحمان الحسيني)، ت 1194 هـ/ 1780 م،
* **فهرس زيّان العراقي**، تحقيق أحمد العراقي، فاس، 2015.
- العراقي (الوليد بن العربي بن الوليد الحسيني)، ت 1265 هـ/ 1848 م،
* **الدرّ النفيس من بني محمّد بن نَفيس**، تحقيق أحمد العراقي، فاس، 2008.
- العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله)، ت بعد 395 هـ/ 1004 م،
* **كتاب ديوان المعاني** (جزآن)، تحقيق أحمد سليم غانم، بيروت، 2003.
- العميري (أبو القاسم بن سعيد بن أبي القاسم الجابري التادلي)، ت 1178 هـ/ 1764 م،
* **فهرسة العميري**، حقّقها أحمد دجوغ في إطار رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، 1999.
- العياشي (أبو سالم عبد الله بن محمّد بن أبي بكر)، ت 1090 هـ/ 1679 م،
* **الرحلة العياشية: ماء الموائد** (جزآن)، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، أبو ظبي، 2006.
- الفاسي (أبو حامد محمّد العربي بن يوسف بن محمّد الفهري)، ت 1052 هـ/ 1642 م،
* **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**، تحقيق محمّد حمزة بن علي الكتاني، الدار البيضاء - بيروت، 2008.
- الفاسي (أبو العباس أحمد بن محمّد بن عبد القادر الفهري)، ت 1214 هـ/ 1799 م،
* **رحلة**، نشر علي فهمي خشيم الجزء الخاص بليبيا في: **الحاجية من ثلاث رحلات، الرحلة الناصرية، الرحلة المنالية، الرحلة الفاسية**، طرابلس، 1974.
- القادري (أبو العباس أحمد بن عبد القادر الحسني الفاسي)، ت 1113 هـ/ 1721 م،
* **نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس**، مخطوط بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، رقم ك 1418، الجزء العاشر ضمن مجموع، ورقة 106 و - 158 و.
* **نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس**، نشر محمّد الحراري عبدالسلام الجزء الخاص بليبيا في: **ليبيا لدى الرحالة المغاربة في القرنين السادس عشر والسابع عشر**، طرابلس، 1998.
- القادري (محمد بن الطيب بن عبد السلام الحسني الفاسي)، ت 1187 هـ/ 1773 م،
* **الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج**، تحقيق مارية دادي، الرباط، 2009.
* **كتاب التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر**، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، بيروت، 1983.
* **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني** (4 أجزاء)، تحقيق محمّد حجي وأحمد التوفيق، الرباط، 1977 - 1986.

- القزويني (زكرياء بن محمّد بن محمد)، ت 683 هـ/ 1283 م،
* **آثار البلاد وأخبار العباد**، بيروت، د.ت.
- القسطلاني (شهاب الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر المصري)، ت 923 هـ/ 1517 م،
* **كتاب المواهب اللدنية بالمنح المحمدية** (4 أجزاء)، تحقيق صالح أحمد الشامي، بيروت، 2004.
- كبريت (محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي)، ت 1070 هـ/ 1659 م،
* **رحلة الشتاء والصيف**، تحقيق محمّد سعيد الطنطاوي، بيروت، 1965.
- الكتاني (أبو عبد الله محمّد بن جعفر بن إدريس الحسني)، ت 1345 هـ/ 1927 م،
* **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصالحين بفاس** (4 أجزاء)، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمّد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، الدار البيضاء، 2004.
- ليون الإفريقي (الحسن بن محمّد الفاسي الوزّان)، ت 956 هـ/ 1548 م،
* **وصف إفريقيا** (جزآن)، ترجمة عن الفرنسيّة:محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، 1983.
- مخلوف (محمد بن محمّد بن عمر المنستيري)، ت 1361 هـ/ 1942 م،
* **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، بيروت، د.ت.
- المصعبي (إبراهيم بن بحمان بن ابي محمّد بن عبد الله الثميني اليسجني)، ت 1232 هـ/ 1817 م،
* **رحلة المصعبي**، تحقيق يحيى بن بهون حاج امحمد، غرداية، 2006.
- مقديش (محمود)، ت 1228 هـ/ 1813 م،
* **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار** (جزآن)، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، بيروت، 1988.
- المقري (أبو العباس أحمد بن محمّد بن أحمد بن يحيى التلمساني)، ت 1041 هـ/ 1631 م،
* **رحلة المقري إلى المشرق والمغرب**، تحقيق محمّد بن معمر، وهران ـ الجزائر، 2004.
* **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** (8 أجزاء)، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1968.
- المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي)، ت 845 هـ/ 1441 م،
* **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** (6 أجزاء)، تحقيق أيمن فؤاد سيد، لندن، 2004.
- المنوفي (محمد عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد الإسحاقي الشافعي)، ت 1060 هـ/ 1650 م،
* **كتاب أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول**، وبهامشه **تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين** لعبدالله الشرقاوي، مصر، 1892.
- المنوفي (نور الدين أبو الحسن علي بن محمّد بن محمّد بن خل الشاذلي)، ت 939 هـ/ 1532 م،
* **كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وبالهامش حاشية العدوي** (4 أجزاء)، تحقيق أحمد حمدي إمام، القاهرة، مطبعة المدني، 1987.
- الناصري (أبو العباس أحمد بن محمّد بن محمّد بن أحمد الدرعي)، ت 1129 هـ/ 1717 م،
* **الرحلة الناصرية** (جزآن)، حقّقها عبد الحفيظ ملوكي المغربي، أبو ظبي، 2011.

- النيسابوري (أبو الفضل أحمد بن محمّد بن إبراهيم الميداني)، ت 518 هـ/ 1124 م،
* **مجمع الأمثال** (جزآن)، تحقيق محمّد محيى الدين عبد الحميد، بيروت، 1992.
- النابلسي (عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني الصالحي)، ت 1143هـ/ 1731 م،
* **الحقيقة والمجاز في الرحلة الى بلاد الشام ومصر والحجاز**، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، دمشق، 1989.
- النوري (أبو الحسن علي بن سالم بن محمّد الصفاقسي)، ت 1118 هـ/ 1706 م،
* **رسالة في حكم السماع وفي وجوب كتابة المصحف بالرسم العثماني**، تحقيق محمّد محفوظ، بيروت، 1986.
- الهشتوكي (أبو العباس أحمد بن محمّد بن داود المنصوري الدرعي)، ت 1127 هـ/ 1715 م،
* **هداية الملك العلّام إلى بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام، وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام**، نشر محمّد الحراري عبدالسلام الجزء الخاص بليبيا في: ليبيا لدى الرحالة المغاربة في القرنين السادس عشر والسابع عشر، طرابلس، 1998.
- الهلالي (أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن الرشيد السجلماسي)، ت 1175 هـ/ 1761 م،
* **التوجه لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، قطعة من رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي**، تحقيق محمّد بوزيان بنعلي، تقديم أحمد بوحسن، وجدة، 2012.
- الوراق (أبو الحسن محمود بن الحسن البغدادي)، ت حوالي 225 هـ/ 840 م،
* **ديوان محمود الوراق**، جمع وتحقيق وليد قصاب، عجمان، 1991.
- الورثيلاني (الحسين بن محمّد السعيد)، ت 1193 هـ/ 1782 م،
* **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، تحقيق محمّد بن أبي شنب، بيروت، 1974.
- الوزير السراج (محمد بن محمّد الأندلسي)، ت 1149 هـ/ 1736 م،
* **الحلل السندسية في الأخبار التونسية** (3 أجزاء)، تحقيق محمّد الحبيب الهيلة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1984.
- الولالي (أبو العباس أحمد بن محمّد بن يعقوب)، ت 1128 هـ/ 1717 م،
* **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار**، تحقيق عبد العزيز بوعصّاب، الرباط، 1999.
- ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الحموي)، ت 626 هـ/ 1228 م،
* **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب** (7 أجزاء)، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1993.
* **معجم البلدان** (5 أجزاء)، بيروت، 1979 - 1986.
- اليوسي (أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد)، ت 1102 هـ/ 1690 م،
* **البدور اللوامع في شرح جمع الجوامع في أصول الفقه** (4 أجزاء)، تحقيق حميد حماني اليوسي، 2002.
* **ديوان اليوسي**، جمع وتحقيق عبد الجواد السقاط، الرباط، 2016.
* **رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي** (جزآن)، تحقيق فاطمة خليل القبلي، الدار البيضاء، 1981.
* **زهر الأكم في الأمثال والحكم** (3 أجزاء)، تحقيق محمّد حجي ومحمد الأخضر، الدار البيضاء، 1981.
* **فهرسة اليوسي**، تحقيق حميد حماني اليوسي، الدار البيضاء، 2004.
* **القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم**، تحقيق حميد حماني، الرباط، 1998.
* **المحاضرات في الأدب واللغة**، تحقيق محمّد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، بيروت، 2006.

2 - المراجع العربية

- أحمدون (عبد الخالق)،

* الرحلة الحجازية الصغرى لأبي عبد الله محمّد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي (ت 1239 هـ/ 1823 م)، في **مجلة الإحياء**، 2000، ص 223 - 253.

- الأخضر (محمد)،

* **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية**، الدار البيضاء، 1977.

- الأمري (محمد)،

* أبو علي الحسن اليوسي، في **الثقافة المغربية**، العدد 8، 1973، ص 52 - 62.

- بن سودة (عبد السلام بن عبد القادر)،

* **دليل مؤرّخ المغرب الأقصى**، بيروت، 1997.

- بنعبد الله (عبد العزيز)،

* **الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ**، الرباط، 2001 .

- بوسليم (صالح)، بن قايد (عمر)،

* الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية، في **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، العدد 21، ديسمبر 2015، ص 267 - 278.

- بوعسرية (بوشتى)،

* **من مصادر تاريخ العلاقات بين المغرب وشبه الجزيرة العربية. رحلات المغاربة إلى الحرمين الشريفين (ق. 12 - 14 هـ/ق. 17 - 18 م)**، إعداد محمّد ياسر الهلالي، الرباط، 2013.

- التازي (عبد الهادي)،

* **أمير مغربي في طرابلس 1143 هـ = 1731م أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي**، الرباط، د. ت.

* ليبيا لدى الرحالة المغاربة، في **مجلة المجمع العلمي العراقي**، المجلد 19، 1970، ص 131 - 140.

* **رحلة الرحلات. مكّة في مائة رحلة مغربية ورحلة** (جزآن)، لندن، 2005.

- الجاسر (حمد)،

* المجموع الظريف في حجة المقام الشريف رحلة الملك الأشرف قايتباي إلى الحجاز، في **العرب**، السنة 10، ج 9، الرياض، 1976، ص 659 - 696.

* **رحلات حمد الجاسر**، الرياض، 1980.

- الجراري (عباس)،

* **عبقرية اليوسي**، الدار البيضاء،1981 .

- جلال (آمنة حسين محمّد علي)،

* **طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي (648 هـ - 923 هـ)**، دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة أم القرى، 1987.

* جوهري (أحمد)،

* **في الأدب المغربي**، وجدة، 2009.

- حجي (محمد)،

* **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين** (جزآن)، الرباط، 1978.

* **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، الدار البيضاء، 1988.

- حجي (محمد)، إشراف،
* **معلمة المغرب** (27 جزء)، سلا، 1989.
- الحمد (محمد بن سعود بن عبد الله)،
* **موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة معجم بيبليوجرافي**، القاهرة، 2007.
- دوزي (رينهارت)،
* **تكملة المعاجم العربية** (10 أجزاء)، ترجمة محمّد سليم النعيمي، بغداد، 1980،
- الرفاعي (عبد الجبار)،
* **معجم ما كتب في الحج و الزيارة و المعالم المشرفة في الحجاز**، تهران، 2006ـ.
- الزاوي (الطاهر أحمد)،
* **معجم البلدان الليبية**، طرابلس، 1968.
- الزركلي (خير الدين)،
* **الأعلام** (8 أجزاء)، بيروت، 1982.
- الزريقي (جمعة محمود)،
* لقاء الفقيه اليوسي مع الفقيه محمّد بن أحمد في طرابلس منذ ثلاثة قرون، في: **تراجم ليبية. دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء والأعلام من ليبيا قديما وحديثا**، بيروت، 2005، ص 97 – 110.
- زيادة (نقولا)،
* **إفريقيات دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي**، لندن، 1991.
* **صفحات مغربية**، بيروت، 2002.
- السكيوي (بوشتي)،
* **ظاهرة الشروح الأدبية بالمغرب في العصر العلوي الأول بين جهود الإحياء الثقافي والتأصيل المعرفي**، دون مكان، 2015.
- شراب (محمد محمّد حسن)،
* **المعالم الأثيرة في السنّة والسيرة**، دمشق – بيروت، 1991.
- الشريف (ناصر الدين محمد)،
* **الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، وبه ملحق: الفتاوى الزاوية على مذهب السادة المالكية**، عمّان، دار البيارق، 1999.
- عبد المالك (سامي صالح)،
* **درب الحَاجّ المِصْري همزة وصل غرب العالم الإسلامي بالحَرَمين الشريْفَينِ. دراسة تاريخية – آثارِيَة**، جامعة أم القرى، 2005.
- عبد المعطي (حسام محمد)،
* **العائلة والثروة البيوت التجارية المغربية في مصر العثمانية**، القاهرة، 2008.
- عمر (سميرة فهمي علي)،
* **إمارة الحج في مصر العثمانية 923 – 1213 هـ/1517 – 1798 م**، القاهرة، 2001.
- عمور (عمر)،
* **كشاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنية**، الرباط، 2007.
- عنان (محمد عبد الله)، لمدبر (عبد العالي)، حنشي (محمد سعيد)،
* **فهارس الخزانة الحسنية. الجزء الأول: فهرس قسم التاريخ والرحلات والإجازات**، الرباط، 2000.

- عيسى (هيام علي)،
* **الحج إلي الحجاز في العصر المملوكي (648 - 923 هـ/1250 - 1517 م)**، دكتوراه في العلوم الإنسانية (التاريخ)، جامعة القديس يوسف - معهد الآداب الشرقية، بيروت، 2010.
- الغاشي (مصطفى)،
* **الرحلة المغربية والشرق العثماني**، محاولة في بناء الصورة، بيروت، 2015.
- الفاسي (محمد علال)،
* أبو علي اليوسي 1040 - 1102 شخصيته - حياته - دراسة موجزة لآثاره، في **المغرب الجديد**، السنة 1، العدد4، شتنبر 1935، ص 17 - 24؛ السنة 1، العدد5، ص 24 - 35؛ السنة 1، العدد7، ص 17 - 29.
- الكتاني (عبد الحي)،
* أشرف بقعة وأقدس بناحية مراكش، في **مجلة المغرب**، السنة 5، جوان - جويلية 1936، ص 1 - 2، 18 - 22.
* **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات** (3 أجزاء)، بيروت، 1986.
- كحالة (عمر رضا)،
* **معجم المؤلفين** (4 أجزاء)، بيروت، 1993.
- كرو (أبو القاسم محمد)،
* المخطوطات الليبية في المكتبات التونسية في **المورد**، المجلد 19، العدد 2، بغداد، 1990، ص 176 - 185.
- ليفي بروفنسال (إيفارست)،
* **مؤرخو الشرفاء**، تعريب عبد القادر الخلادي، الرباط، 1977.
- ماكمان (محمد)،
* **الرحلات المغربية (ق. 11 - 12 هـ/17 - 18 م)**، الرباط، 2014.
- محمود (أحمد محمد)،
* **رحلات الحج**، الجزء 1 و2، جدّة، 2009.
- المدغري (عبد الكبير العلوي)،
* **الفقيه أبو علي اليوسي نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية**، المحمدية، 1989.
- مزّين (محمد)،
* **فاس وباديتها، مساهمة في تاريخ المغرب السعدي 1549 م - 1637 م** (جزآن)، الرباط، 1986.
- منصور (علي مفتاح إبراهيم منصور)،
* **الرحالة العرب ودورهم في كتابة تاريخ ليبيا السياسي والاقتصادي في القرنين السابع عشر والثامن عشر**، طرابلس، 2005.
- المنوني (محمد)،
* **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث**، الجزء الأول، الرباط، 1983.
* **من حديث الركب المغربي. بحث تاريخي نال تنويه لجنة التحكيم الملكية وأحرز جائزة مولوية**، تطوان، 1953.
* الوراقة المغربية في العصر العلوي الأول، في **دعوة الحق**، السنة 16، العدد 10، الرباط، مارس 1975، ص 80 - 92.
* الجزيرة العربية في الجغرافيات و الرحلات المغربية وما إليها، في **مجلة المجمع العلمي العراقي**، المجلد 29، الجزء 1، 1978، ص 150 - 187.

* **تاريخ الوراقة المغربية. صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة**، الرباط، 1991.

- المودن (عبد الرحمان)

* **البوادي المغربية قبل الاستعمار. قبائل إيناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر**، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنانية بالرباط، 1995.

- النجار (أسعد محمّد علي)،

* الحسن اليوسي: حياته وآثاره (1040 - 1102 هـ)، في **مجلة العرب**، السنة 35، الرياض، 1999 - 2000، ص132 - 139، 234 - 242.

- نواب (عواطف محمّد يوسف)،

* **كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين دراسة تحليلية نقدية مقارنة**، الرياض، 2008.

- اليدري (أحمد الطرييق)،

* حول رسائل اليوسي المجهولة في كتاب نزهة الناظر لأحمد بن عبد القادر التستاوتي، في **التراث المغربي والأندلسي. التوثيق والقراءة**، تطوان، 1991، ص 291 - 314.

- يعيش (يونس)،

* **علي النوري الصفاقسي. عصره - حياته - آثاره**، صفاقس، 2007.

3 - المراجع الأعجمية

- Berque J., *Al-Youssi, problème de la culture marocaine au XVII è siècle*, Paris, 1958.
- Fagnan E., *Catalogue général des manuscrits des bibliothèques publiques de France. Départements – Tome XVIII, Alger*, Paris, 1893.
- Kilito A., « Al - Yûsî », in *EI* ², XI, Leiden, 2005, p. 382.
- Lakhdar M., «Les étapes du pèlerin de Sijilmassa à La Mecque et Medine, in *Quatrième congrès d la fédération des Société savantes de l'Afrique du Nord. Rabat 18 - 20 Avril 1938*, Alger, 1939, II, pp. 671 - 688.
- Motylinski A. de C., *Itinéraires entre Tripoli et l'Egypte extraits des relations de voyage d'el Abderi, el Aiechi, Moulay Ah'med et el Ourtilani*, Alger, 1900.

الفهـــارس

1 - فهرس الآيات القرآنية

الآيــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾	البقـرة	201	138
﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾	آل عمران	22	111
﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾	آل عمران	97	117
:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾	الأعراف	172	146
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾	الروم	22	86
﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾	الحشر	9	148
﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	الإخلاص	1	133

2 - فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة
لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً	81

3 - فهـرس الأشعـار

الروي	صدر البيت الأول	البحر	قائله	الصفحة
الباء	أَحْمَدُ اللهَ حَقَّ حَمْدٍ عَلَى رِضْ	الخفيف	محمد بن الحسن اليوسي	176
الباء	بِأَنِّيَ فِي أَهْلِي وَبَيْنَ أَقَارِبِ	الطويل	مجهول	60
الباء	نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَمْشِي كَرَامَةً	الطويل	أبو الطيّب المتنبّي	151
الباء	نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا	الخفيف	الحسن اليوسي	176
التاء	أَيُّهَا الرَّاحِلُ الْمُجِدُّ إِلَى مِصْ	الخفيف	محمد بن الحسن اليوسي	181
الحاء	فَلَوْ أَبْصَرَ الشَّيْطَانُ صُورَةَ وَجْهِهَا	الطويل	مجهول	65
الدال	سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا سَلَامَ مُوَدِّعِ	الطويل	ابن البديع الأصفهاني	157
الدال	شَوْقِي إِلَيْكَ وَإِنْ نَأَيْتَ شَدِيدُ	الكامل	أبو هلال العسكري	155
الدال	وَلَوْ أَنَّنِي أُعْطِيتُ سُؤْلِيَ وَالْمُنى	الطويل	ابن مالك الشامي	67
الراء	إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ اللهِ نِعْمَةً	الطويل	محمود الوراق	142

الراء	إِذَا كُنْتَ فِي مِصْرٍ وَلَمْ تَكُ سَاكِنًا	الطويل	مجهول	162
الراء	أَعَالِمُ أَهْلِ الأَرْضِ فِي كُلِّ مَ قُطْرِ	الطويل	محمد بن أحمد المكْني	92
الراء	إِنْ كُنْتَ تَرْجُو اللهَ فَاقْنَعْ بِهِ	السريع	سفيان الثوري	119
الراء	أَيَا سَيِّدًا قَدْ حَازَ كُلَّ فَضِيلَةٍ	الطويل	الحسن اليوسي	95
الراء	أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً	الطويل	الحسن اليوسي	61
الراء	بِعَيْشِكَ هَلْ أَبْصَرْتَ أَعْجَبَ مَنْظَرًا	الطويل	الحكم بن أبي الصلت	173
الراء	تُرَى بَعْدَ هَذَا البُعْدِ عَيْنِي تَرَاكُمُ	الطويل	مجهول	155
الراء	خَلِيلَيَّ مَا تَحْتَ السَّمَاءِ بَنِيَّةٍ	الطويل	عُمارة اليمني	173
الراء	سَقَى مَنْزِلاً مَا بَيْنَ أَزْكَانَ وَالنَّهْرِ	الطويل	الحسن اليوسي	179
الراء	وَاللهِ مَا اسْتَحْسَنَتْ مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِكُمْ	البسيط	مؤيد الدين الطُغرائي	155
الراء	يَا نَسِيمًا هَبَّ نَيِّرْ	مجزوء الرمل	الحسن اليوسي	178
الصاد	بِجِيرَانِهَا تَغْلُوا الدِّيَارُ وتَرْخُصُ	الطويل	مجهول	63
الصاد	قُضَاةُ زَمَانِنَا صَارُوا لُصُوصَا	الوافر	مجهول	164
العين	قُضَاةُ زَمَانِنَا احْتَجُّوا بِعِلْمٍ	الوافر	مجهول	165
العين	وَافَى لِهَذَا النِّيلِ أَيُّ عَجِيبَةٍ	الكامل	مجهول	170
الفاء	رَبَّنَا إِنَّنَا جَزِعْنَا وعُذْنَا	الخفيف	محمد بن الحسن اليوسي	79
الفاء	يَا رِيَاحَ الغَرْبِ هُبِّي	مجزوء الرمل	الحسن اليوسي	178
القاف	كَتَبْتُ وَدَمْعِي وَاكِفٌ يَتَرَقْرَقُ	الطويل	محمد بن الحسن اليوسي	183
الكاف	وَحَبَّبَ أَوْطَانَ الرِّجَالِ إِلَيْهِمُ	الطويل	ابن الرومي	60
الكاف	هَبَّتِ الرِّيحُ مِنَ الغَرْ	مجزوء الرمل	محمد بن الحسن اليوسي	177
اللام	إِذَا امْرُؤٌ لَمْ يَرْكَبْ الأَهْوَالاَ	الرجز	مجهول	115
اللام	أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً	الطويل	بلال الحبشي	62
اللام	إِلَهِي لَكَ الحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ	الطويل	محمود الوراق	152
اللام	إِنَّمَا الزَّعْفَرَانُ عِطْرُ العَذَارَى	الخفيف	عبيد الله بن سليمان	109
اللام	قِفْ بِي وَنَادِ بَيْنَ تِلْكَ الطُّلُولْ	السريع	ابن شلبطور	67
اللام	وَلاَ بُدَّ بَعْدَ الشَّهْدِ مِنْ إِبَرِ النَّحْلِ	الطويل	المتنبي	117
اللام	وَمَنْ طَلَبَ العُلاَ سَهِرَ اللَّيَالِي	الوافر	الشافعي	117
اللام	يَا ابْنَ الأَكَارِمِ مِنْ عَدْنَانَ قَدْ عَلِمُوا	البسيط	علي بن جبلة	175
اللام	يَا مَالِكَ المُلْكِ يَا مَنْ لاَ شَرِيكَ لَهُ	البسيط	الحسن اليوسي	175
اللام	يَسْخُو البَخِيلُ بِنَفْسِهِ فَيُزِيلُهَا	البسيط	الحسن اليوسي	82
الميم	سَلاَمٌ عَلَيْكُم إِنَّ قَلْبِي يُحِبُّكُمْ	الطويل	مجهول	156

الميم	شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدٍ أَنَّهُ	المتقارب	خالد بن سنان	80
الميم	عَجْرُودُ ثُمَّ حَوْرَةٌ وَالأَزْلَمُ	الرجز	رجل سجلماسي	120
الميم	لا تُنْكِرُونَ لِأَهْلِ مَكَّةَ قَسْوَةً	الكامل	مجهول	148
النون	لاَ بَأْسَ بِالغَالِي إِذَا قِيلَ حَسَنْ	الرجز	أبو الحسن المريني	118
النون	لاَ تَتْعَبَنَّ عَلَى الأَتْرَاكِ فِي كَرَمٍ	البسيط	مجهول	161
الهاء	إِذَا بَلَغَ المَرْءُ أَرْضَ الحِجَازِ	المتقارب	ابن جبير	118
الهاء	بِلاَدٌ بِهَا عَقَّ الشَّبَابُ تَمَائِمِي	الطويل	مجهول	60
الهاء	شُكْرُ الإِلَهِ نِعْمَةٌ	مجزوء الرمل	محمود الورّاق	87
الهاء	كَأَنَّ النِّيلَ ذُو عَقْلٍ وَلُبٍّ	الوافر	مجهول	170
الهاء	هَنِيئًا لِمَنْ حَجَّ أَرْضَ الهُدَى	المتقارب	ابن جبير	119
الواو	فَأَسْأَلُهُ أَنْ يَجْمَعَ الشَّمْلَ وَالمُنَى	الطويل	الحسن اليوسي	61
الياء	بِعَيْنِي رَأَيْتُ المَوْتَ عِنْدَ التَفَرُّقِ	الطويل	مجهول	154
الياء	بَنُو إِسْحَاقَ كُلُّهُمُ عِرَاقِيٌّ	الوافر	الحسن اليوسي	64
الياء	وَعَسَى أَنْ يَكُونَ لُطْفٌ مِنَ اللَّـــ	الخفيف	الحسن اليوسي	78

4 - فهرس الأعـــــلام

5 - فهرس القبائل والفرق والطوائف والمجموعات البشرية

6 - فهرس الأماكن والمعالم

7 - فهرس الكتب

8 – فهرس المصطلحات الحضارية

فهرس المحتويات

هــذا الكتــاب

رحلة حجازيّة تُضاف لسلسلة الرحلات المعروفة كرحلة العياشي ورحلة الناصري، وتُوثق لحجّ الحسن بن مسعود اليوسي، ذلك العالم والفقيه المغربي الذي تصدّى لسياسة مولاي إسماعيل، وتعرِض صورة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لدرب الحجّ في نهاية القرن الحادي عشر للهجرة / السابع عشر الميلادي. حُقّقت الرحلة اعتمادًا على النسختين الوحيدتين من الكتاب، وفيها ضبط دقيق للنصّ وتصحيح للشعر وتعريف بالأعلام والأماكن والمصطلحات المبهمة. مُهّد للنص المُحقّق بمقدّمة وضعت الكتاب في سياقه التاريخي وتمّ فيها الحسم في هويّة مؤلّف الكتاب وهو مَحمّد العياشي، الابن الثاني للحسن اليوسي، كما أُلحق بالتحقيق ثمانية فهارس.

المُحقّــق

أحمد الباهي، أستاذ مُحاضر في التاريخ والآثار الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة القيروان. صدر له في مجال التحقيق :

- **مناقب أبي علي سالم التباسي، تلميذ أبي الحسن الشاذلي،** لابن الصبّاغ ترجيحًا، سوسة، 2012.

- **مناقب أبي القاسم المسراتي،** لجمال الدين المسراتي، تونس، 2009.

ISBN: 978-9973-49-182-4

9 789973 491824

الثمن بتونس: 20,000 دت

الثمن بالخارج: 25,00 €